منبر الإسلام

صوت الإسلام الوسطى

السنة (٧٣) العدد (١٢) ذو الحجة ١٤٣٥هـ

أكتوبر ٢٠١٤م - الثمن ٢٠٠ قرش

إلى عرفات الله

أ.د. محمد مختار جمعة (وزير الأوقاف)

قناة السويس بين ميراث الأجداد وحلم الأبناء والأحفاد

التعليم فى مصر بين الآمال والتحديات

أخلاق الإسلام فى التعامل مع طلاب العلم والمعرفة

خطب شهر ذى الحجة لسنة ١٤٣٥هـ

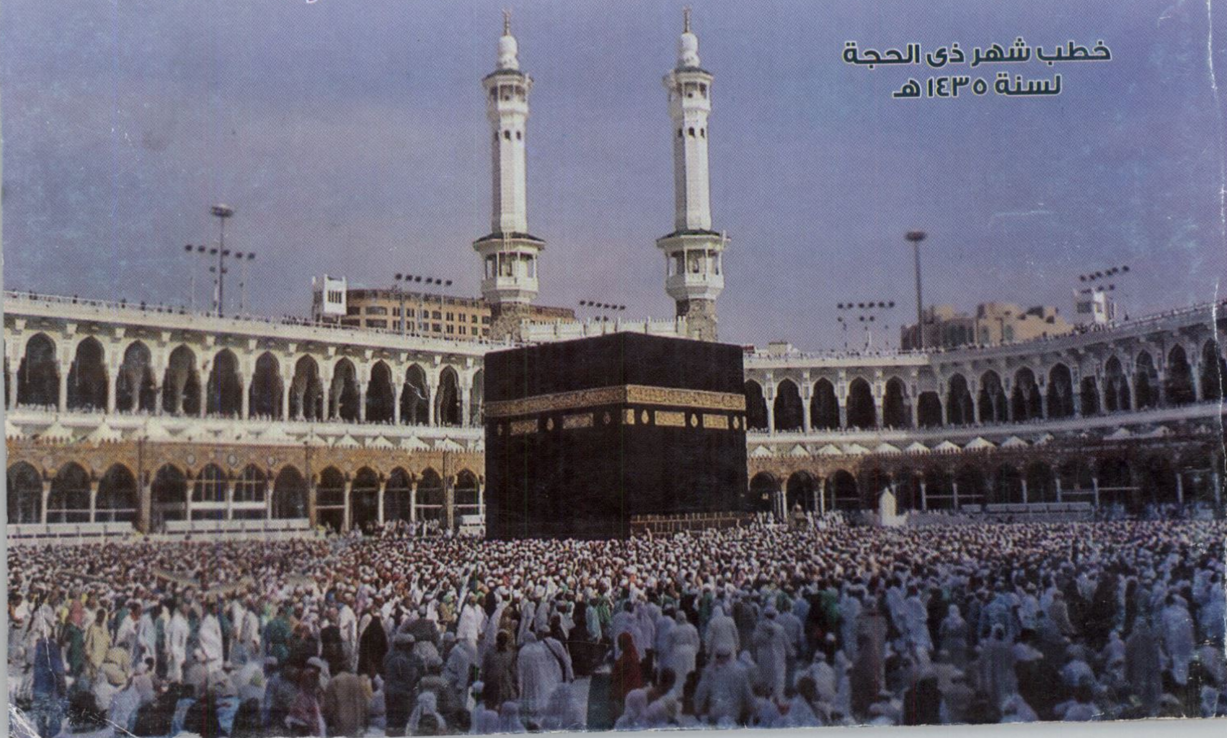

مجلة منبر الإسلام

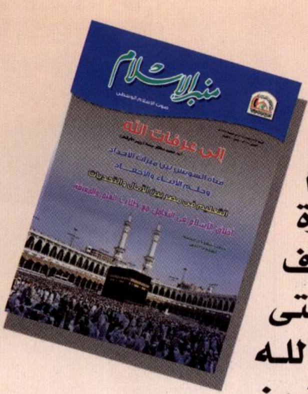

غلاف مجلة منبر الإسلام لهذا الشهر الكريم صورة للكعبة المشرفة يطوف حولها الحجيج من شتى بقاع الأرض راجين من الله الرحمة والمغفرة والعتق من النار.

الفردوس

«مجلة كل الأطفال»

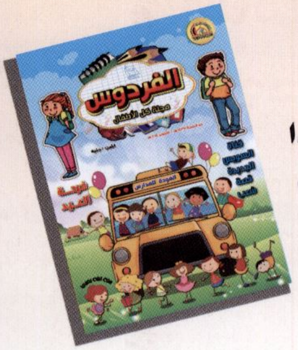

غلاف مجلة الفردوس فى هذا العدد يحتفى بمناسبة العام الدراسى الجديد وحلول عيد الأضحى المبارك وكل عام وأنتم بخير ومصرنا الحبيبة فى أمن وسلام.

منبر الإسلام

صوت الإسلام الوسطى

تصدرها وزارة الأوقاف

المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

رئيس مجلس الإدارة

الدكتور: محمد مختار جمعة

وزير الأوقاف

رئيس المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

رئيس التحرير

الدكتور: أحمد على عجيبة

الأمين العام للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية

مجلس الأمناء

فضيلة الأمام الأكبر (شيخ الأزهر)

الدكتور: أحمد محمد الطيب

الدكتور: شوقى علام
مفتى الجمهورية

الدكتور: عباس شومان
وكيل الأزهر

الاشتراكات

يخاطب بشأنها: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية وترسل على مكتب بريد جاردن سيتى. القاهرة

عن سنة كاملة: ٣٥ خمسة وثلاثون جنيها بجمهورية مصر العربية.

عن سنة كاملة: ٣٥ خمسة وثلاثون دولارا أمريكيا للدول العربية والإفريقية

عن سنة كاملة: ٤٠ أربعون دولارا أمريكيا للدول الأوروبية عن سنة كاملة: ٤٥ خمسة وأربعون دولارا أمريكيا فى الولايات المتحدة الأمريكية وكندا وشرق آسيا.

عن سنة كاملة: ٦٥ خمسة وستون دولارًا أمريكيًا لأمريكا الجنوبية واستراليا واليابان.

العنوان البريدى: ٩ شارع النباتات - جاردن سيتى - القاهرة.

رقم الهاتف: ٢٧٩٥٨٦٦٤ - ٢٧٩٥٨٦٥٩ - ٢٧٩٤١٦٢٧ (٢٠٢) - فاكس: ٢٧٩٥٨٦٦٣ - ٢٧٩٥٤٠٠٥ (٢٠٢)

الاشتراكات
لسلسلتى قضايا ودراسات إسلامية

قيمة الاشتراك السنوى للسلسلة الواحدة (١٢ عدداً)

أولا: داخل مصر (١.٥ جنيه مصرى لكل عدد).

ثانيا: خارج مصر كالآتى: دول عربية وافريقية (٩ دولارات أمريكية) دول أوروبية (١١ دولارا أمريكيا)، دول أمريكا وكندا وآسيا (١٤ دولارا أمريكيا) أمريكا الجنوبية وإستراليا: (٢٢ دولارا أمريكيًا).

اقرأ لهؤلاء

■ إلى عرفات الله ٢
أ.د. محمد مختار جمعة (وزير الأوقاف)

■ من شمائل رسول الله ﷺ ومكارمه ٥
د. أحمد عمر هاشم

■ من حكم الحج وأسراره ٩
فضيلة الشيخ: محمد عبد المجيد زيدان

■ الإحصار فى الحج ١٦
د. سيف رجب قزامل

■ نظرات بيانية فى الكلمة القرآنية ٥٠
د. طه مصطفى أبو كريشة

■ دعوة القرآن الكريم إلى التفكير ٥٧
د. حسن أحمد خليل

■ أخلاق الإسلام فى التعامل مع طلاب العلم والمعرفة ٦٥
د. عبد المنعم صبحى أبو شعيشع

■ قناة السويس بين ميراث الأجداد وحلم الأبناء والأحفاد ٧١
محمد كامل شاهين

■ التعليم فى مصر بين الآمال والتحديات ٨٠
شيماء نزيه - فاطمة محمد

■ قراءة فى كتاب «العشرة المبشرين بالجنة» ١١٩
عرض د. أحمد فاروق الهلباوى

■ أنباء وأخبار ٤٠

■ فاسألوا أهل الذكر ١٣٧

■ نافذة على القراء ١٤٠

افتتاحية العدد

عزيزى القارئ

شهر ذى الحجة.. شهر كريم وموسم عظيم، شهر الحج، شهر المغفرة والوقوف بعرفات، شهر يتقرب فيه المسلمون إلى الله بأمور عدة.

قال ﷺ: «إن لربكم فى أيام دهركم لنفحات ألا فتعرضوا لها لعل أحدكم أن تصيبه منها نفحة لا يشقى بعدها أبداً» (رواه الطبرانى).

فالعشر من ذى الحجة من مواسم الخير التى ينبغى على المسلم أن يتعرض فيها لنفحات رحمة الله عز وجل، وذلك بالإكثار من العمل الصالح فى هذه الأيام من صيام وقراءة القرآن، وتسبيح وتهليل واستغفار.

فهذه أيام رفع الله من شأنها وأعلى من مكانتها، وجعلها غرة فى جبين الدهر وميدانا للمنافسة فى الخيرات، والمسابقة بين المؤمنين فى مجال الباقيات الصالحات والتجارة الرابحة مع الله، ولأهمية موسم الحج فى نفوس المسلمين خط كبار الكُتّاب بأقلامهم فى هذا العدد عن هذه الشعيرة المهمة داعين المولى عز وجل أن يتقبلها من عباده إن شاء الله تعالى، بالإضافة إلى ملفين: أولهما (قناة السويس بين ميراث الأجداد وحلم الأبناء والأحفاد)، وثانيهما: (التعليم فى مصر بين الآمال والتحديات) إلى جانب خطب الجمعة والموضوعات المتنوعة.

وننتهز فرصة حلول عيد الأضحى المبارك لنوجه التهنئة للشعب المصرى العظيم. داعين الله أن يحفظ مصرنا العزيزة من كل شر وسوء، وأن نكون دائما فى عهد الله القائل: ﴿ادْخُلُوا مِصْرَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ﴾ ..

أسرة التحرير

يسرنا أن نعلن لسيادتكم عن توافر خدمة توصيل مجلة «منبر الإسلام» ومجلة «الفردوس لكل الأطفال» بالسعر الرسمى دون تحميل القارئ مصاريف توصيل وذلك من خلال الاتصال على الأرقام التالية: ٢٥٨٠٦٢٣٨ - ٢٥٨٠٦٤٢٠ - ٢٥٨٠٦٤١١

موقع المجلس الأعلى للشئون الإسلامية على الشبكة الدولية

Website Addresses : www.islamic-council.org- www.islamic-council.com
E-mail Address: Islamic_council_eg@yahoo.com
Postal Address : 9, El-Nabatât St., Garden City, Cairo, A.R.E - Tel. : (+202) 27947776 / 27958664 Fax : (+202) 27954005

الصفحة الرسمية للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية بجمهورية مصر العربية

http://www.facebook.com/islamic.council.eg -- http://www.facebook.com/supreme.islamic.council.eg

«ضوابط النشر بالمجلة»

ترجو إدارة المجلة من السادة الكُتّاب الالتزام بضوابط النشر التالية:

١ - أن يكون المقال منضبطًا بالضوابط الشرعية المحكومة بالقرآن والسُّنة.

٢ - أن يكون المقال متميزًا فى مادته، ولم يسبق نشره ويفضل أن يكون مكتوبًا على الكمبيوتر ومصحوبًا بقرص مدمج (C.D) إن أمكن ذلك مع مراعاة ألا يزيد حجم المقال على ألف كلمة تقريبًا.

٣ - تخضع الموضوعات المقدمة للفحص من قِبَل المتخصصين بالمجلة، علمًا بأن الموضوعات لا ترد لأصحابها سواء نشرت أم لم تنشر.

٤ - يراعى أن يرفق الكاتب مقاله بنبذة مختصرة عن سيرته الذاتية تتضمن الاسم الثلاثى والمهنة الحالية، والعنوان ورقم الهاتف.

إلى عرفات الله

إلى عرفات الله يممت وجهتى
وأملت فى الرحمن غفران زلتى
وتاقت نفوس العاشقين لمشعر
عليه آمال الخلق ترنو لرحمة
يفيض بها الرحمن عطفاً عليهم
إفاضة إكرام عظيم ومنة
فلله در الواقفين ودرنا
إذا مَن رب العرش ثَمّ بتوبة
لتمحو أثر الذنب من أعناقنا
وترقى بمشتاق لأبواب جنة
فيارب فرج كربنا وهمومنا
وجمل زيارتنا بأعتاب روضة
بروضة أحمد خير خلقك كلهم
وحقق مناى بالبقيع وبغيتى

أ. د. محمد مختار جمعة
وزير الأوقاف

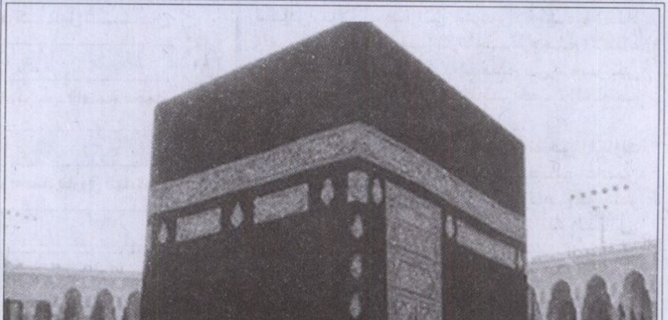

على الحاج أن يبتعد عن الخلاف والشقاق والمزاحمة التى تضر بالآخرين

بهذه الأبيات التى أنشأتها تقدمة لهذا المقال أؤكد أن الحج رحلة إيمانية، تهفو إليها نفوس المسلمين جميعًا، وهى أمل كل مسلم، سواء فى مقتبل العمر أم فى ختام رحلة الحياة، حيث يهب الناس رجالاً ونساء، آحاداً وجماعات، من كل فج عميق إلى بيت الله الحرام، استجابة لقوله تعالى: ﴿وَأَذِّن فِى النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾ (الحج: الآية ٢٧).

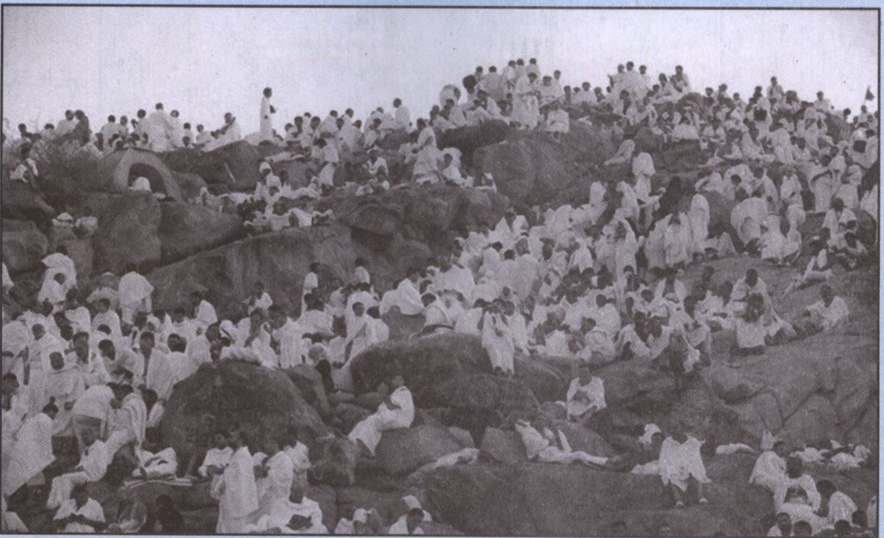

وإذا كان الحج عرفة، وعرفة جمعة، فتلك بشرى لكل أهل عرفة، وإذا كان يوم الجمعة يوم إجابة وحده، ويوم عرفة يوم إجابة وحده، فإذا وافق يوم عرفة يوم جمعة غمرت رحمات الله كل من صعد عرفة منيبًا أو مخبتًا، قاصداً وجه ربه ورحمته، غير مفسد ولا مخرب، ولا قاطع رحم.

وتلك فرصة فى العمر قد لا تتكرر، فالعاقل من اغتنمها، ولم يضيعها، وعمل بكل طاقته على التعرض لنفحات الله فيها: «**ألا إن لربكم فى أيام دهركم لنفحات، ألا فتعرضوا لها، ألا فتعرضوا لها**».

ومن أهم مظاهر هذا التعرض الخشوع والخضوع لله، وكثرة الذكر والثناء عليه، وقد سئل سفيان بن عيينة عن أفضل الدعاء يوم عرفة، فقال: «**لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد بيده الخير وهو على كل شىء قدير**»، فقيل له هذا ثناء وليس بدعاء، فقال يقول الله (عزّ وجلّ) فى الحديث القدسى: «**مَنْ شَغَلَهُ ثَنَاؤُه عَلَىَّ عَنْ مَسْأَلَتِى، أَعْطَيْتُهُ أَفْضَلَ مَا أُعْطِى السَّائِلِينَ**»، ثم ذكر قول أمية بن أبى الصلت:

أَأَذْكُرُ حَاجَتِى أَمْ قَدْ كَفَانى
حَيَاؤُكَ إِنَّ شِيمَتَكَ الحَيَاءُ
وعلمك بالحقوق وأنت فرع
لك النسب المعلى والثناء
إذا أثنى عليك المرءُ يومًا
كفاه مِن تعرُّضِه الثَّناءُ

فإذا كان هذا مع الخلق، فكيف بأكرم الأكرمين ورب العالمين وخالق الخلق أجمعين؟

وهنا ينبغى أن يركز الحاج دعاءه على طلب الرضا والقبول، والدعاء بحسن الخاتمة وتيسير الوصول، وعليه ألا يكف عن الدعاء لوطنه بالسلامة والأمن والاستقرار، وللعصاة بالهداية والبعد عن مسالك ومصائد الشيطان، وللقادة المصلحين بالسداد والتوفيق والوصول بالوطن إلى بر الأمان .

ونوجه النصح للمتهيئين للحج والصاعدين

إلى عرفات الله، قبل السفر برد المظالم، والبعد عن الحرام، والتطهر منه، ورد الأمانات، وإنهاء الخصومات، وتجديد النية لله، وعدم اصطحاب ما هو ممنوع من الدواء، أو الانشغال بحمل الزائد من المتاع الزائل، لا ذهابًا ولا عودة، فرحلة قد لا تتكرر لا ينبغى لعاقل أن ينشغل عنها ببيع أو شراء، أو إثقال كاهل بحمل أمتعة له مندوحة كبيرة وبدائل كثيرة عن حملها، أهمها توفر هذه السلع وما يقوم مقامها بأسعار منافسة أو أقل فى مصرنا العزيزة .

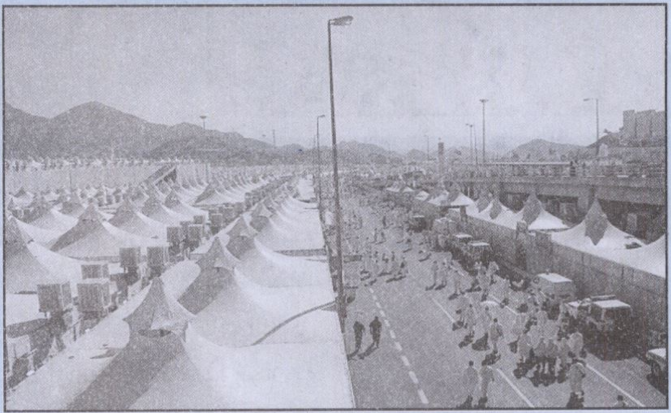

كما أنَّ على الحاج أثناء حجه أن يبتعد عن الخلاف والشقاق والمشاحنة والأذى والمزاحمة التى تضر الآخرين ولو بحجة الوصول إلى الحجر أو الأركان أو الملتزم، فسلامة الحجاج وكف الأذى عنهم أولى مائة مرة من المزاحمة على الحجر أو الدفع للوصول إليه، إذ يكفى لمن لا يتيسر له الوصول أن يشير إليه، فالشريعة قائمة على التيسير ورفع المشقة، والحج قائم على «**افعل ولا حرج**» .

ثم إنَّ على الحاج أن يتحلى قبل سفره وأثناء سفره وبعد عودته بمكارم الأخلاق، فثمرة الحج مرتبطة بهذه الأخلاق بل معلقة عليها، يقول نبينا ﷺ: «**من حج فلم يرفث ولم يفسق ولم يجهل ولم يصخب رجع كيوم ولدته أمه**».

وإذا أراد الحاج أن ينظر فى علامات قبول حجه، فلينظر أول ما ينظر إلى حاله قبل الحج وحاله بعد الحج، فإن وجد رغبة شديدة وحبًا فى مكارم الأخلاق وإقدامًا عليها، فتلك من علامات القبول وانشراح الصدر، وإن وجد غير ذلك فليراجع نفسه، وليسأل ربه الهداية إلى الخير ومكارم الأخلاق، وليجدد النية وليصححها، لأنَّ العبادات إذا لم ينطبع أثرها فى سلوك الفرد وأخلاقه فلم ينتفع بها لا فى أمر دينه ولا فى أمر دنياه، وقد جعل نبينا ﷺ الوصول بالناس إلى الخلق الكريم هدفًا وغاية لرسالته، فقال ﷺ: «**إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق**».

من شمائل رسول الله ﷺ ومكارمه

د. أحمد عمر هاشم*

إن ثمرة الدراسة التحليلية للسيرة النبوية العطرة أن نقف على الحياة النبوية الشريفة، التى تعتبر السيرة بالنسبة لها تجسيدا حيا لحياته ﷺ فى جميع أطوارها.

وواضح أن حياة رسول الله ﷺ، قد نقلت جميعها بكل تفاصيلها، نقلت كلياتها وجزئياتها، وليس فيها شىء سرى، ولا أمر خفى.

فحياة الكثير من عظماء البشر فيها جوانب معروفة، نقلها التاريخ وعرفها الناس وتناقلوها، وفيها جوانب سرية، وأمور خفية، لم يذكرها التاريخ، ولم يعرف أحد من الناس عنها شيئا، خاصة الأمور الأسرية، والأمور التى تتعلق بأسرارهم، أو التى يمكن أن يتوجه النقد إليهم بسببها، بل ربما أخفى بعض عظماء التاريخ الكثير من صفحات حياتهم لأنهم يعتبرونها شخصية أو لا يحبون أن يعرفها عنهم أحد.

أما حياة سيدنا محمد بن عبد الله ﷺ فقد نقلت بحذافيرها، وجميع أطوارها ما قبل الرسالة وما بعدها وحياته فى السلم وفى الحرب، وفى النوم وفى اليقظة، وفى الأسرة وخارج الأسرة، وفى الجد وفى غيره.. بل إن الأمور التى تعتبر عند البعض أمورا شخصية وأسرته وخاصة نقلت أيضا عن رسول الله ﷺ فلم يعد فيها شىء خفى حتى حياته مع زوجاته، حتى ما كان يقوله عند معاشرة زوجاته: «**بسم الله اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا**» حتى كيفية قضائه لحاجته، وكيفية اغتساله، إلى غير ذلك من الأمور.. وبماذا نقلت؟

* عضو هيئة كبار العلماء.

وإنك لعلى خلق عظيم

إنها نقلت بأدق طرق النقل التى لا تعرف الدنيا لها مثيلا، حتى إن علماء الحديث النبوى وأرباب الرواية، ابتكروا علما لم يسبقوا إليه، وهو علم: (مصطلح الحديث) وزنوا به كل خبر جاءهم عن الرسول ﷺ بأدق طرق النقل التى لا تعرف الدنيا لها مثيلا، وإنما نقلت كل حياته على هذا النحو؛ لأنه ﷺ خاتم للأنبياء والمرسلين، فلا نبى بعده ولا رسول، لأن رسالته عامة وخالدة إلى أن يقوم الناس لرب العالمين ولأنه ﷺ هو الأسوة الحسنة الذى يقتدى به فى قوله، وفى فعله، وفى تقريره، وفى صفاته، كما قال رب العزة سبحانه: **﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾** (سورة الأحزاب الآية: ٢١).

فرسول الله ﷺ هو الأسوة الحسنة المستمرة إلى أن تقوم الساعة، أكمل الله على يديه الدين، وأتم به النعمة، كما قال الله سبحانه وتعالى: **﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾** (سورة المائدة الآية: ٣).

وكان متمما لمكارم الأخلاق التى نادى بها من قبله من الرسل فجاء كمالها وتمامها على يديه، كما قال ﷺ: **«إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق»**.

وكما تحدث الرسول ﷺ عن موقفه من إخوانه السابقين، من الأنبياء والمرسلين حين قال: **«مثلى ومثل الأنبياء من قبلى كمثل رجل بنى بيتا فأجمله وأحسنه إلا موضع لبنة فى زاوية من زواياه فجعل الناس يطوفون به، ويعجبون له ويقولون: هلا وضعت هذه اللبنة؟!، فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين»**.

ومن أجل هذا كله نرى أن الله تعالى جمع فى رسوله ﷺ جميع الشمائل الحميدة، والمكارم الفريدة، وما كان عليه الرسل السابقون من هدايات جمعها الله له وقال: **﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾** (سورة الأنعام الآية: ٩٠).

ومن قول الإمام على كرم الله وجهه فى وصف شمائل الرسول ﷺ: كان رسول الله ﷺ يخزن لسانه إلا فيما يعنيه، ويؤلفهم ولا ينفرهم ويكرم كريم كل قوم ويوليه عليهم، ويحذر الناس، ويحترس منهم من غير أن يطوى عن أحد منهم بشره وخلقه، ويتفقد أصحابه، ويسأل الناس عما فى الناس. ويحسن الحسن ويقويه، ويقبح القبح ويوهيه، معتدل الأمر غير مختلف لا يغفل مخافة أن يغفلوا أو يميلوا لكل حال عنده عناد، لا يقصر عن الحق ولا يجاوزه.

وقال الحسين رضي الله عنه - فسألته - أى سأل الإمام عليًا كرم الله وجهه عن مجلسه ﷺ كيف كان؟ فقال: كان رسول الله ﷺ لا يجلس ولا يقوم إلا على ذكر الله تعالى، ولا يوطن الأماكن، وينهى عن إيطانها، وإذا انتهى إلى قوم جلس حيث ينتهى به المجلس ويأمر بذلك، يعطى كل جلسائه نصيبه، لا يحسب جليسه أن أحدًا أكرم عليه منه، من جالسه أو فاوضه فى حاجة صابرة حتى يكون هو المنصرف.

ومن مكارم أخلاقه، فى معاملة الناس أنه كان يتغافل عن سفه أهل الباطل، ويقبل ظواهر أقوالهم، روى أن جماعة من اليهود استأذنوا على رسول الله ﷺ، فقالوا: السام عليكم، فقالت عائشة: بل عليكم السام واللعنة، فقال ﷺ: **«يا عائشة إن الله يحب**

الرفق فى الأمر كله»، قالت: ألم تسمع ما قالوا، قال: «قد قلت وعليكم»(١). فهم يقصدون السام بمعنى الموت، فأجرى القول على ظاهره منهم، وقال فى الجواب: وعليكم أى عليهم مثل قولهم.

وكان عليه الصلاة والسلام شديد الحياء، عن أبى سعيد الخدرى رضي الله عنه قال: «**كان رسول الله ﷺ أشد حياء من العذراء فى خدرها، فإذا رأى شيئا يكرهه عرفناه فى وجهه**»(٢) وقد عرف العلماء الحياء بأنه خلق يبعث على ترك القبيح ويمنع من التقصر فى حق ذى الحق.

وهو من أهم شعب الإيمان، ولذا خصه الرسول ﷺ بالتنبيه عليه، عن أبى هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**الإيمان بضع وسبعون شعبة أو بضع وستون شعبة، فأفضلها قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق والحياء شعبة من الإيمان**»(٣).

وثمرة الحياء: الخير فى كل ما يأتى الإنسان وفى كل أقواله وأفعاله وأحواله عن عمران بن حصين رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**الحياء لا يأتى إلا بخير**»(٤).

ومن سمات الوقار والسكينة أنه كان ﷺ إذا ضحك تبسم ولا يقهقه، عن عائشة رضى الله عنها قالت: «**ما رأيت رسول الله ﷺ مستجمعا قط ضاحكا حتى ترى منه لهواته، إنما كان يتبسم**»(٥) ومعنى كلمة مستجمعا أى يبالغ فى الضحك واللهوات جمع لهاة وهى اللحمة التى فى أقصى سقف الفم.

ومن مكارم أخلاقه ﷺ ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه قال: «**ما عاب رسول الله ﷺ طعاما قط إن اشتهاه أكله وإن كرهه تركه**»(٦).

ومن شمائله الكريمة، ومكارم أخلاقه العظيمة: سخاؤه الكثير، وجوده الذى فاق الرياح المرسلة، عن أنس رضي الله عنه قال: «**ما سئل رسول الله ﷺ على الإسلام شيئا إلا أعطاه، ولقد جاءه رجل فأعطاه غنما بين جبلين، فرجع إلى قومه فقال: يا قوم أسلموا فإن محمدا يعطى عطاء من لا يخشى الفقر، وإن كان الرجل ليسلم ما يريد إلا الدنيا، فما يلبث إلا يسيرا حتى يكون الإسلام أحب إليه من الدنيا وما عليها**»(٧) وعن عائشة رضى الله عنها أنهم ذبحوا شاة، فقال النبى ﷺ: «**ما بقى منها؟» قالت: ما بقى منها إلا كتفها قال: «بقى كلها غير كتفها**»(٨).

كان رسول الله ﷺ متمما لمكارم الأخلاق التى نادى بها من قبله من الرسل فجاء كمالها وتمامها على يديه

ومن مكارم أخلاقه ﷺ: حلمه وصفحه، عن أنس ابن مالك رضي الله عنه قال: كنت أمشى مع رسول الله ﷺ وعليه برد نجرانى غليظ الحاشية، فأدركه أعرابى فجبذه بردائه جبذة شديدة حتى نظرت إلى صفحة عاتق رسول الله ﷺ قد أثرت بها حاشية البرد من شدة جبذته، ثم قال: يا محمد مر لى من مال الله الذى عندك، فالتفت إليه رسول الله ﷺ ثم ضحك ثم أمر له بعطاء»(٩). وهذا الحلم والصفح من أهم العوامل التى أثرت فى قلوب الناس وجعلتهم يلتفون حوله، فلو كان فظا أو غليظا لانفضوا من حوله.

ومن ذلك أيضا: ما رواه ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا يبلغنى أحد عن أحد من أصحابى شيئا، فإنى أحب أن أخرج إليهم وأنا سليم الصدر**» قال عبد الله: فأتى رسول الله ﷺ بمال فقسمه، فانتهيت إلى رجلين جالسين وهما يقولان: والله ما أراد محمد بقسمته التى قسمها وجه الله ولا الدار الآخرة، فتثبت حين سمعتهما، فأتيت رسول الله ﷺ وأخبرته فاحمر وجهه وقال: «**دعنى عنك، فقد أوذى موسى بأكثر من هذا فصبر**»(١٠). فإذا كان رسول الله ﷺ وهو أكمل الخلق، وأطهر الناس وهو المعصوم، ومع هذا لا يحب أن يبلغه أحد عن أحد شيئا حتى لا يتأثر بكلام الناس بعضهم عن بعض، فما بالنا نحن سائر البشر ونحن غير معصومين،

لا شك أن نقل الكلام يوغر الصدور ويشيع الضغائن، ويمزق أواصر الود بين الناس.

وهذا التوجيه النبوى إلى جانب هذا يرشد بعض الناس الذين يتلمسون نقائص الناس، ويتصيدون أخبارهم وزلاتهم، وبعض المسئولين يتجسسون على إخوانهم ويحاولون إلصاق بهض التهم بهم، يرشدهم هذا التوجيه النبوى إلى البعد عن مثل هذا السلوك بل إن بلغهم البعض شيئا عن الآخرين لا يكون الواحد منهم رجلا أُذُنا يسمع كل ما يقال، ويصدق كل ما يسمع، ويتحامل على الآخرين ظلما وعدوانا.. بل حتى لو حدث ما قيل فعليه أن يقتدى برسول الله ﷺ الذى قال لمن نقل إليه: «دعنى عنك، فقد أوذى موسى بأكثر من هذا فصبر».

ومن مكارم أخلاقه ﷺ: تواضعه، فقد كان عليه الصلاة والسلام جم التواضع، عن جرير بن عبد الله رضي الله عنه قال: أتى النبى ﷺ برجل ترعد فرائصه، قال: فقال له: «هون عليك، فإنما أنا بن امرأة من قريش كانت تأكل القديد فى هذه البطحاء» ثم تلا جرير ابن عبد الله البجلى: ﴿**وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ**﴾ (سورة ق الآية: ٤٥).

وعن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**اللهم أحينى مسكينا وأمتنى مسكينا واحشرنى فى زمرة المساكين يوم القيامة**» فقالت عائشة رضى الله عنها: لم يا رسول الله؟!

قال: «**إنهم يدخلون الجنة قبل أغنيائهم بأربعين خريفا، يا عائشة، لا تردى المسكين ولو بشق تمرة، ياعائشة، أحبى المساكين وقربيهم فإن الله يقربك يوم القيامة**»(١١).

هذا وإن شمائل رسول الله ﷺ، ومكارم أخلاقه لا تحصى ومحامده لا تستقصى، ولا أحد يستطيع أن يجمع شمائله ومحامده، ولا أن يثنى عليه بما هو أهله، بعد أن أثنى عليه رب العزة سبحانه وتعالى فى

قال الله تعالى:

﴿**لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا** (٢١)﴾

سورة الأحزاب

قوله جل شأنه: ﴿**وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ**﴾ (سورة القلم الآية: ٤).

ورحم الله القائل:

يا مصطفى من قبل نشأة آدم
والكون لم يفتح له إغلاق
أيروم مخلوق ثناءك بعدما
أثنى على أخلاقك الخلاق؟

وخير ما وصفت به أخلاقه وصفا جامعا: ما جاء عن سعد بن هشام ابن عامر أنه أتى السيدة عائشة رضى الله عنها يسألها، فقال: يا أم المؤمنين أنبئنى عن خلق رسول الله ﷺ؟ قالت: ألست تقرأ القرآن؟ قلت: بلى، قالت: «**فإن خلق نبى الله ﷺ كان القرآن**»(١٢).

الهوامش:

(١) رواه مسلم.
(٢) رواه البخارى ومسلم.
(٣) رواه البخارى ومسلم.
(٤) رواه البخارى ومسلم.
(٥) رواه البخارى ومسلم.
(٦) رواه البخارى ومسلم.
(٧) رواه مسلم.
(٨) رواه الترمذى.
(٩) رواه أحمد والبخارى ومسلم.
(١٠) رواه أحمد وأبو داود.
(١١) رواه الترمذى وابن ماجه.
(١٢) رواه أحمد والحاكم والنسائى وأبو داود.

من حِكَم الحج وأسراره

ما تكاد أشهر الحج تبدأ حتى يشهد العالم كله شرقا وغربا وشمالا وجنوبا حركة دائبة واستعدادا قائما على قدم وساق يدفع بجموع متلهفة إلى بيت الله الحرام يهزهم الشوق إلى رؤيته ويدفعهم الحنين إلى رحابه وتتواثب الفرحة فى أفئدتهم، ولا عجب فى ذلك وخصوصا لمن فقهه الله فى دينه وعلمه كتابه لأنه سيدرك أن هذه الحركة التى جاشت بالقلوب إلى رؤية هذا البيت ما هى إلا استجابة من الله لدعوة أبى الأنبياء ابراهيم عليه السلام حينما قال فى دعائه: ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾ (سورة إبراهيم الآية ٣٧)

فضيلة الشيخ: محمد عبد المجيد زيدان*

ولكن من المدهش حقا أن نرى هذه الاستجابة واضحة الأثر حتى فى البلاد الأجنبية وليس فيها من المسلمين إلا القليل فهم مع قلتهم بالنسبة لأهل هذه البلاد يخرجون بالآلاف من تلك الأقطار لأنهم ممن كتب الله عليهم تلبية دعوة الخليل إبراهيم منذ أزمان بعيدة حينما أمره أن يؤذن فى الناس بالحج بقوله: ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ● لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ ● ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾ (سورة الحج الآيات ٢٧، ٢٩) روى عن ابن عباس وغيره أن الله عز وجل أمر نبيه إبراهيم عليه السلام فقال له: «ناد فى الناس بالحج داعيا لهم أن يحجوا هذا البيت الذى أمرناك ببنائه: فقال: يارب كيف أبلغ الناس وصوتى لا ينفذهم «أى لا يصل إليهم» فقال الحق سبحانه: ناد وعلينا البلاغ: فقال: يا أيها الناس إن ربكم قد اتخذ بيتا فحجوه فيقال: إن الجبال تواضعت حتى بلغ الصوت أرجاء الأرض وأسمع من فى الأرحام والأصلاب وأجابه كل شىء سمعه من حجر ومدر وشجر ومن كتب الله أنه سيحج إلى يوم القيامة» وكانت صيغة الإجابة على هذا النداء الكريم التلبية التى يلهج بها الحجيج والتى تمثل نشيدا إلهيا قدسيا فى ذلك الموكب المشهود: «لبيك اللهم لبيك لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك». إن الحج فيه شفاء عملى وعلاج فعلى حاسم يقضى على الغرور ويؤكد المعانى الحضارية للفكر الإسلامى من

* وكيل أول وزارة الأوقاف الأسبق لشئون الدعوة.

فـــريضـة الحج تؤكـد المعـانى الحضـارية للفكر الإســـلامى

خلال هذه الفريضة التى تمثل أعظم مظاهر الوحدة على مر القرون وترسم المساواة والتعادل بين الجميع فى صورة الإحرام والطواف والسعى وغيرها، فإذا نظرت إلى الحجاج فلن تميز أحدهم بزى ولا لباس ولا بمظهر ولا زينة - فالكل - فى بساطة المظهر المتحد - متساوون مساواة بين الأفراد ومساواة بين الأجناس والألوان فالله سبحانه يقول: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ**﴾ (سورة الحجرات الآية ١٣) ورسولنا ﷺ يقول: «**لا فضل لعربى على أعجمى ولا لأبيض على أسود إلا بالتقوى**» وفى الحج هدم لما تعوده المرء، وتغيير لما ألفه، وتبديل لعرفه، فالحج بذلك: فيه حكم الحاج لنفسه وتسلطه على أعماله وتمكينه من طرح سيئ الأعمال وسخيف العادات والخروج من سجن المألوف إلى ميدان التقى والفضائل والسمو الروحى والعلو النفسى، فالحاج ملك على نفسه بعد أن كان عبدا لعاداته، قال تعالى: ﴿**الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ**﴾ (سورة البقرة آية ١٩٧)، وانظر كيف يصرح النبى ﷺ بأن الحج يخرج المسلم من ذنبه وإثمه وقبيح طبعه فيقول: «**من حج فلم يرفث ولم يفسق خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه**».

إن الدول رصدت الأموال على الرياضة البدنية والتدريبات العسكرية؛ لأن الرياضة البدنية ركن فى بناء مجد الأمة فكان الإسلام سباقاً إلى تقدير فضل الرياضة، فأمر بتعلم السبق والرمى وإتقان ركوب الخيل والسباحة والمبارزة للجهاد فى سبيل الأمن والحق والسلام، وربط الرياضة بالعبادات لتشترك العاطفة والشعور مع القلب فى أدائها فتكون الرياضة قوة بدنية وعبادة روحية لها فى الدنيا منافعها الجليلة، ولها فى الآخرة ثواب عظيم وهذا هو الحج حل وترحال وسفر وانتقال وطواف وسعى فيهما إسراع ثم تمهل، حتى إن الرسول ﷺ اتخذ من الطواف مظهراً لإرهاب المشركين وإظهار قوة المسلمين؛ لأن أهل مكة كانوا يظنون بالمسلمين الضعف فقال النبى ﷺ لأصحابه وهم يطوفون؛ «**رحم الله امرءا أراهم من نفسه اليوم قوة**» أو كما قال، وهرول يطوف والمسلمون يتبعونه وكان من تمام الحكمة الرياضية فى الحج مجيئه صيفا وشتاءً حسب الفصول وتبدل الأجواء ليألف النظام والترتيب، أليس الحج فى حكمته هذه خليقا بعناية المربين والرياضيين؟ وهل يدرك المسلمون حجاجا وغير حجاج أن علامة القبول لأعمالهم أن يتغير حال المسلم بعد أن عاش فى معانى الطاعة لله ولرسوله، فيستمر فى الإقبال عليها لأن من قطع العمل قطع الله عنه المدد، ﴿**رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ**﴾ (سورة البقرة آية ١٢٧) هذه دعوة شيخ الأنبياء وولده إسماعيل حينما كانا يرفعان قواعد البيت الحرام.

إن الناس إذا غرقوا فى المادة يعبدونها من دون الله وشغلتهم زخارف الحياة الدنيا عن الإنتاج النافع فأمامهم الحج يوجه المادة لخدمة الحق ويسلك بالناس طريق العدل ليأخذوا من الدنيا قدرا حلالا ونصيبا مباحا يسعدون به فى الأولى وفى الآخرة ويكون طمعهم فيما وراء الحياة باعثا لهم على الاستهانة بزينتها، ويصبح حرصهم على كرامة أمتهم أشد من حرصهم على شهواتهم فليس حراما أن أكون غنيا أو حاكما إنما الحرام أن أطغى بمالى وأستبد بنفوذى لذا فإن الاتجار أثناء الحج لا يضر بالحج والله سبحانه وتعالى يقول: ﴿**وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ ● لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ**﴾ (سورة

البقرة الآية ١٩٧) أليس الحج يستدعى تفكير رجال المال والاقتصاد؟ إن الإسلام لا يكتفى بالنظريات يقررها ولا يقف عند الدعوة للحق بل يقرن القول بالعمل والتطبيق الفعلى؛ فدعا إلى التآلف والتعارف والتعاون ثم أوجد للتعارف اجتماع الصلاة وأوجب الجمعة والعيدين لأبناء البلد الواحد وفرض الحج ليكون مؤتمر البلاد الإسلامية جميعا، وبهذا يجسد الإسلام عالميته، وبما أن الإنسان هو محور الحياة فى هذا الكون وبدونه لا قيمة للكون ولا اعتبار؛ لذا فهو أعظم الأدلة على وجود الخالق وأسطع برهان على عظمة الموجد سبحانه؛ لأن الله تعالى فى أول كلمات الوحى إلى نبيه ﷺ ذكر الإنسان مدللا به على قدرته فى خلقه فقال سبحانه: ﴿**اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ● خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ**﴾ (سورة العلق الآية ١، ٢) فالله سبحانه يعرّف بنفسه من خلال أنه خالق الإنسان؛ لذا كان الإسلام بأصوله العقدية ومقرراته التشريعية من عبادات ومعاملات يدور فى فلك مصلحة الإنسان واستقامة حياته وشئون معاشه؛ لهذا كان للإسلام الأسبقية فى حقوق الإنسان حيث قرر الرسول الكريم والمربى العظيم فى مؤتمر الحج الأكبر فى عرفة حقوق الإنسان فى خطبة الوداع حيث رسم الرسول ﷺ فى حجة الوداع الإطار العام لحقوق الإنسان حيث إنه نص على: صون الحياة وعصمة الإنسان بتحريم العدوان عليه فى قوله: «**أن دماءكم وأموالكم وأعراضكم حرام عليكم**» .... وبتحريم الثأر والانتقام لما قد وقع قبل الإسلام فى قوله: «**وان كل دم موضوع**» أى مهدر لا اعتبار له وأما صون الملكية فهى فى قوله «**وأموالكم**» ... لا يحل لإمرئ من أخيه شىء» وصون سمعة الإنسان وشرفه ومنع العار عنه فى قوله «**وأعراضكم**» وتكريم المرأة ورعايتها فى قوله: «**استوصوا بالنساء خيرا**» وأما تقرير مبدأ المسئولية الشخصية بمعنى أن المساءلة تقع على الفاعل ليس إلا، فلا يؤخذ أحد بجريرة غيره مهما تكون الصلة بينهما، ثم تقرر الوثيقة النبوية «التكافل الاجتماعى» فالمسلم أخو المسلم، وهذا مبدأ أصيل فى نظام الإسلام ومبدأ التضامن الاجتماعى فى الإسلام يمتاز بالشمولية فهو يشمل جميع مواطنى الدولة وجميع وجوه العجز والحاجة، فمقررات الحقوق إلزامية فى الإسلام؛ لأنها تتصل بمقاصد الشريعة وأبعادها الغائبة إلخ، ومن هنا يتجلى سمو الإنسان فى قراراته، وخلاصة القول: إن وثائق حقوق الإنسان فى الإسلام جماعها القرآن الكريم، وبذا كان الإسلام هو الأسبق فى تقرير مبادئ حقوق الإنسان أسبقية زمانية وأسبقية موضوعية من حيث المضمون واستيعاب جميع الحقوق ماديا ومعنويا واجتماعيا وقانونيا، وأن هذه الحقوق فى نظام الإسلام تنفرد بالإلزام وبيان المرجعية السامية التى تقرر المشروعية من عدمها وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿**إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ**﴾ (سورة الإسراء الآية ٩) إن الإسلام سبق كل المبادئ والقرارات والمواثيق التى زعمت أنها نادت بالحفاظ على الإنسان وحقوقه ومن الغرابة أن الغرب يدعى حماية حقوق الإنسان ويزعم - كذبا - أن الإسلام دين الإرهاب ويسخر كل طاقاته الإعلامية لترسيخ هذا المفهوم فى أذهان عامة الشعوب الغربية ويستغل أى حدث عارض للزج باسم الإسلام فيه، ولو دقق منصف النظر إلى ما يجرى

فى العالم لعلم أن الغرب هو المضيع لحقوق الإنسان وخاصة الإنسان المسلم، وإلا فأين حقوق الإنسان فى فلسطين؟ وأين حقوق الإنسان فى كشمير؟ وأين حقوق الإنسان فى الشيشان وما جرى فى العراق؟ لاشك أنه انفصام فى الفهم عند هؤلاء الغربيين غير المنصفين ولو أنهم تدبروا جيدا وبحيادية ما أعلنه الرسول ﷺ فى حجة الوداع وما يعلنه الحجيج فى جمعهم كل عام لعلموا أن الإسلام يحمى حقوق البشر جميعا من منطلق الأخوة الإنسانية التى أعلنها الرسول ﷺ فى خطبة الوداع «**كلكم لآدم وآدم من تراب**» فما أعظم مجتمع الحجيج الذى يبدو فيه عالمية الإسلام لذا كان من المحتم على خطابنا الدينى أن يحدد منطلقاته وأدواته وأن يجعل من الدين دافعا للتقدم وألا يعطى الفرصة للعابثين والمضللين والمنظرين وغيرهم على اختلاف اتجاهاتهم وأهدافهم لشغل الفراغ الفكرى ومن ثم نشر سمومهم، فعلى الداعية أن يختار كلامه ويعطى للاختيار وقتا كافيا فالكلمات كالثمار تحتاج لوقت حتى تنضج، إن واجب العلماء والمفكرين أن يشغلوا جماهير الشعب بهموم أمتهم ويلفتوا انتباههم وعقولهم وقلوبهم إلى ضرورة التركيز عليها، والتنبيه إليها والسعى الجاد لتغريبها وبذلك يتوزع العبء الثقيل على العدد الكبير فيسهل القيام به فما أحوجنا إلى أن نحرص على المعنى الصحيح للدين لأن من يدعى التوكل دون الأخذ بالأسباب فهو غافل وعليه أن يتمثل معنى التوكل الصحيح وحقيقته فى اعتقاده وسلوكه؛ لأن معرفة الداء قد يسهل وصف الدواء فالغرب كما يقول الصحفى السويسرى: «تنجر» قد ظلم الإسلام والمسلمين؛ لأنه لم يفهم دين الإسلام جيدا وتعامل معه منذ قرون بسطحية، والإنسان عدو ما جهل.

وفى النهاية نزف التهنئة الخالصة بمناسبة عيد الأضحى المبارك إلى الشعب المصرى وإلى المسلمين

قال الله تعالى :

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾﴾

سورة الحجرات

فى مشارق الأرض ومغاربها داعيا الله عز وجل أن يهل علينا هذا العيد ومصر الحبيبة قد تجاوزت كل مشاكلها وحفتها بشائر السلام والنصر والعزة، ولعل آمالنا وآمال الأمة الإسلامية فى أقطار الأرض كافة متعلقة بهذه المناسبة العظيمة وما فيها من معانى التضحية والرحمة والإخاء والتجديد والتغيير نحو الأفضل، كما تتعلق آمالنا وآمالهم بالمستقبل وما يتيحه من أسباب التقدم وتعزيز فرصهم فى مضمار التنافس الحضارى، وأن تتهيأ السبل والوسائل لمعالجة كل الأوضاع بالحكمة وحسن السياسة؛ فلنتفاءل بعيد التضحية والفداء وببشائره فى ظل العهد الجديد الذى يحمل الخير والحب والهناء والاستقرار، وعلى عشاق الدم والجريمة أن يعلموا بأنهم سيهزمون ويولون الدبر فمصر هى الدولة العصية والباقية بإذن الله رغم أنف الحاقدين والمتآمرين ﴿**وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ**﴾ (سورة الشعراء الآية ٢٢٧) وصدق من قال:

ففجر الحق محتوم البزوغ

وليل الظلم محتوم الفرار

فليكن الأمل رائدنا والعمل قائدنا وسنجنى بمشيئة الله ثمار ما نغرس.

وكل عام ومصر وشعبها والأمة العربية والإسلامية بخير وسلام - والله المستعان.

الحج
منافعه وبعض أسراره الاجتماعية

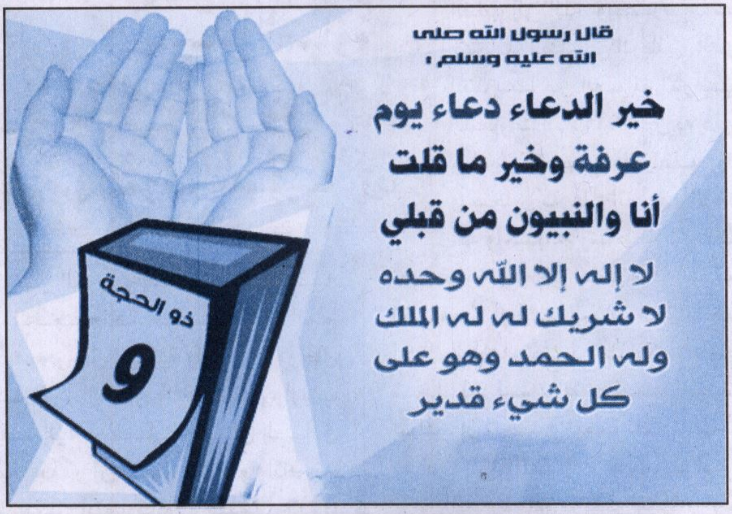

د. طه عبد السلام خضير*

منافع الحج

يقول الله تعالى: ﴿وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ • لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ﴾ (الحج: ٢٧، ٢٨).

لقد أوجب الله الحج على المستطيعين من عباده؛ لمنافع ينعمون بها، ولمصالح تعود عليهم بكثير من الخيرات والبركات، هذه المنافع التى جعل الحج سبيلا إلى شهودها والحصول عليها، والتى نصت عليها الآية فى صراحة عامة مطلقة، وهى بهذا الإطلاق كثيرة ومتنوعة، دنيوية ودينية، مادية ومعنوية، أو بعمومها، فهى تتناول كل ما يصلح الفرد والمجتمع، وما أكثر المنافع فى الحج لقوم يتدبرون.

فى الحج تدريب ورياضة على الصبر واحتمال المشاق، وفيه تقريب للأبعاد، وتأليف للأضداد من شتى البلاد، ثم فيه تعارف وتآلف، وفيه تعاون وتكاتف، ذلكم التعاون والتكاتف بين قوم على طهر لابد أن يثمر الحب فى الله، وفيه تجرد للجسم من المخيط، وللقلب من الأوزار، وفيه مغفرة وتوبة بعد ندم على الخطأ والزلل، وفيه تذويب للفوارق، وتحقيق للمساواة، هذه المساواة التى تبرز فى الحج عامة شاملة بين جميع الأجناس والألوان، وفى كل الأعمال على أوسع نطاق.

ومن أهم المنافع وأعظمها أجراً، وأكثرها على المسلمين خيراً وبركة، أن الحج مؤتمر عام للمسلمين، ومجلس أمن ربانى.

والأمن هنا حقيقى وشامل، أما أنه حقيقى فلأنه غير خاضع لنفوذ البشر، وأما أنه شامل فلأنه يشمل الإنسان والحيوان والشجر؛ لأن المكان «مكة» هى البلد الأمين، بلد الله الحرام، لا يعضد شجرها ولا ينفر طيرها.

* أستاذ بجامعة الأزهر.

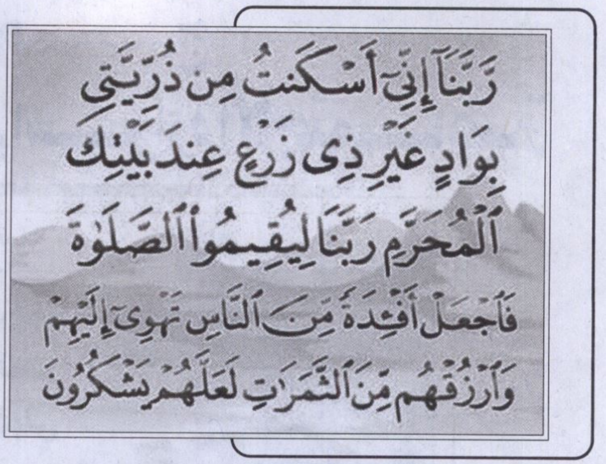

هذا المؤتمر الإلهى الكريم يجب أن تشترك فيه مختلف طوائف الحجيج، فيحضره رجال العلم والدين، ويشارك فيه رجال التربية والثقافة، ورجال التخطيط والتنظيم، ورجال المال والاقتصاد، وأرباب الفكر والرأى، ويفد إليه أصحاب الإيمان الصادق والأهداف السامية، جدير أن يسهم هؤلاء وأولئك فى دراسة مشاكل المسلمين أينما كانوا وحيثما وجدوا، وأن يتناصحوا، جدير بهم أن يتعاونوا على إيجاد أنسب وأكرم الحلول لها، ثم يعودون إلى أوطانهم، سعداء ظافرين بوحدة الكلمة واتحاد الجهد، وبإحباط كيد الأعداء المتآمرين.

ولعل فى هذا ما يفسر المراد من كلمة الأفئدة، التى جاءت فى دعوة إبراهيم عليه السلام لذريته، التى أسكنها عند بيت الله المحرم، حيث قال: ﴿**رَّبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ الصَّلاَةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ**﴾(إبراهيم: ٣٧)، فكافأهم الله تعالى، فجعل أفئدة من الناس تهوى إليهم، فإن كلمة الأفئدة لا تعنى مجرد الأشباح، التى تغدو وتروح، جاهلة بأسرار الحج، لا تعرف غير أعماله الشكلية، إنما تعنى الأرواح والقلوب، التى تقدر ما ينبغى أن يكون لهذا الاجتماع، الحاشد فى مكان الذكريات الخالدة، وفى ظل عبادة الله من أهداف سامية كريمة، من شأنها أن توفر للمسلمين أسباب القوة والمنعة، وأن تحقق لهم الأمن والرخاء .

وإن من أبرز المنافع فى الحج: تثبيت أعظم أركان الدين، وهو التوحيد، وتمكينه فى قلوب المسلمين، وتحقيق معنى العبودية والإخلاص لله، ولهذا كان الشعار الذى يصحب الحاج فى معظم المراحل، ويوجه القلب إلى الله، ويصرفه عما سواه، هذا النشيد القدسى الربانى، الذى ينتزع النفس انتزاعًا من العوالم الأرضية إلى ملكوت السماوات العلا، يسجلون به على أنفسهم أسمى معانى الإخبات والخضوع والاستجابة لله، ويسجلون به على أنفسهم الاعتراف بوحدانية الله وأحديته، وسلطانه فى فضله، وإنعامه فى تصرفه وتدبيره فى استحقاقه لعظيم الحمد وجزيل الثناء، هذا النشيد الخالد الذى تتجاوب مع أصواته أجواء الفضاء، نشيد التلبية والاستجابة لله وحده لا شريك له: **لبيك اللهم لبيك.. لبيك لا شريك لك لبيك.. إن الحمد والنعمة لك والملك.. لا شريك لك.**

بعض أسرار الحج الاجتماعية

إن الحج عبادة فرضت لصلاح الجماعة الإسلامية لا لصلاح كل حاج على انفراد، إذ لو كان الأمر كذلك لجاء وجوبه على مدار أيام العام، ولحج الناس فرادى، وفى أى وقت يشاءون، ولكن النظام الذى وضعه المشرع الحكيم له، يؤكد هذه الغاية الاجتماعية، فقد فرضه الله على المستطيعين فى أشهر معلومات، يتوافد فيها القادمون إلى مكة من كل فج عميق حتى يجمعهم مكان واحد، ويلتئم شملهم فى يوم واحد، هو يوم عرفة، خير الأيام، وأحبها إلى الله، وحين ذاك ينعم الحجيج بفضيلتين: فضيلة التلاقى، وفضيلة التقرب.

أما الفضيلة الأولى: فإنهم يلتقون فى صعيد واحد، حيث يتعرف أبيضهم بأسودهم، وغنيهم بفقيرهم، وشرقيهم بغربيهم، وقد زال أو تلاشى فى حرارة الطهر والقداسة ما بين أقطارهم من مسافات بعيدة، واختلاف فى اللغة والثقافة، ونظام الحكم وتقاليد الاجتماع .

أرى الناس أفواجًا ومن كل بقعة
إليك انتهوا من غربة وشتات
تساووا فلا الأنساب فيها تفاوت
لديك ولا الأقدار مختلفات

أما الفضيلة الثانية: فهى أن الله تعالى يتجلى على أهل عرفات برحمته وإحسانه، وعفوه وغفرانه، ويمنحهم الفوز والرضوان، فيكون هذا اليوم أسعد يوم فى حياة ضيوف الرحمن، ويكون أصعب وأشق يوم على الشيطان . روى الترمذى والبيهقى عن طلحة بن عبيد الله أن رسول الله ﷺ قال: «**ما رؤى الشيطان يوماً هو فيه أصغر ولا أدحر ولا أحقر ولا أغيظ منه فى يوم عرفة وما ذاك إلا لما يرى فيه من تنزل الرحمات وتجاوز الله عن الذنوب العظام**».

الحج عبادة قصد بها الإسلام تأكيد الأخوة بين المسلمين، ويظهر هذا واضحًا فى توحد القلوب، وتوحد الذكر، وتوحد المظهر، وتوحد الشعائر، لا فرق بين أجناس المسلمين، وقبائلهم ومواطنهم، ولغاتهم وألوانهم، وثقافاتهم وأحوالهم الاجتماعية، وهذا واضح لا فى شعيرة، بل فى جميع شعائر الحج، فى الإحرام والتلبية، فى الطواف والسعى، فى الوقوف والمبيت، مساواة مطلقة، لا يمتاز فيها غنى على فقير، ولا عظيم على حقير، ولا رئيس على مرؤوس، ولا عربى على أعجمى، الكل يؤدون المناسك لله، متآخين متعاونين، متضامنين، هذه الأخوة التى نبتت ونشأت فى هذا الجو النقى الطهور لا ينبغى أن يكون عمرها محدودًا بنهاية أيام الحج، فإذا ما فرغ الحجاج وعاد كل حاج إلى وطنه انتهت هذه الألفة والأخوة وانتهى كل شىء.

إن الشأن فى مثل هذه الأخوة المبرأة عن الغرض والهوى إنها تبقى طويلاً، وتثمر ثمارًا طيبة، فما كان لله دام واتصل، وما كان لغير الله انقطع وانفصل .

ولابد لمن تآلفت قلوبهم أثناء الحج من عمل إيجابى مشترك؛ من أجل بقاء هذه الأخوة الغالية وتنميتها، وحمايتها من النمامين والمفرقين، وذلك كالتزاور والتراسل كلما أمكن ذلك.

من أجل هذا المعنى طلب الله من الحجيج أن يتمثلوا آثار المشاعر والمناسك أثناء الحج فى نفوسهم، وأن يبقوا عليها بعده، ويرعوها حق رعايتها. يقول الله تعالى: ﴿**فإذا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُواْ اللّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا**﴾ (البقرة:٢٠٠).

كان العرب إذا فرغوا من مناسك الحج عادوا إلى ما كانوا فيه، من التفاخر بالأحزاب والأنساب، وأخذت كل قبيلة تعدد أمجادها ومناصبها.

فلما جاء الإسلام طلب منهم أن يشغلوا أنفسهم بعد الفراغ من مناسك الحج بالحديث عن الله، وأن يكون حرصهم على ذكره أشد من حرصهم على ذكر آبائهم وأمجادهم ومفاخرهم، فإن فى ذكر الله ضماناً أكيداً؛ لبقاء هذه الأخوة، التى تعارفت به، واجتمعت على حكمته، وتعانقت أرواحها فى محبته، وقد صح عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**إن من عباد الله ناسا ما هم بأنبياء ولا شهداء يغبطهم الأنبياء والشهداء يوم القيامة من مكانهم من الله**»، قالوا يارسول الله فأخبرنا من هم؟ قال: «**هم قوم تحابوا بروح الله على غير أرحام بينهم ولا أموال يتعاطونها فوالله إنّ وجوههم لنور وإنهم لفى نور لا يخافون إذا خاف الناس ولا يحزنون إذا حزن الناس ثم قرأ قوله تعالى: ﴿أَلا إِنَّ أَوْلِيَاء اللّهِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ الَّذِينَ آمَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَياةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ لاَ تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾**» (يونس: ٦٢- ٦٤) (رواه ابن حبان فى صحيحه).

إن لهذه الفريضة الاجتماعية بركات عامة، يجب أن تشمل مجتمعك الكبير، تشمل أهلك وجيرانك وأصدقاءك وجميع مواطنيك، يجب أن تشمل مجتمعك فى وطنك عندما تعود إليه، يجب عليك حينما تقدم لأهلك وأحبابك الهدايا المادية التذكارية أن تقدم لهم ولغيرهم فى نفس الوقت هدايا أخرى معنوية فى غاية الأهمية، هدايا لا تكلفك أكثر من قلب زكى، ولسان طرى، ووجه طلق بشوش، هدايا هى دين ثابت، وخلق كريم، ومعاملة حسنة، ودعوة للبر، وجهر بالحق، وأمر بالمعروف ونهى عن المنكر، وبذل المساعدة للضعيف، وإغاثة الملهوف ...

وبعد: فإذا فرغ الحجاج من مناسك الحج وأعماله، عليهم أن يتأملوا: هل فهموا حقاً غاياتهم والتزاماتهم، وهل حققوا فى أنفسهم هذه الغايات والالتزامات؟ التى تحدثت عنها آيات الكتاب الكريم، وأحاديث الرسول العظيم، ثم ليسألوا الله الذى وفقهم أن تبقى معهم بركات الحج ونفحاته طوال العام، بل طول عمرهم، داعين الله عز وجل أن يكرمهم بعود سعيد إلى حج بيته، مرددين قول القائل:

ياحبذا الموسم من موعد
ويا حبذا الكعبة من مشهد

الإحصار فى الحج

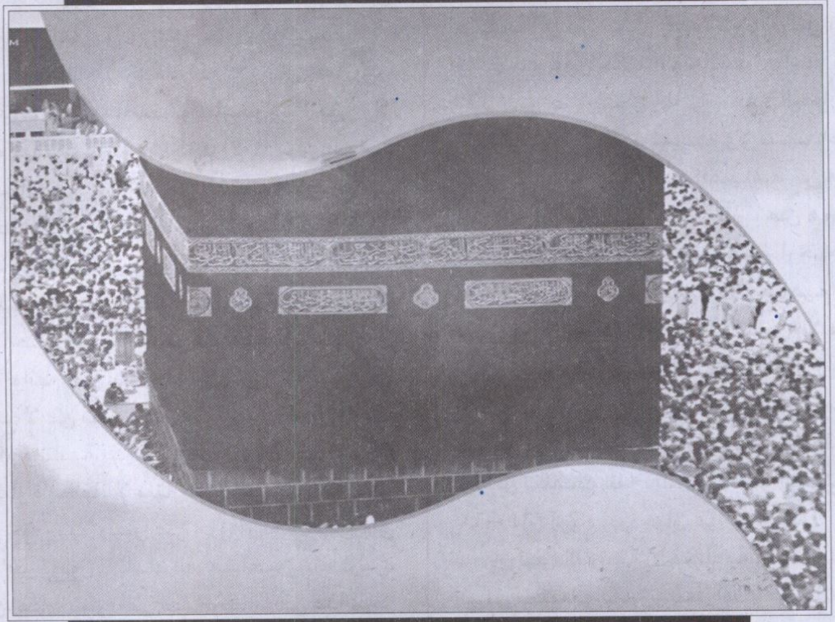

يقول الله تعالى: ﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ﴾ (البقرة: آية ١٩٦).

المطلب الأول: المعنى العام للآية:

الحج: لغة القصد ، وخصه الشرع بوقت مخصوص ، وبموضع مخصوص، على وجه معين، على الوجه المشروع.

والعمرة لغة: عبارة عن الزيارة ، وشرعا: عبارة عن زيارة البيت ، خصصته الشريعة ببعض موارده وقصرته على معنى من مطلقه(١).

د. سيف رجب قزامل*

بعد أن ذكر الله تعالى أحكام الصيام، وعقب بذكر الجهاد شرع المولى سبحانه وتعالى فى بيان المناسك، فأمر بإتمام الحج والعمرة، وقد اتفق العلماء على أن من شرع فى الحج أو العمرة عليه أن يتمهما، غير أن الخلاف بينهما هنا فى المراد بالإتمام . فيرى بعضهم أن تحرم من أهلك لا تريد إلا الحج والعمرة، وتهل من الميقات، لا أن تخرج لتجارة، ولا لحاجة حتى إذا كنت قريبا من مكة. قلت لو حججت أو اعتمرت، وذلك يجزئ، ولكن التمام أن تخرج قاصدا للحج أو العمرة فقط، أو هما معا، فإن منع مريد الحج أو العمرة مانع من تمامهما كالعدو أو المرض أو غير ذلك من الموانع ـ التى اختلف

* أستاذ بجامعة الأزهر.

الفقهاء فى حصرها - وأراد أن يتحلل، أى يخرج من الإحرام، بعد أن رأى الحاج صعوبة الوصول إلى بيت الله الحرام وأداء النسك لظروف الصد عن بيت الله الحرام، وضيق الوقت وصعوبة اللجوء إلى طريق آمن غير ذلك، فعلى الحاج أن يذبح هديا(٢) بدنة أو شاة أو غيرها من الأزواج الثمانية على خلاف، ونهى الله عن التحلل قبل أن يبلغ الهدى محله، وهو عند الجمهور - كما سنرى - فى حال الإحصار موضع الحصر؛ لأن النبى ﷺ وأصحابه عام الحديبية لما حصرهم كفار قريش من الدخول إلى الحرم ذبحوا هديهم وحلقوا حيث أحصروا(٣).

المطلب الثانى: الأحكام:

الحكم الأول: حكم العمرة:

ذهب فريق من الفقهاء إلى وجوب العمرة؛ استنادا إلى ظاهر قول الله تعالى: **﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾**، إذ اللفظ يحتمل إتمامها بعد الدخول فيها، فإن من أحرم بنسك وجب عليه المضى فيه ولا يفسخه، ويحتمل الأمر بابتداء فعلهما، فالواجب حمله على الأمرين إلى غير ذلك من الأدلة.

بينما ذهب آخرون إلى أن العمرة سنة؛ ذلك أن الله لم يذكرها فى الآيات التى دلت على فريضة الحج كقول الله تعالى: **﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً﴾** (آل عمران: الآية ٩٧)، وكذلك الأحاديث التى بينت أركان الإسلام خلت من ذكر العمرة .. إلى غير ذلك من الأدلة.

وأجابوا عن استدلال أصحاب الرأى الأول: بقوله تعالى: **﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾** بأن حمل الإتمام على الفرضية لا يكون إلا إذا شرع فى أداء العمرة مثلا ابتداء، إذ يلزمه حينئذ إتمامها.

الحكم الثانى: بم يكون الإحصار؟

اتفق الفقهاء على أن الإحصار بالعدو ثابت، غير أنهم اختلفوا فيما إذا كان المانع من إتمام الحج أو العمرة المرض ونحوه:

فالجمهور على أن الإحصار لا يكون إلا بالعدو؛ لأن الآية نزلت فى إحصار النبى ﷺ عام الحديبية، عندما منع من دخول مكة هو وأصحابه، وكانوا محرمين بالعمرة، يقوى ذلك أن قول الله تعالى فى الآية: **﴿فَإِنْ أَمِنْتُمْ﴾** يدل على أن الحصر حصر العدو لا المرض، ولأن الحصر عبارة عن المنع، ولا يقال إن الإنسان ممنوع عن كذا إلا إذا كان متمكنا منه قادرا عليه، وذلك فى العذر لا فى المرض، ويقوى ذلك ما روى عن ابن عباس - رضى الله عنهما - قال: «لا حصر إلا حصر العدو» (رواه الشافعى فى مسنده)، فأما من حبسه الله بكسر أو مرض فليس بحصر(٤).

يرى الحنفية أن الكفارات لا يقاس بعضها على بعض

بينما ذهب الحنفية - وقاله قتادة ومجاهد - إلى أن الإحصار يكون بالعدو والمرض وغيرهما(٥).

ومن الفقهاء من يرى أن المحصر هنا هو الممنوع من الحج بأى نوع، امتنع: إما بمرض أو عدو، أو حبس سلطان، أو عدم أداء دين لا يقدر على أدائه ..إلخ(٦)؛ لأن الإحصار يصدق على الإحصار بالمرض وغيره، ولو كان مراد الله تعالى تخصيص العدو بذلك دون المرض لذكر لفظا يختص به دون غيره، فلا يضر أن نزلت الآية بسبب إحصار العدو؛ إذ العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، ولما رواه الحجاج بن عمرو الأنصارى قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من كُسِر** (بضم الكاف وكسر السين) **أو وجع أو عرج** (بفتح المهملة والراء) **أى أصابه شىء فى رجله، وليس بخلقة، فإذا كان خلقة قيل: عرج بكسر الراء - فقد حل وعليه حجة أخرى**» (رواه أحمد) وفى سنن أبى داود وابن ماجة: «**من عرج أو كسر أو مرض**» ولما ثبت فى الصحيحين عن عائشة أن رسول الله ﷺ دخل على ضباعة بنت الزبير بن عبد المطلب فقالت: يا رسول الله، إنى أريد الحج وأنا شاكية فقال لها: «**حجى واشترطى أن محلى حيث حبستنى**» (رواه مسلم عن ابن عباس بمثله)(٧).

ومن جهة المعقول: إن المحصر بالعدو لما جاز له الإحلال لتعذر وصوله إلى البيت، وكان ذلك موجوداً فى المرض، وجب أن يكون فى منزلته وفى حكمه ...إلى غير ذلك من الأدلة(٨).

والذى نختاره هو قول الحنفية؛ إذ هو الذى يتفق مع يسر الشريعة الإسلامية، فإن المريض الذى مرض فى الطريق كيف يمكنه إتمام المناسك وهم يقولون: لا يحله إلا الطواف بالبيت.

الإحصار دليل على يسر الشريعة الإسلامية وسماحتها

وحكمه عند مالك أن يكون الخيار إذا خاف فوت الوقوف بعرفة لمرضه، إن شاء مضى إذا أفاق إلى البيت فطاف وتحلل بعمرة، وإن شاء أقام على إحرامه إلى قابل(٩).

ومما أورده الحنفية على الشافعية قول الشافعى فى الحرمة إذا منعها زوجها والمحبوس: أنهما محصران وجائز لهما الإحلال(١٠)، فلا شك أن هذا يقوى ما ذهب إليه الأحناف.

ومما يلفت إليه النظر أن الإحصار عام فى الحج أو العمرة عند جمهور الفقهاء، فقول الله تعالى:﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾ ثم قوله بعد ذلك: ﴿فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ﴾، ذلك حكم عام لهما جميعا، وغير جائز الاقتصار على أحدهما دون الآخر.

بينما ذهب بمحمد بن سيرين إلى أن الإحصار يكون من الحج دون العمرة، وحجته أن العمرة غير مؤقتة، وأنه لا يخشى الفوات.

يرد على ذلك: ما قاله الجمهور فى وجه الاستدلال بالآية، وكذلك ما كان فى صلح الحديبية، وكذلك فى الصبر على زوال العدو ضرر(١١).

الحكم الثالث: ما يجب على المحصر:

يجب على المحصر هدى، سواء كان مفرطا أم غير مفرط، كما يرى الجمهور، لقوله تعالى: ﴿فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ﴾، ولأن النبى ﷺ أهدى عن نفسه وعن أصحابه البدنة عن سبعة والبقرة عن سبعة.

وروى عن ابن القاسم أن الهدى على من فرط.

ويرد عليه بما سبق.. وروى عنه وعن الإمام مالك: أنه ليس على من صد عن البيت فى حج أو عمرة هدى إلا أن يكون ساقه معه، ومن أدلتهم أن النبى ﷺ إنما نحر يوم الحديبية هديا قد كان أشعره وقلده حين أحرم بعمرة، فعاد واجبا بذلك ولم يكن هدى تحلل(١٢)، إلى غير ذلك من الأدلة.

أما عن نوع الهدى: ففى ذلك خلاف للسلف :

فروى عن عائشة وابن عمر أنهما قالا لا يكون الهدى إلا من الإبل والبقر، وقال ابن عباس وعلى: شاة، وهو ما عليه جمهور أهل العلم، وروى عن ابن عباس بقدر يساره، إن كان موسرا فمن الإبل، وإلا فمن البقر، وإلا فمن الغنم.

ويرى أبو حنيفة ومالك والشافعى وغيرهم أن الهدى من الأصناف الثلاثة (الإبل والبقر والغنم)، وهو قول ابن شبرمة، فقد ثبت فى السنة أن الرسول

ﷺ أهدى مرة غنما. وقد خص البعض الهدى من الإبل والبقر، وذكر بعضهم أن الأفضل فى الهدى: الإبل ثم البقر ثم الغنم؛ لأن النبى ﷺ قال: «**من اغتسل يوم الجمعة غسل الجنابة ثم راح فكأنما قرب بدنة، ومن راح فى الساعة الثانية فكأنما قرب بقرة، ومن راح فى الساعة الثالثة فكأنما قرب كبشا أقرن.. إلخ**»(١٣) (متفق عليه).

وقد اختلف الفقهاء فى جواز الشركة فى دم الهدايا الواجبة: فعند الحنفية والشافعية وغيرهما: تجوز البدنة عن سبعة، والبقرة عن سبعة.

وقال مالك: يجوز ذلك فى التطوع لا الواجب.

ويرد على ذلك: أن ما رواه جابر عن النبى ﷺ أنه جعل يوم الحديبية البدنة عن سبعة، وتلك كانت واجبة؛ لأنها كانت عن إحصار(١٤).

الحكم الرابع : أين يذبح المحصر الهدى؟

١- روى عن ابن مسعود وابن عباس وعطاء وغيرهم - وهو اختيار الحنفية - أنه يذبح فى الحرم. ومن أدلتهم: أن قول الله تعالى: ﴿**وَأُحِلَّتْ لَكُمُ الْأَنْعَامُ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ • حُنَفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ • ذَٰلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ • لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ مَحِلُّهَا إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ**﴾ (الحج: الآيات ٣٠ - ٣٣)؛ إذ إنه عام فى سائر الهدايا، وأيضا فيه معنى المحل الذى أجمل ذكره فى قول الله تعالى: ﴿**حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ**﴾. وكذلك قول الله تعالى فى جزاء الصيد ﴿**هَدْيًا بَالِغَ الْكَعْبَةِ**﴾؛ إذ جعل المولى بلوغ الكعبة من صفات الهدى، فلا يجوز شىء منه دون وجوده فيه(١٥).

٢- يرى مالك والشافعى وأحمد فى رواية أنه يذبح فى الموضع الذى أحصر فيه ويحل؛ كما فعل النبى ﷺ بالحديبية، لأن الهدى تابع للمهدى، والمهدى حل بموضعه، فالمهدى أيضا يحل معه، ولا يتعارض ذلك مع قوله تعالى: ﴿**حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ**﴾، وكذلك مع قوله: ﴿**وَالْهَدْيَ مَعْكُوفًا أَنْ يَبْلُغَ مَحِلَّهُ**﴾ (الفتح: آية ٢٥)، فإن صاحب الهدى كذلك حل فى موضعه، كذلك هديه يحل معه، أو أنه يراد به الأمن الذى يمكنه الوصول إلى البيت.

٣- روى عن ابن عباس: إذا كان يستطيع البعث به إلى الحرم وجب عليه، وإلا ينحره فى محل إحصاره.

وروى عن قتادة وإبراهيم: يبعث بهديه إن أمكن، فإذا بلغ محله صار حلالا.

وسبب الخلاف فى ذلك هو تفسير المحل: هل هو اسم للزمان الذى يحل فيه التملك أو أنه اسم للمكان(١٦).

ويسهل الآن - على القول بوجوب الذبح فى الحرم - الاتصال بقريب فى أرض الحرم والمناسك وتوكيله بشراء الهدى وذبحه، وإعلامه بوقت الذبح.

الحكم الخامس: وقت ذبح هدى الإحصار:

اتفق الفقهاء على أن ذبح العمرة غير مؤقت؛ إذ للمحصر أن يذبح متى شاء ويحل، فقد كان النبى ﷺ وأصحابه محصرين بالحديبية، وكانوا محرمين بالعمرة، فحلوا منها بعد الذبح، وكان ذلك فى ذى القعدة.

ولكن الخلاف فى هدى الإحصار فى الحج:

١- فيرى أبو حنيفة ومالك والشافعى وأحمد فى رواية أنه للمحصر أن يذبحه متى شاء ويحل قبل يوم النحر؛ لظاهر قوله تعالى: ﴿**مَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ**﴾، إذ يقتضى جواز الذبح، وأنه غير مؤقت، وفى القول بالتوقيت بيوم النحر مثلا تخصيص للفظ بغير دليل.

٢- ويرى أبو يوسف والثورى ومحمد وأحمد فى رواية أنه لا يذبح قبل يوم النحر؛ مراعاة لظاهر قول الله تعالى: ﴿**حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ**﴾.

يرد على ذلك: بأن وقته وقت حل المهدى، وقد حل باليأس عن البلوغ إلى يوم النحر(١٧).

الحكم السادس: : هل على المحصر حلق:

دل قول الله تعالى: ﴿**وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ**﴾ على النهى عن حلق الرأس فى الإحرام للحاج والمعتمر

جميعا، لأنه معطوف على قوله: ﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾ ويشمل ذلك أيضا حلق رأس الغير، لاحتمال اللفظ الأمرين، كما فى قول الله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ (النساء: الآية ٢٩) غير أن الفقهاء قد اختلفوا حول وجوب الحلق على المحصر (مع مراعاة أن السنة فى النساء التقصير).

١ـ يرى أبو حنيفة ومحمد والشافعى فى قول أنه لا حلق عليه، فإذا لم يحلق فلا شىء عليه، وحجتهم: أن الحلق إنما ثبت نسكا مرتبا على قضاء المناسك، ولم يثبت على غير هذا الوجه، فغير جائز إثباته نسكا إلا عند قيام الدلالة، ولما سقط عن المحصر سائر المناسك (كالطواف والسعى) سقط الحلق.

٢ ـ يرى أبو يوسف فى رواية أنه لا بد من الحلق، ومن أدلته قول النبى ﷺ: «**رحم الله المحلقين**» ثلاثًا، ودعا للمقصرين مرة، وذلك فى عمرة الحديبية عند الإحصار، فدل ذلك على أنه نسك، وإذا كان نسكا وجب فعله، كما يجب عند قضاء المناسك لغير المحصر.

ولم يختلفوا فى أن المرأة إذا أحرمت تطوعا بغير إذن زوجها فللزوج أن يحللها بغير تقصير، وهذا يدل على أن الحلق غير واجب على المحصر؛ إذ هى فى تلك الحالة بمنزلة المحصر(١٨).

الحكم السابع: ما يجب على المحصر بعد إحلاله من الحج بالهدى:

١ ـ عليه عمرة وحجة: فإن جمع بينهما فى أشهر الحج فعليه دم، وهو مروى عن عبد الله بن مسعود ومجاهد، وقال به الحنفية (وذلك إذ لم يتمكن فى خلال هذا العام وإلا لما كان عليه عمرة).

وإن كان مهلاّ بحج وعمرة (قارنا) قضى حجة وعمرتين، أما قضاء الحج والعمرة فلوجوبهما بالشروع،، أما العمرة الأخرى فلفوات الحج فى عامه ذلك؛ لأن العمرة تتعين بالإحصار؛ لأنها أقل الواجبين.

وإن كان مهلا بعمرة قضى عمرة..

ومن أدلتهم حديث رواه الحجاج بن عمرو الأنصارى (من كسر أو عرج فقد حل وعليه حجة أخرى أو عمرة أخرى).

وقالوا: إن اعتمار النبى ﷺ فى العام القادم من عام الحديبية إنما كان قضاء لتلك العمرة. وروى عن الشافعى عليه حجة فقط.

٢ ـ لا قضاء عليه لحجه ولا عمرته، وهو لمالك والشافعى وأحمد فى رواية؛ لأن الله أوجب عليه ما استيسر من الهدى خاصة ولم يذكر قضاء، وأيضا لم يأمر الرسول ﷺ أحدا من أصحابه ولا من كانوا معه أن يقضوا شيئا ولا أن يعودوا بشىء، ولا يؤثر فى ذلك تسميتها بعمرة القضاء ؛ إذ إن الرسول ﷺ قاضى قريشا وصالحهم فى ذلك العام على الرجوع عن البيت وقصده من قابل، فسميت بذلك عمرة القضاء(١٩).

الحكم الثامن: الاشتراط فى الحج:

الاشتراط فى الحج أن يقول المحرم إذا أهل: لبيك اللهم لبيك ومحلى حيث حبستنى من الأرض، فهل ينفع ذلك المحرم إذا خاف الحصر بمرض أو عدو، وحينئذ يتحلل ولا دم عليه ولا صوم ولا قضاء كما يرى بعض الفقهاء؟

١ ـ يرى أبو حنيفة ومالك وأصحابه وغيرهم أنه لا ينفعه.

٢ ـ يرى أحمد وإسحاق بن راهويه وأبو ثور أنه لا بأس به وله شرطه؛ لحديث ضباعة بنت الزبير بن عبد المطلب أنها أتت رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله إنى أريد الحج، أشترط؟ قال: «**نعم**»، قالت: فكيف أقول؟ قال: «**قولى لبيك اللهم لبيك، ومحلى من الأرض حيث حبستنى**» (رواه أبو داود والدارقطنى وغيرهما).

قال الشافعى: لو ثبت حديث ضباعة لم أعده، وكان محله حيث حبسه الله(٢٠).

الحكم التاسع: هل يجوز قتال الحاصر:

١ ـ إن كان الحاصر كافرا لم يجز قتاله ولو وثق المحصر بالظهور عليه، (إلا أن يبدأ الكافر بالقتال)، ويتحلل بموضعه؛ لقوله تعالى: ﴿وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ﴾ (البقرة: الآية ١٩١)، ولأن النبى ﷺ لم يقاتل الذين أحصروهم .

وإن كان مسلما لم يجز قتاله بحال، ووجب التحليل، فإن طلب شيئا مقابل تخليه عن الطريق جاز دفعه، ولم يجز القتال، أما جواز دفع المال لأن الحج مما ينفق فيه المال، فيعد هذا من النفقة، ولما فيه من دفع الضررين بأهونهما.

أما عدم جواز القتال؛ لما فيه من إتلاف الأنفس، وذلك لا يلزم فى أداء العبادات(٢١)..

الحكم العاشر: عدم وجود هدى:

إذا لم يجد المحصر هديا ففى ذلك خلاف للفقهاء:

١ ـ عند الحنفية: لا يحل حتى يجد هدياً، فيذبح عنه.

٢ ـ قال عطاء: يصوم عشرة أيام ويحل كالمتمتع إذا لم يجد هديا، وبه قال أحمد؛ لأنه دم واجب للإحرام، فكان له بدل ينتقل إليه، كدم التمتع، ولا يحل إلا بعد الصيام.

٣ ـ للشافعى قولان:

أحدهما: لا يحل إلا بهدى، والآخر إذا لم يقدر على شىء حل وأهرق دما إذا قدر عليه.

٤ ـ وقيل إذا لم يجد الهدى أو لم يقدر على شرائه أجزأه وكان عليه الإطعام أو الصيام.

ومنهج الحنفية ومن تبعهم: أن الكفارات لا يقاس بعضها على بعض؛ لأن الهدى دم جناية على وجه الكفارة.

غير أن القول بالأخذ بالبدل هو الأيسر، وهو الذى يتفق مع روح الشريعة الإسلامية.

الهوامش:

(١) أحكام القرآن: لابن العربى، /١١٨.

(٢) الهدى: ما يهدى إلى بيت الله من بدنة أو غيرها، كما يطلق على ما وجب على الحاج أو المعتمر بسبب موجب كترك واجب، أو فعل شىء محظور، أو كالإحصار، والتمتع، والقران.

(٣) كانوا بالحديبية خارج الحرم، وقيل: بل كانوا على أطراف الحرم (تفسير ابن كثير: ٨٤٨/١).

(٤) أحكام القرآن: للجصاص،١/ ٢٦٨.

(٥) السابق/ ص٢٦٥، ٢٢٦، نيل الأوطار: ٥/ ٢-٣، تفسير آيات الأحكام: للصابونى،١/ ٢٤٦.

(٦) بداية المجتهد: ٣٥٠/١، حاشية الدسوقى: ٩٣/٢، الكافى: لابن قدامة، ٤٦٣/١، الموسوعة الفقهية: وزارة الأوقاف بالكويت، ٢١٢/٢ وما بعدها.

(٧) تفسير ابن كثير: ٢٣١/١، نيل الأوطار: للشوكانى، ١٧٣/٥.

(٨) الجصاص: ٢٦٨/١، ٢٦٩، ابن العربى:١١٩/١، ١٢٠، وابن كثير ٢٣١/١.

(٩) القرطبى: ٨٥٧/٢.

(١٠) الجصاص: ٢٧٠/١.

(١١) السابق، ص٢٧١، الموسوعة الفقهية ١٩٦/٢وما بعدها.

(١٢) القرطبى: ٨٦٥/١.

(١٣) الكافى : لابن قدامة، ٤٦٤/١.

(١٤) الجصاص: ٢٧١/١، ابن العربى: ٢٢٢/١، الشرح الكبير وحاشية الدسوقى: ٩٣/٢، ابن كثير: ٢٣١/١- ٢٣٢، بداية المجتهد٣٥٦/٢، الكافى، ٤٦٩/١.

(١٥) الجصاص: ٢٧٢/١- ٢٧٣.

(١٦) المرجع السابق، الرازى: ١٦٣/٥، ابن العربى: ١٢٢/١، ١٢٣، القرطبى٨٥٥/١، ٨٦١، بداية المجتهد٣٥٥/٢.

(١٧) ابن العربى: ١٢٤/١، الجصاص: ٢٧٤/١، بداية المجتهد٣٥٥/٢، الكافى:٤٦١/١، ٤٦٢.

(١٨) الجصاص: ٢٧٥/١ وما بعدها، القرطبى:٨٦٣/١ الكافى، ٤٦٢/١.

(١٩) القرطبى: ٨٥٩/١ الجصاص: ٢٧٧/١، ابن العربى:١٢٢/١، بداية المجتهد: ٣٥٥/٢، الكافى:٤٦٢/١، الفقه الإسلامى وأدلته: ٢٣٥٤/٣.

والجمهور على أن المحصر بمرض أنه لا يحله إلا الطواف بالبيت، والسعى بين الصفا والمروة، أى يتحلل بعمرة ؛ لأنه إذا فاته الحج لطول مرضه انقلب عمرة (بداية المجتهد: ٣٥٦/٢).

(٢٠) القرطبى: ٨٥٧/١، ٨٥٨، ابن كثير: ٢٣١/١.

(٢١) القرطبى: ٨٥٩/١، ٨٦٠، ابن العربى:١٢٢/١، حاشية الدسوقى،٩٧/٢، الكافى: ٤٦١/١، الفقه الإسلامى وأدلته: ٢٣٤٨/٣.

شعائر الحج ..بين الإعلام الأجنبى والإسلامى

د. عبدالصبور فاضل*

يعدُ «الحج» أكبر تجمع إسلامى على مستوى العالم كله ويحظى بمشاركة جميع دول العالم سواء فى شعائره أوفى تغطيته وإبرازه إعلامياً، وهذا يجسد على أرض الواقع أمر الله تعالى: ﴿وَأَذِّنْ فِى النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ • لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِى أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ﴾ (سورة الحج: الآيتان ٢٧، ٢٨).

والأذان هو: الإعلام يقال أذنته بكذا فأذن أى أعلمته فعلم وقيل إن أصله من النداء الذى يسمع بالأذن ومعناه أوقعه فى أذنه وتأذن بمعنى آذن كما يقال تيقن وأيقن والمدة والزمان والحين نظائر وأصله من مددت الشىء مدا فكأنه زمان طويل الفسحة والمدة عند المتكلمين اسم للمعدود من حركات الفلك وهو محدث، ولذلك عندما أمر الله سيدنا إبراهيم عليه السلام أن يؤذن فى الناس بالحج قال بحكم بشريته : كيف يسمع الناس صوتى؟ فقال له : عليك الأذان وعلينا البلاغ.

﴿وأذّن﴾ ناد ﴿فِى النَّاسِ بِالحَجِّ﴾ فنادى على جبل أبى قبيس: يا أيها الناس إن ربكم بنى بيتاً وأوجب عليكم الحج إليه فأجيبوا ربكم، والتفت بوجهه يمينا وشمالا وشرقا وغربا، فأجابه كل من كتب له أن يحج من أصلاب الرجال وأرحام الأمهات: لبيك اللهم لبيك، وجواب الأمر «يأتوك رجالا» مشاة

* عميد كلية الإعلام - جامعة الأزهر.

يمثل الحج قمة الاتصال بين المسلمين الذين يلتقون فيه من كل فج عميق على اختلاف أجناسهم وألوانهم

جمع راجل كقائم وقيام وركبانا على كل ضامر أى بعير مهزول وهو يطلق على الذكر والأنثى «يأتين» أى الضوامر حملا على المعنى «من كل فج عميق» طريق بعيد.

مايلفت النظر فى كل موسم حج طريقة تعاطى الإعلام الغربى مع هذه الفريضة، حيث تقوم جميع وسائل الإعلام العالمية بتغطية خاصة لهذا الحدث وسط ذهول المتابع الأجنبى من هذه الروحانية الفريدة من نوعها، ومن هذه الأعداد الكبيرة التى تتوافد من جميع الدول هدفها الأوحد أداء فريضة الحج، وعلى الجانب الآخر تتناول بعض وسائل الإعلام الغربية موسم الحج بسطحية شديدة جدا بحيث تختزله فى جانب محدد هو السياحة الدينية كمدخل مهم فى الاقتصاد السعودى.

وفى المقابل فإن وسائل الإعلام العربية والإسلامية تكاد تحصر تغطيتها لشعائر الحج فى مجرد «نقل الحدث» والاهتمام بالجانب الاقتصادى المتمثل فى نشر الإعلانات الخاصة بهذه المناسبة الاسلامية العالمية بجانب إعلانات حملات الحج غير المرخصة.

والحقيقة أن التغطية الإعلامية لهذه الشعيرة ينبغى أن تتجاوز هذه الأمور بالتحليل العميق والتركيز على مواقف مؤثرة وربطها بطبيعة الحدث وممارسات الرسول ﷺ وصحبه الكرام وتابعيهم فى موسم الحج الأكبر،كماينبغى أن تجسد التغطية الإعلامية معنى الوحدة الإسلامية وتسليط الضوء على وفود المسلمين وعاداتهم وتقاليدهم وعلاقاتهم بالآخرين، وفى الوقت نفسه على وسائل الإعلام العربية والإسلامية أن تعقد مقابلات متعمقة مع الحجيج وتنقل لنا صورة حية ومباشرة من موقع الحدث بحيث تجعلنا نعيش الحدث بل وفى مكانها أن تعمل على التواصل بين الحجيج من جانب وبينهم وبين بقية المسلمين فى بقاع الأرض لتحقيق الهدف الأسمى من معانى الحج.

وإذا كان الاتصال الإعلامى بالمعنى الحديث، وبشكله التكنولوجى يتجاوز اللقاء المباشر والتفاعل المواجهى، فإن الحج يمثل قمة الاتصال بين المسلمين الذين يلتقون فيه من كل فج عميق على اختلاف أجناسهم وألوانهم ولغاتهم، وتتحقق فيه الدلالة الإسلامية لمعنى «الأمة» على أفضل وجه حيث جعل الله البيت العتيق مثابة للناس وأمنًا،

التغطية الإعلامية لشعيرة الحج ينبغي التركيز فيها على أفعال الرسول ﷺ وصحبه الكرام في موسم الحج

وجعل الحج من بين أركان الإسلام ومبانيه عبادة العمر وختام الأمر وتمام الإسلام، وكمال الدين فيه، على حد تعبير الإمام الغزالى - رحمه الله -.

ويمكن القول إن أول وكالة إعلام فى التاريخ أنشئت من أجل الحج ممثلة فى مراسل مرافق للرحلة يسجل كل أحداثها ثم يسبق موكب الحج أثناء عودته ليسير مسرعا للقاهرة بعد نهاية الرحلة ليبلغ السلطان والرأى العام بأحداث الرحلة وما صادفهم من مشقة وعدد الوفيات، وذلك رغم ضعف الإمكانيات الاتصالية.

أما اليوم فإن وزارة الإعلام السعودية تُعدُّ للاعلاميين مخيما فى المشاعر المقدسة فى منى وعرفات ومزدلفة مجهزا بجميع الامكانيات ووسائل الاتصال والبث التى تسهل عليهم عملهم كما تعد الوزارة برامج وانشطة وزيارات للمشاعر المقدسة والمؤسسات والاماكن الهامة مثل زيارة ميناء جدة الإسلامى والمؤسسات ذات العلاقة بالحج مثل مصنع كسوة الكعبة المشرفة وزيارة مطبعة المصحف الشريف والبنك الاسلامى وزيارة متحف عمارة الحرمين الشريفين وجولة فى قطار المشاعر المقدسة وزيارة معهد الحرمين الشريفين لأبحاث الحج والعمرة، وزيارة لمشروع متحف «السلام عليك أيها النبى» حول سيرة النبى ﷺ بمكة المكرمة وزيارة غرفة عمليات الحج بمنى فضلا عن توفير وسائل المواصلات والتنقل للضيوف من المدينة المنورة الى جدة والى مكة المكرمة واجراء الترتيبات للمقابلات الصحفية، وغير ذلك.

يجب على وسائل الاعلام العربية والإسلامية أن تدرك جيدا أن المسلمين فى أرجاء المعمورة يتطلعون لمعايشة هذه المواقف الإيمانية..كلهم شوق أن يشهدوا ماوراء التغطية الإعلامية التقليدية.. فهل يتحقق أملهم؟

الزمان والمكان فى القرآن والسنة

وادى العقيق (٢)

د. عبدالمقصود باشا*

من أودية المدينة المنورة الجبارة، يقع فى بلاد مزينة، وينقسم إلى صغير وكبير، فالكبير هذا ينقسم إلى قسمين، فيكون وادى العقيق والحالة هذه: صغير، وكبير. وأكبر، تفصيل ذلك هو: أن الصغير هو الذى فيه بئر «رومة» وتسمى بئر عثمان ؛ وفيها الوحدة الزراعية. وأن الكبير الذى فيه عروة وقصره، وكان هذا يحتوى على أكثر من سبعين قصرا من القصور الفخمة والضخمة وذلك لطيب الهواء فيه وعذوبة الماء، وأن الأكبر هو الذى فيه بئر على أو آبار على وهو المحيط الذى أنشأ فيه سيدنا على بن أبى طالب كرم الله وجه ثلاثة وعشرين بئراً.

وفى وادى العقيق الصغير والكبير والأكبر آثار ثابتة سجلها التاريخ وحفظها له فمنها ما يأتى:

١ ـ مسجد ذى الحليفة الذى كان اسمه مسجد الشجرة، وهو الذى ولدت عنده أسماء، وكان النبى ﷺ ينزله ويحرم منه، وهذا المسجد هوالذى منه الإحرام لمن يسافر من المدينة المنورة قاصدا مكة المكرمة.

٢ ـ وهناك مسجد كان النبى ﷺ ينزله ويصلى فيه مع أهله يسمى مسجد معرس، وآثاره باقية حتى يوم الناس هذا

ومن الأماكن الأثرية المشهورة بالعقيق ما يأتى:

ـ **المسناة:** اسم أرض بوادى العقيق وهى أرض المغيرة بن الأخنس.

ـ **جبل الصهوة:** موضع بنواحى المدينة المنورة من أودية العقيق المهمة، وفيه صدقة سيدنا عبد الله بن عباس رضى الله عنهما.

ـ **زغابة:** آخر العقيق الصغير غربى مشهد سيدنا حمزة رضي الله عنه.

* أستاذ التاريخ بجامعة الأزهر

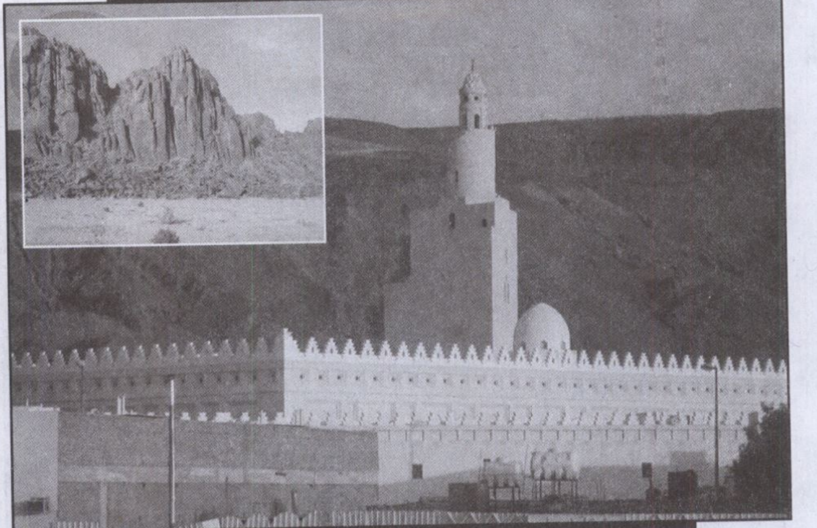

(**عقيق المدينة**) ومن عظمته ومكانته فى القلوب خص بالمؤلفات الضخمة,وقد كان له ماض يعيش الأدب والأدباء فى أكنافه فى مختلف عصور الأدب العربى؟

وصفه وتغنى به كثير من الشعراء والأدباء ومن ذلك قول الشاعر:

ولقد أتيت إلى العقيق فشاقنى
عين بها روض النعيم منعم
فلأهلها من أجلها أنا مكرم
ولأجل عين ألف عين تكرم

ومما سجل التاريخ الأدبى ما قالته الخنساء فى رثاء أخيها صخر بعد قتله فى العقيق:

أفيضى من دموعك واستفيضى
وصبرا إن أطقت ولن تطيقى
وقولى إن خير بنى سليم
وغيرهم ببطحاء العقيق

كان لعقيق المدينة ماض يعيش الأدب والأدباء فى أكنافه فى مختلف عصور الأدب العربى

قصة العقيق

كان رسول الله ﷺ قد أقطع بلال بن الحارث المزنى بعض العقيق بطلب منه وكتب له بذلك كتابا هذا نصه: بسم الله الرحمن الرحيم

هذا ما أعطى محمد رسول الله ﷺ بلال ابن الحارث المزنى أعطاه من العقيق ما أصلح فيه معتملا إن صدق» ولكن بلال بن الحارث المزنى أهمل العقيق لفقره وعدم استطاعته العمل فى عهد رسول الله ﷺ، وفى عهد خليفته الأول الصديق رضي الله عنه، فلما كان عهد عمر بن الخطاب أمير المؤمنين طلبه عمر رضي الله عنه وقال له: «يا بلال إن قويت على ما أعطاك رسول الله ﷺ وإن لم تعتمله أقطعته بين الناس»، فقال له بلال: يا ابن الخطاب أتأخذ منى ما أعطانى رسول الله ﷺ؟فقال عمر رضي الله عنه: «إن رسول الله ﷺ قد اشترط عليك فيه شرطا».

وقال له: إن رسول الله ﷺ إنما أعطاك لتعمر ولم يعطك لتحجر، وأنت تعلم أن رسول الله ﷺ لم يكن يمنع شيئا سئله، وإنك سألته أن يعطيك العقيق فأعطاكه والناس يومئذ قليل لا حاجة لهم به، وقد كثر أهل الإسلام الآن واحتاجوا إليه فانظر ما ظننت أنك تقوى عليه فأمسكه واردد إلينا ما بقى نقطعه بين الناس، فأبى بلال ذلك، فترك عمر بيد بلال بعضه وأقطع للناس ما بقى، فلما لم يعمل بلال شيئا فيما تركه له عمر بن الخطاب مدة من الزمن عاد إليه عمر فانتزعه منه وأقطعه للناس.

دروس من فريضة الحج

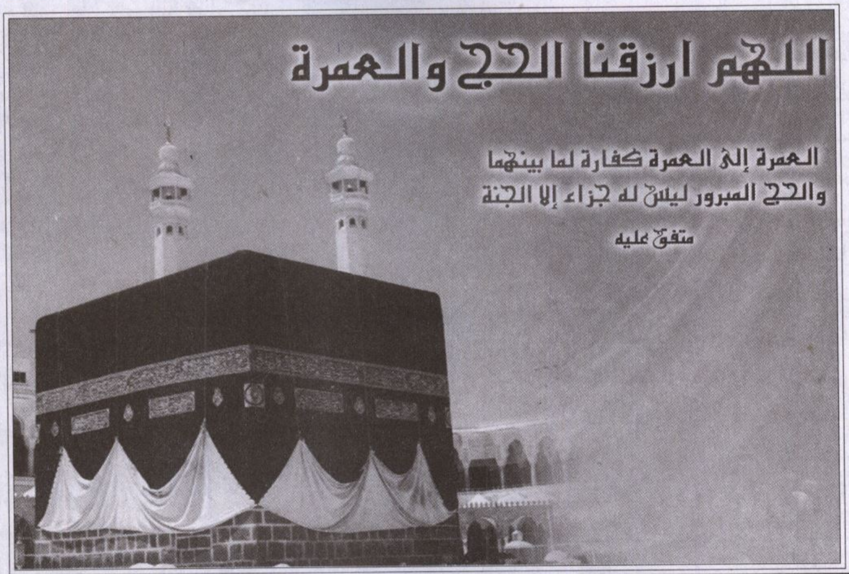

الشيخ : رسمى عجلان*

لقد فرض الله تعالى علينا الحج إحياء لملة أبينا إبراهيم عليه السلام وتحقيقاً لدعوته حين قال: ﴿رَبَّنَا إِنِّى أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلاَةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِى إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾ (إبراهيم:٣٧)، فقال له المولى عز وجل: ﴿وَأَذِّن فِى النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾ (الحج:٢٧)، ثم نتعلم منه الدروس والعبر، وخاصة أننا الأمة الخاتمة، ونبينا هو خاتم المرسلين وسيد ولد آدم يوم الدين بلا فخر، وحدث جليل وعظيم مثل هذا الحدث ـ مؤتمر الحج الأكبر ـ يمر على أمتنا مر الكرام ولا نعيره القلوب والآذان لشىء محال، ففى كل عام فى مثل هذه الأيام يتجمع المسلمون من كل فج عميق ليحجوا بيت الله الحرام ويشهدوا منافع لهم، ويستشعروا عظمة المكان والزمان، لكن مع بالغ الأسى والأسف كثيرون لا ينتبهون لهذا الحدث الجليل الذى قام ليهدم أخلاق الجاهلية وعاداتها، ويقضى على العنصرية بمشتملاتها، ويمحو الطبقية وأنصارها، ويدعو إلى وحدة الأمة فى الملبس والنية والقول والفعل، فالكل سواء لا فرق بين عربى ولا أعجمى ولا أبيض ولا أسود ولا أفريقى ولا أمريكى ولا غربى ولا شرقى إلا بالتقوى والعمل الصالح. إن دروس الحج أكبر من أن نحصيها لكن نشير إلى بعض منها سائلين المولى عز وجل أن ينفع بها البلاد والعباد:

* داعية بالأزهر الشريف

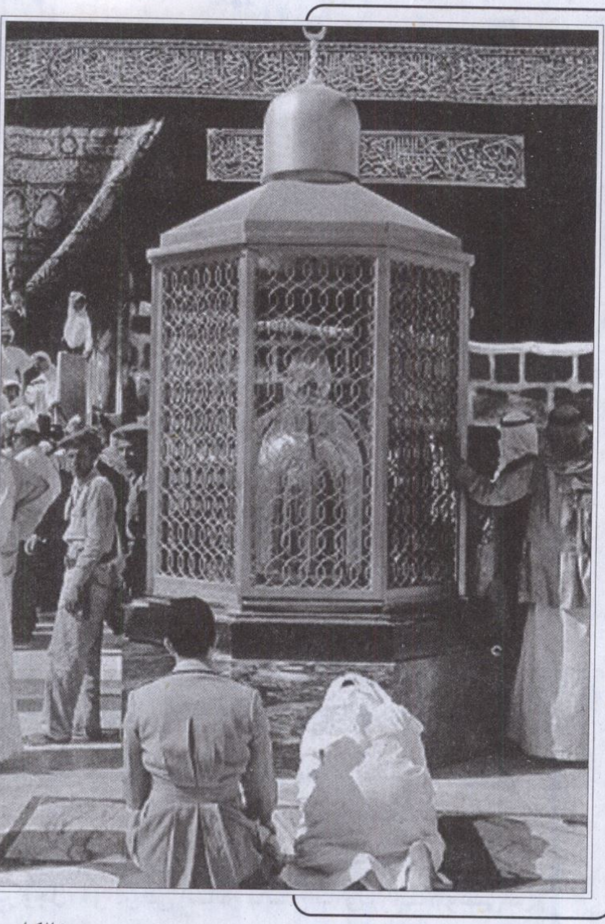

أولاً: تحقيق التوحيد ونبذ الشرك: المتأمل فى مناسك الحج يلحظ هذا الدرس واضحًا جليًا عند بداية الشروع فى مناسك الحج فيقول الحاج بعد أن يغتسل ويلبس ملابس الإحرام فى الميقات المكانى المحدد لكل دولة: «اللهم حجة عن نفسى لا رياء فيها ولا سمعة»، وهذه دعوة للإخلاص ونبذ الشرك الأصغر، ثم يهتف الحاج بنشيد الحجيج فيقول بملء فيه ملبيًا: «**لبيك اللهم لبيك؛ لبيك لا شريك لك لبيك؛ إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك**»، وهذا الكلام فيه ما فيه من الاستسلام لله والانقياد له والحب والرغبة والرهبة له، فكما أنه سبحانه متفرد بالتوحيد ولا ند له، فهو أيضاً متفرد بالنعمة والعطاء لا شريك له، فلا يدعى غيره، ولا يتوكل إلا عليه، ولا يستغاث إلا به، وحديث ابن عباس مشهور فى ذلك، كما أن الحاج عند سعيه بالصفا والمروة يبدأ بالصفا فيستقبل الكعبة ويرفع يداه قائلاً بعد الحمد والتكبير: «**لا إله إلا الله وحده لا شريك له؛ له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير، ثلاثًا**»؛ فهذا دليل على أنه لا يصرف أى نوع من أنواع العبادة إلا له، فمن صرف شيئًا من العبادة لغير الله أشرك به وخسر خسرانًا مبينًا، وحبط عمله ولن يقبل الله منه صرفًا ولا عدلاً.

ثانيًا: تحقيق وحدة الأمة: يفهم هذا من الرابطة التى جمعت هذا الجمع الغفير من الحجاج فى هذا المكان الواحد، بزى واحد، ونداء واحد بنص واحد «**لبيك اللهم لبيك...**» وجاءوا جميعًا لهدف واحد وهو أداء نفس الشعيرة، فالكل يطوف فى اتجاه واحد حول الكعبة - عكس عقارب الساعة - لا تجد فيهم مخالفًا، فالكل أمام الله سواسية كأسنان المشط لا فرق بين عربى ولا أعجمى ولا أبيض ولا أسود ولا غنى ولا فقير ولا قصير ولا طويل إلا بالتقوى والعمل الصالح، كما أنهم فى السعى يبدأون بالصفا جميعًا وينتهون بالمروة، ويقفون جميعًا بعرفة فى يوم واحد؛ ومن تخلف فلا حجة له لقول النبى ﷺ: «**الحج عرفة**»، الكل يرمى رمية العقبة الكبرى يوم النحر (أى يوم العيد) ويذبحون ويحلقون

تحقيق وحدة الأمة الإسلامية من أهداف شعيرة الحج

ويتحللون التحلل الأصغر فى نفس اليوم، فهل فهمنا هذا الدرس؟ ووصلتنا رسالة واعتصموا بحبل الله جميعًا ولا تتفرقوا، ونعى أن فى الاتحاد قوة، وفى الفرقة ضعف وهوان وذل وانكسار.

ثالثًا: تحقيق الاتباع: لقد حرص جميع الحجاج على اتباع خطوات النبى ﷺ فى الحج كما جاء عنه فى حجة الوداع أنه قال: «**خذوا عنى مناسككم**» (رواه مسلم)، لأن الحج لا يكون مقبولاً إلا إذا أخذ الحاج فيه بطريقة رسول الله ﷺ والتزم هديه واقتدى بسنته، واقتفى أثره، بدون إفراط أو تفريط، ودون غلو أو جفاء، وبغير زيادة أو نقصان، ومعلوم أن قبول العمل لا يكون إلا بالاتباع لقوله ﷺ: «**من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد**» (رواه مسلم)، فالكل متفق على أن من شروط قبول العمل الصالح أن يكون على طريق النبى محمد ﷺ فلا يعبد الله بالهوى وما تهوى الأنفس بل يعبد بما شرعه لنا على لسان وأفعال وإقرار سيدنا محمد ﷺ لقول الله تعالى: ﴿**ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِّنَ الأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاء الَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ**﴾ (الجاثية: ١٨)، ولقبول العمل ركنان، أحدهما: تصويب العمل، والثانى: الإخلاص، فكما لا يقبل عمل إلا بالإخلاص، لا يقبل عمل حتى يكون صوابًا، والخالص ما كان لله، والصواب ما كان على سنة رسول الله، فهل نتعلم الدرس ونصبغ حياتنا بسنة رسول الله ونطبقها على حياتنا اليومية ونعلمها لأولادنا وأهلينا وجيراننا وكل من نستطيع تعليمه، إن كنا فعلاً نحبه ونبغى نصرته.

الحج يهدف إلى التربية الأخلاقية الصحيحة المبنية على الرفق واللين والسكينة

رابعًا: ومن دروس الحج التربية الأخلاقية الصحيحة وتطبيقها على أنفسنا: لأن البر حسن الخلق، وما حَذا أحد مرتبة أعلى من حسن الخلق، وصاحب الخلق الرفيع أقرب الناس مجلسًا للنبى محمد يوم القيامة، والحج يعلمنا تلك الأخلاق الحميدة وينميها فى المسلمين؛ فمثلاً يعلمنا:

١ ـ العفة وعدم الخنا: فيقول المولى عز وجل: ﴿**الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلاَ رَفَثَ وَلاَ فُسُوقَ وَلاَ جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللّهُ وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُوْلِي الأَلْبَابِ**﴾ (البقرة: ١٩٧)،

٢ ـ ترك الجدال العقيم وكظم الغيظ وعدم الخصام والهجر: قال تعالى: ﴿**وَلاَ جِدَالَ فِي الْحَجِّ**﴾، وقال ﷺ: «**أنا زعيم بيت فى ربض الجنة لمن ترك الجدال وهو محق**»، وقال ابن عباس: (والجدال: أن تجادل صاحبك حتى تغضبه ويغضبك) وهذا هو المنهى عنه،

٣ ـ الرفق واللين والسكينة: قال ﷺ عندما سمع زجر وضرب للإبل فى حجة الوداع هم فى الدفع من المزدلفة: «**أيها الناس عليكم بالسكينة فإن البر ليس بالإيضاع**» أى الإسراع (البخارى).

٤ ـ التربية على التواضع: فقال ﷺ فى حجة الوداع: «**يا أيها الناس ألا إن ربكم واحد، وأباكم واحد؛ ألا لا فضل لعربى على أعجمى ولا لأعجمى على عربى ولا أحمر على أسود ولا أسود على أحمر إلا بالتقوى**» (رواه أحمد)،

٥ ـ التربية على تحمل تبعة الخطأ: وهذا واضح فى الفدية الواجبة على من ارتكب شيئًا من محظورات الإحرام عمدًا، أو خل بشىء من واجبات الحج.

٦ ـ التحلى بالصبر بأنواعه.

٧ ـ التخلق بالبذل والعطاء والإيثار.

٨ ـ التربية على النظام والانضباط والشعور بروح الجماعة. ما أحوجنا إلى فهم المقصد الشرعى للحج والتعلم من دروسه وتطبيقها فى حياتنا اليومية لنسعد فى الدنيا وننعم بالآخرة.

هذا والله من وراء القصد وهو يهدى السبيل.

قِيَم رُوحِيَة فى حَجِّ البَيْت

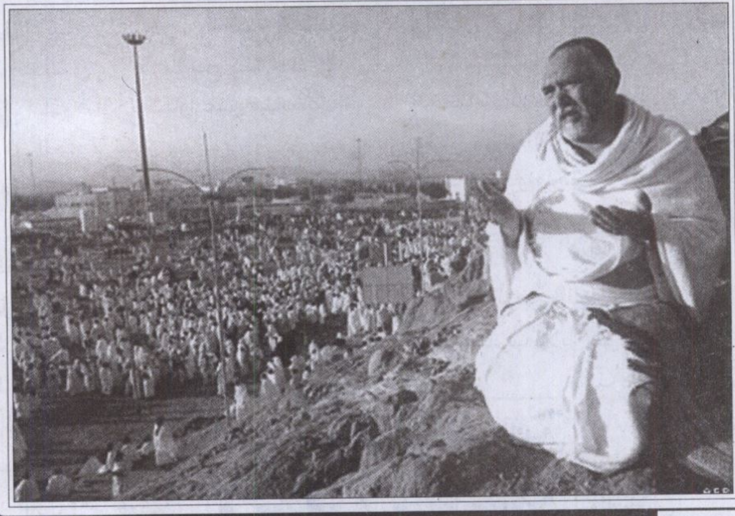

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبى بعده . أما بعد

فمما لا شك فيه أنه بحلول هذه الأيام الكريمة، والتى هى معطرة برضوان الله ومغفرته، تمتلئ القلوبُ شوقًا للذهاب إلى بيت الله الحرام؛ لأداء هذه الفريضة السامية وتعظيم الشعائر والنسك فى تلك الفريضة، الأمر الذى يجعل الإنسانَ فى هذه الرحلة يعيش متعةً رُوحية لا تعادلها متعة أخرى؛ ذلك لأنه فيها يتصل بالله عز وجل ويقطع علاقته مع كل شىء، ويكون مع مَن خلق كل شىء، ويخرج من الحياة التى ألِفها وتعودَ عليها ليتقرب من الله فى صلاة وطواف وتلبية وتهليل وتحميد وتسبيح. من هنا أردت أن نستنبط بعض هذه القيم الروحية فى زيارة البيت الحرام من خلال النقاط التالية:

د. أسامة فخرى الجندى *

الحج بين الإيجاب والسلب

أراد الله عز وجل منا أن تقوم أى عبادة على الإيجاب والسلب، أى الأمر والنهى، وفى الحج كذلك، فالحج عبادة فيها الأمر والنهى، وهذا نجده جليًا فى كتاب الله عز وجل حين قال: **﴿الحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الحَجَّ فَلا رَفَثَ وَلاَ فُسُوقَ وَلاَ جِدَالَ فِى الحَجِّ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُولِى الأَلْبَابِ﴾** (البقرة: الآية ١٩٧).

فهناك أمور منهى عنها فى الحج كالرفث والفسوق والجدال، وهناك ما هو مأمور به فى الحج وهذا نجده فى قوله تعالى: **﴿وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ﴾**.

المعنى هنا أن نأتى بما يقابل الأمور المنهى عنها، فمثلاً: الرفث وهو يطلق على الجماع أو كل مقدمة للجماع كالنظرة بالعين أو الكلمة باللسان أو غير ذلك، وهذا أمر منهى عنه فى الحج، ويجب أن تأتى بما يقابله فيحدُث للإنسان العفةُ فى أسلوبه، فى

* إمام وخطيب بالأوقاف.

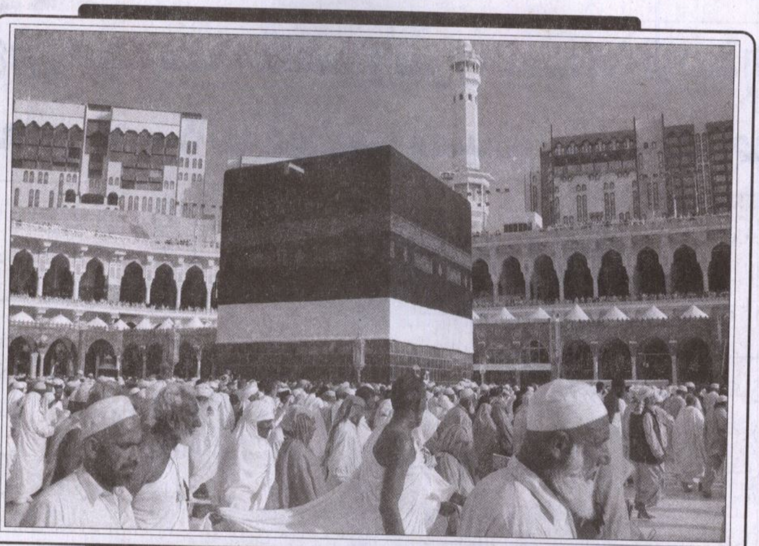

كلماته، فى نظراته، فى علاقته بزوجته الحلال له فى الحج.

وكذلك الفسوق، وهو الخروج عن منهج الله، فالفسوق وإن كان محرمًا فى غير الحج فهو أولى وأحرى أن يكون محرمًا فى الحج، فليس من الأدب أن يكون المسلم فى بيت الله ويقع منه هذا الفسوق، فالإنسان يذهب إلى البيت الحرام راجيًا من الله مغفرة ذنوبه وتكفيرها عنه، فهل من العقل أن يرتكب فيه ذنوبًا؟

والأمر أيضا فى الجدال، والذى يأتى نتيجة الضيق وغير ذلك، وهو النزاع اللسانى الذى يُغضب ويسىء، فحين يخرج الحاج إلى الحج فإنه يترك أهله وبيته وولده ونظام حياته كلها، ويقابل آخرين يمكث معهم، فربما من تغيير نظامه الحياتى الذى تعوّد عليه يأتى الضيق ويدخل فى جدال مع غيره من الناس، فهذا أمر مرفوض ومنهى عنه، والواجب على الحاج أن يدع كل ذلك وينتهى عن الجدال ويتحمل كل ذلك فى جناب الله عز وجل، ويجعل جلّ وقته فى أن يأنس بعبادة ربه جل وعلا .

وبناءً على ذلك فإن الحاج فى حجه يبلغ مقاصدَ وأسرارًا طيبة من تربية النفس ومن معانى الخير كالعفة والصبر والتحمل وسعة الصدر، والصفح والعفو، والتأدب، والدعوة للخير، وصيانة نظره ولسانه وسائر جوارحه، وغير ذلك، فهذه أخلاق كريمة يورثها حج بيت الله الحرام، ومن الحرى بمن اكتسب هذه الأخلاق فى الحج أن يحافظ عليها فى غير الحج، فالله اصطفى هذا المكان ليشيع ما يحدث فيه فى غيره من الأمكنة .

الزاد فى الحج بين الرحلة الفانية والرحلة الباقية

فبعد أن بيّن الله عز وجل ما هو مطلوبٌ من عباده أثناء شعائر الحج وما هو منهيٌّ عنه، ختم الآية الكريمة بقوله سبحانه: **﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى﴾**، فما هو الزاد ؟ وما دلالة قوله تعالى: **﴿خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى﴾**؟

من المعلوم أن الزاد هو ما يقى الإنسان به نفسه من الجوع والعطش وغير ذلك، وهنا يطيب لنا أن نوقِف المسلم الكيِّسَ على قِيمة رُوحية يجب أن ينتبه إليها، وهى إذا كان الإنسان يتزودٌ فى هذه الدنيا لغاية واحدة وهى الاستبقاء على حياته «الفانية»، فما بالك بالحياة «الباقية»، الحياة الأبدية التى لا فناء فيها، ألا تحتاج منا إلى زاد أكبر يتناسبُ مع هذه الحياة الباقية ؟

فكأن الزاد الذى يأخذه الإنسان فى الدنيا «فى الرحلة الفانية» يعلمنا أن نتزود للآخرة «للرحلة الباقية»، وهذا أدعى، وهذا هو معنى قوله تعالى: **﴿خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى﴾**، فالإنسان منا قد يقى نفسه

الحاج فى حجه يبلغ مقاصد وأسراراً طيبة من تربية النفس ومن معانى الخير كالعفة والصبر وصيانة نظره وسائر جوارحه

فى هذه الدنيا مثلاً بثياب يستر عورته ويقيه من الحر أو البرودة، لكن الأفضل له هو لباس التقوى؛ ولذلك حينما سأل شقيقُ البلخى تلميذَه حاتم الأصم - وكان قد تتلمذ له مدة تزيد على الثلاثين سنة - وقال له: منذ كم صحبتنى؟ قال حاتم: منذ ثلاث وثلاثين سنة. قال: فما تعلمت منى فى هذه المدة؟ قال: ثمانى مسائل. قال شقيق له: إنا لله وإنا إليه راجعون، ذهب عمرى معك ولم تتعلم إلا ثمانى مسائل. قال: يا أستاذ، لم أتعلم غيرها وإنى لا أحب أن أكذب . فقال : هات هذه الثمانى مسائل حتى أسمعها . وكان من بين هذه المسائل الثمانى التى تعلمها حاتم أن قال له: نظرت إلى هذا الخلق، فرأيت كل واحد يحب محبوبًا، فهو مع محبوبه إلى القبر، فإذا وصل إلى القبر فارقه، فجعلت الحسناتِ محبوبى، فإذا دخلتُ القبرَ دخل محبوبى معى. فقال: أحسنت(١) . فالواجب الإسراع إلى اغتنام الحياة الدنيا للحياة الآخرة والعمل فى الفانية للباقية.

إكرام الله للحاج والفرق بين الذنب والسيئة

من المعلوم أن الحج الآن هو فى حقيقته - وبعيد عن شعائره - باهظ التكاليف من حيث النفقة وتحمّل أعباء السفر ومشقة المسافات الطويلة، والسؤال هنا: ما هو إكرام الله عز وجل لمن قطع المسافات وتحمل المشقات والنفقات فى سبيل حج البيت الحرام؟ لا شك أنه وما دام الحج تكلفته باهظة، فإنه يصح أن تكون ثمرته أيضًا كذلك، فالحج يفتح صفحةً بيضاء لصاحبه، ويهدم ما كان قبله من الذنوب، وقد أخبرنا رسول الله ﷺ بهذه النتيجة حيث قال: «**من حج هذا البيت فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه**»(٢)، ولكننا نريد أن نقف مع هذا الحديث وقفة تأمل وتدبر؛ ذلك لأن كثيراً من الناس يقع فى اعتقاده حين يمر على أسماعهم هذا الحديث أن الإنسان مهما ارتكب من ذنوبٍ ومعاصٍ، فبمجرد أن يذهبَ ليحج البيت تسقط عنه تلك الذنوب والمعاصى، ولكن هذا فهم خاطئ، فلا بد أولاً أن يعرف الإنسان ما هو الذنب؟ وما الفرق بينه وبين السيئة؟ فالذنب ما كان بين العبد وبين ربه عز وجل، والسيئة ما كانت بين العباد وبعضهم؛ لذلك من الذنب تكون المغفرة وهذه من الله، أما السيئة فيكون منها التكفير، وهذه متعلقة بحقوق العباد، ونفهم من ذلك أن الذى يسقط هو ما كان بين العبد وربه، أما ما كان بين العباد وبعضهم فيجب على كل إنسان أن يرد هذه المظالم.

وهذا يذكرنا بحديث النبى ﷺ: «**إذا خلص المؤمنون من النار** - يقصد الصراط - **حُبسوا بقنطرة بين الجنة والنار، فيتقاصّون مظالم بينهم فى الدنيا، حتى إذا نُقُّوا وهُذِّبُوا أُذن لهم فى دخول الجنة، فوالذى نفس محمد بيده لأحدهم بمنزلِهِ أدلُّ منه فى الدنيا**»(٣)، فمتى نفيق ونرد هذه المظالم، حتى إذا كنا يوم القيامة وحين نجاوز الصراط ندخل الجنة مباشرة إن شاء الله تعالى؟

فى الحج يأتى الحمد قبل النعمة

من المعلوم أن الحاج يبدأ رحلته إلى الحج بالتلبية، وهى قوله: «**لبيك اللهم لبيك..... إلخ**» وهذا هو شعار الحج أثناء تأدية المناسك، ولكننا إذا توقفنا بنظر وتأمل، وتدبَّرنا صيغة التلبية وتحديداً فى قولنا: «**إن الحمد والنعمة لك والملك**» لوجدنا أمرًا مدهشًا وعجيبًا؛ إذ إنه من البديهى أن تأتى النعمة فيعقبها الحمد والشكر، لكن هنا - فى التلبية - سبق الحمدُ النعمةَ، مع أن السياق يقتضى أن يقال: «**إن النعمة والحمد لك**»؛ لأن الحمد لا يكون إلا على نعمة، فما السر إذن فى تقديم الحمد وبعد ذلك تأتى النعمة فى صيغة التلبية؟

وللإجابة نقول: إن الحمد لا يأتى على نعمة سبقت - كما هو معروف -، وبالفعل هنا فالنعمة قد سبقت وتمت بالفعل؛ إذ من الأمور المطلوبة لأداء

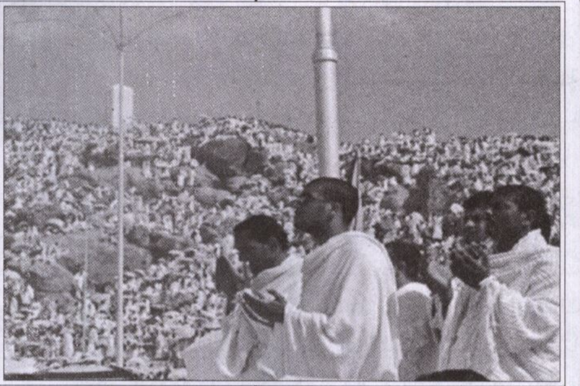

الحج ما يأتى:

الاستعداد النفسى: ومن رحمة الحق عز وجل بنا أن جعل فى قلوبنا جميعا محبةً وشوقًا وتوقًا إلى زيارة البيت وأداء المناسك، وهذا كما جاء فى كتاب الله عز وجل على لسان إبراهيم عليه السلام: ﴿**رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ**﴾ (إبراهيم: الآية ٣٧).

والمعنى المراد هنا: أن الله عز وجل كأنه قام بإعداد كل إنسان منا إعدادًا نفسيًا للحج قبل أن يحج.

الاستعداد البدنى: فمما هو معروف أن الحاج سيقطع مسافات طويلة ليصل إلى البيت الحرام، وكذلك سيقوم بأداء المناسك من طواف وسعى ووقوف بعرفة ورمى الجمار، وغير ذلك، وهذا معناه أن الحاج يحتاج فى حجه إلى طاقة وقوة يتحمل بها مشقة السفر وقطع المسافات وتأدية المناسك، والسؤال هنا: من الذى أعان هذا الحاج بالقدرة والقوة ؟ إنه الله عز وجل.

الاستعداد المالى: يعرف الناس جميعًا أن الحجَّ باهظُ الثمن؛ ولذلك فهو يحتاج إلى أن يكسب مالاً وفيرًا يساعده على الحياة ويساعده على نفقة الحج وكذلك على نفقة أسرته حينما يتركهم ويذهب إلى الحج، وبالتالى فهو يحتاج إلى عمل أكثر ونفقة أكثر تكفى يومه وحجه ونفقة أسرته من بعده، فمن الذى أعان ورزق وكفل الحاج بأن يدخر النفقة لحجه؟ إنه الله عز وجل.

من هنا فقد توافرت وتعددت نعم الله عز وجل على الحاج قبل أن يخرج للحج، وهذه نعم تستوجب الحمد والشكر منه لله عز وجل، وهذا هو سر تقديم الحمد على النعمة فى التلبية، فسبحانه إن الحمد والنعمة له والملك.

الإحرام وقمة الأدب والتواضع مع أجناس الكون

بمجرد أن ينوى الحاجُّ الإحرامَ بالحج، فقد حرمت عليه بعض المباحات كالتطيب، وقص الشعر أو حلقه، وتقليم الأظافر، وإتيان الزوجة، وغير ذلك، ومن القيَم الروحية هنا فى الإحرام أنه تدريب للحاج على الصبر، فالحاج فى حالة إحرامه يصبر على ترك ما هو مباح، ومن صبر على ترك المباح كان على ترك الحرام أصبر، هذه واحدة، أمرٌ آخر وهو: بمجرد أن يحرم الحاج فقد حرم عليه أيضًا الرفث والفسوق والجدال وقتل النّعم وقطع النبات، وهذا معناه أن الإنسان فى الحج يلتزم الأدب المطلق مع الوجود كله، مع نفسه، ومع بنى جنسه، ومع الحيوان، ومع النبات، بل ويتعدى ذلك لالتزام الأدب حتى مع الجماد، والدليل على ذلك: الحجر الأسود وتقبيل الناس له أو استلامه أو الإشارة إليه، وكأن الإنسان فى هذه الرحلة المباركة يتعلم كيف يتواضع ويتعلم كيف يتأدب مع سائر أجناس الوجود.

السعى وقمة اليقين والثقة بالله والتوكل عليه

وهذا يذكرنا بسعى السيدة هاجر وترددها بين الصفا والمروة لتطلب الماء لوليدها الرضيع النبى إسماعيل عليه السلام، فسيدنا إبراهيم تركهما وحدهما فى أرض ليس بها شىء من مقومات الحياة، لا طعام، لا شراب، لا شىء، ﴿**رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ**﴾، فقد تركهما فى واد غير ذى زرع، فأسباب الحياة إذن مقطوعة، غير موجودة، حتى الرجل - أقصد النبى إبراهيم عليه السلام هنا - الذى يجرى على أولاده ويأتيهم بالرزق تركهم، فكيف الحياة فى ذلك المكان إذن؟ وهنا تسأل السيدة هاجر زوجها سيدنا إبراهيم: إلى أين تذهب؟ إلى من تكلنا ؟ آلله أمرك بهذا؟ قال: نعم. قالت: إذن لا يضيعنا الله

أبداً، وهذه هى قمة اليقين والثقة فى الله عز وجل والتوكل عليه فى تفريج الأمور وتيسير الأسباب، فالسيدة هاجر هنا استغنت بالخالق عن المخلوق.

وينزل العطش بالوليد الرضيع فبدأت السيدة هاجر فى سعيها بين الصفا والمروة تريد أن تجد نبع ماء لتأتى به إلى وليدها، وهكذا استمرت سبعة أشواط تتردد من جهة إلى أخرى وهى امرأة فى مثل سنها ووحدتها وعدم وجود الماء بلغ منها الجهد والتعب، فانتهت إلى وليدها لتجد الماء ينبع تحت قدميه، وهنا القيمة الروحية تأتى، فكأن الله أراد أن يبين لها أن السعى لو كان أجدى بإتيان الماء لقيل إن السعى هو الذى أتى لها بالماء، ولكنها لا تجد نتيجة من ذلك، فتذهب وتجد الماء عند رضيعها، وكأن الله أراد أن يقول لها : نعم إنا لا نضيعك، وكانت هذه الشعيرة مرتبطة باليقين فى الله والثقة به والتوكل عليه .

يوم عرفة عظمت فيه الطاعات وزكت فيه العبادات وتجلت فيه فيوضات الله على عباده

يوم عرفة ومغفرة الذنوب

لهذا اليوم أسماء كثيرة ذكرها العلماء، نوجزها فيما يأتى، فهو يوم عرفة، وهو يوم التمام، وهو يوم الحج الأكبر، وهو اليوم المشهود، وهو يوم الوتر، وهو يوم العتق من النار، وهو يومٌ أخذ الله فيه الميثاق على ذرية آدم.

وإذا تعددت أسماء الشىء فإنما يدل ذلك على عظمته وشرفه، ويوم عرفة كذلك ؛ ولهذا عظمت فيه الطاعات، وزكت فيه العبادات، ففى يوم عرفة تتجلى فيوضات الله على عباده، وهى فيوضات كثيرة لا تُعد ولا تحصى، وقد روى ابن عباس رضى الله عنهما أن النبى ﷺ قال للفضيل بن عياض رضي الله عنه يوم عرفة: **«يا ابن أخى إن هذا يوم من ملَك فيه سمعه وبصره غفر الله له ما تقدم من ذنبه»**(٤). إنه سبحانه وتعالى يهبك من المغفرة والرضا الكثير حتى قيل إن الشيطان لم يوجد وقتٌ من الأوقات أغيظ منه فى هذا اليوم، لماذا؟ لأن حظ الشيطان أن يكون الإنسان عاصياً، بينما يوم عرفة هو يوم تُحبطُ فيه كل أعمال إبليس، وينثر الله عز وجل رحمته ورضوانه ومغفرته على أهل عرفة ومن صام من غيرهم ممن ليسوا بعرفة.

الطواف والاتجاه للكعبة

الله عز وجل أمرنا أن نتجه فى صلاتنا إلى قبلة البيت الحرام - أى الكعبة -، ولما كان كل إنسان منا بعيداً عن المكان ذاته وهى القبلة التى وُجهنا إليها، اتخذ كلٌّ مصر من الأمصار جهة مضبوطة حسب موقعه من البيت الحرام، ومن هنا أصبح لكل مكان فى الأرض عامة مُتجه معروف وثابت، وهى تلك القبلة التى نصلى إليها فى كل يوم، وكأن هناك اتجاهاً معتدلاً من مكانك إلى الكعبة، لكننا إذا ذهبنا إلى الكعبة ذاتها، ذهبنا إلى البيت الحرام، هل أبحث عن الاتجاه الذى أتجه فيه فى بلدتى إلى الكعبة؟ فمثلاً إذا كان اتجاهى فى بلدتى هو الملتزم، فهل معنى ذلك أنى أبحث عن الملتزم لأصلى تجاهه ؟ لا، فالكعبة أصبحت كلها قبلة، وكلها متجهاً، ومن هنا وجب تعظيم الكعبة كلها، وتعظيمها إنما يأتى عن طريق الطواف بها، فلا بد من الطواف حينئذ.

نسأل الله عز وجل أن يرزقنا زيارة بيته الحرام، ويتم علينا نعمته بتلكم الفريضة السامية، ويجعلنا من أهل مغفرته ورحمته..

الهوامش:

١ - ذكره الغزالى فى الإحياء ، طبعة دار المعرفة بيروت: (٦٥/١) ، وأبو نعيم فى الحلية ، طبعة ١٤٠٥/٤هـ ، دار الكتاب العربى بيروت : (٨٠/٨).

٢ - أخرجه البيهقى فى السنن الكبرى، باب فضل الحج والعمرة: (٢٦١/٥)، وابن حبان فى صحيحه باب فضل الحج والعمرة: (٧/٩) ، ومسلم فى صحيحه : (١٠٧/٤)، وأحمد فى مسنده : (٣٨/١٢).

٣ - أخرجه البخارى فى صحيحه، باب قصاص المظالم، طبعة دار ابن كثير، اليمامة بيروت ، تح / د/ مصطفى ديب البغا، ط ٣ ، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م : (٨٦١/٢) ، والحاكم فى المستدرك: (٣٨٥/٢) دار الكتب العلمية بيروت ، تح/ مصطفى عبد القادر عطا، ط ١، ١٤١١هـ-١٩٩٠م، والطبرانى فى الأوسط : (١٤٥/٣) ، دار الحرمين القاهرة ، ١٤١٥هـ.

٤ - أخرجه ابن سعد فى الطبقات : (٥٤/٤) ، طبعة دار صادر بيروت ، والطبرانى فى الكبير : (٢٣٢/١٢) ، طبعة مكتبة العلوم والحكم ، ط ٢، ١٤٠٤هـ/١٩٨٣م ، والبيهقى فى شعب الإيمان: (٤٦١/٣) ، وأحمد فى مسنده: (١٦٥/٥).

«خطبة الوداع.. دروس وأحكام»

الشيخ: رمضان عبدالمطلب عثمان

«الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونتوب إليه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهد الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادى له، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أوصيكم عباد الله بتقوى الله عز وجل، وأحثكم على طاعته، وأستفتح بالذى هو خير»، أما بعد أيها الناس:

اسمعوا منى أبين لكم فإنى لا أدرى لعلى لا ألقاكم بعد عامى هذا فى موقفى هذا.

أيها الناس: أن دماءكم وأموالكم حرام عليكم إلى أن تلقوا ربكم، كحرمة يومكم هذا فى شهركم هذا، فى بلدكم هذا، ألا هل بلغت؟ اللهم اشهد!

فمن كانت عنده أمانة فليؤدها إلى من ائتمنه عليها، وإن ربا الجاهلية موضوع، وإن أول ربا أبدأ به ربا عمى العباس بن عبد المطلب، وإن دماء الجاهلية موضوعة، وإن أول دم نبدأ به، دم عامر[١] بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب، وإن مآثر الجاهلية موضوعة، غير السدانة[٢] والسقاية[٣]، والعمد قود[٤] وشبه العمد ما قتل بالعصا والحجر، وفيه مائة بعير، فمن زاد فهو من أهل الجاهلية.

أيها الناس: إن الشيطان قد يئس أن يعبد فى أرضكم هذه، ولكنه قد رضى أن يطاع فيما سوى ذلك مما تحقرون من أعمالكم.

أيها الناس: ﴿إِنَّمَا النَّسِيءُ[٥] زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحِلُّونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا لِيُوَاطِئُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ﴾ (سورة التوبة الآية: ٣٧). وإن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض، ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ﴾ (سورة التوبة الآية: ٣٦) ثلاثة متواليات، وواحد فرد: ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب الفرد[٦] الذى بين جمادى وشعبان. ألا هل بلغت؟ اللهم اشهد!

أيها الناس: إن لنسائكم عليكم حقا، ولكم عليهن حقا، لكم عليهن ألا يوطئن فرشكم غيركم، ولا يدخلن أحداً تكرهونه بيوتكم إلا بإذنكم، ولا يأتين بفاحشة فإن فعلن فإن الله قد أذن لكم أن تعضلوهن وتهجروهن فى المضاجع، وتضربوهن ضرباً غير مبرح، فإن انتهين وأطعنكم فعليكم

قال الله تعالى :

﴿ وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُو۟لِي ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧٩﴾ ﴾

سورة البقرة

أمته قائلاً: (.. لعلى لا ألقاكم بعد عامى هذا فى موقفى هذا)، وكان ذلك فى حجة الوداع من السنة العاشرة للهجرة ، وسميت كذلك: حجة البلاغ، وحجة الإسلام، وحجة التمام لأنه ﷺ لم يحج من المدينة غيرها، وهى خطبة جامعة مانعة، ووصية بديعة رائعة تضمنت خلاصة الإسلام، وما جاء به الرسول ﷺ عن ربه إرشاداً للبشرية، وإنقاذاً للإنسانية، لأنه ﷺ ذكر فيها للناس ما يحل وما يحرم، وبلغهم شرع الله فى الحج قولاً وفعلاً، ولم يكن بقى من دعائم الإسلام وقواعده شىء إلا وقد بينه ﷺ، فلما بين لهم شريعة الحج ووضحه وشرحه كمل بذلك دين الله، وختمت رسالاته وأنزل الله على رسوله ومصطفاه ﷺ وهو واقف بعرفة: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ (سورة المائدة الآية: ٣).

وبهذا تمت كلمة الله عز وجل، وانتهت مهمة رسوله عليه الصلاة والسلام، فأشهد الناس فى خطبته أنه أدى الأمانة وبلغ الرسالة وأوصاهم أن يبلغ الشاهد منهم الغائب.

وهكذا وضع الرسول ﷺ رسالته أمانة فى أعناق المسلمين يتناقلونها جيلا بعد جيل، وقد تضمنت هذه الخطبة الجامعة:

١ - التأكيد على حرمة الدماء والأموال والأعراض.

٢ - التأكيد على حرمة الربا واستغلال حاجة الناس.

٣ - بيان أهمية العدل، وهو سمة الإسلام الأولى

رزقهن وكسوتهن بالمعروف، وإنما النساء عندكم عوان لا يملكن لأنفسهن شيئًا، أخذتموهن بأمانة الله، واستحللتم فروجهن بكلمة الله، فاتقوا الله فى النساء، واستوصوا بهن خيرًا. ألا هل بلغت؟ اللهم اشهد.

إيها الناس: إنما المؤمنون إخوة، ولا يحل لامرىء مال أخيه إلا عن طيب نفس منه، ألا هل بلغت؟ اللهم اشهد.

فلا ترجعن بعدى كفارًا يضرب بعضكم رقاب بعض، فإنى قد تركت فيكم ما أن أخذتم به لم تضلوا بعده أبدا كتاب الله وسنتى ألا هل بلغت؟ اللهم اشهد.

أيها الناس: إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد، كلكم لآدم وآدم من تراب، أكرمكم عند الله أتقاكم، وليس لعربى على عجمى فضل إلا بالتقوى، ألا هل بلغت؟ اللهم اشهد.

قالوا: نعم. قال: فليبلغ الشاهد منكم الغائب.

أيها الناس: إن الله قد قسم لكل وارث نصيبه من الميراث، ولا يجوز لوارث وصية، ولا يجوز وصية فى أكثر من الثلث، والولد للفراش(٧)، وللعاهر الحجر(٨)، من ادعى إلى غير أبيه أو تولى غير مواليه، فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا. والسلام عليكم ورحمة الله.

هذه هى خطبة الوداع، التى ودع الرسول ﷺ فيها

فى هذا الوجود، وبه قامت السماوات والأرض ومن خلاله تحقن الدماء، تستبدل عادات الجاهلية بالمبادىء الإسلامية: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (سورة البقرة الآية: ١٧٩).

قال الله تعالى:

﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ﴾ سورة التوبة: ٣٦

٤ - إعلان التوحيد شعار الإسلام، وإلغاء الوثنية وعدم عودة الأصنام للأرض العربية، بعد أن جاء الحق وزهق الباطل.

٥ - التأكيد على الحقوق والواجبات بين المسلمين بعضهم البعض وبين المسلمين وغيرهم، وبين الأزواج والزوجات، فلا يحل لمسلم من أخيه إلا ما أعطاه عن طيب نفس منه.

والله ولى التوفيق

أكدت حجة الوداع حقوق وواجبات المسلمين بعضهم البعض ومع غيرهم

المصادر والمراجع:

انظر هذه الخطبة فى:

١ - جمهرة خطب العرب فى عصور العربية الزاهرة للأستاذ/ أحمد زكى صفوت، القاهرة: مطبعة مصطفى البابى الحلبى. ط أولى ١٣٥٢هـ - ١٩٣٣م.

٢ - اتحاف الأنام بخطب رسول الإسلام سيدنا محمد ﷺ جمعها وشرحها الشيخ محمد خليل الخطيب القاهرة: مطبعة الشعراوى بطنطا. ط أولى ١٣٧٣هـ - ١٩٥٤م.

٣ - إعجاز القرآن للقاضى أبى بكر الباقلانى القاهرة: مكتبة مصر بالفجالة ١٩٩٤م.

٤ - صور من حياة الرسول ﷺ للأستاذ أمين دويدار القاهرة: دار المعارف. طبعة ثالثة ١٩٧٦م.

٥ - فقه السيرة د. محمد سعيد رمضان البوطى القاهرة: مكتبة الدعوة الإسلامية. ط سابعة ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م.

الهوامش:

١ - كان مسترضعا فى بنى ليث فقتلته هذيل فى الجاهلية.

٢ - السدانة: القيام على خدمة الكعبة.

٣ - السقاية: القيام بسقى الحجيج.

٤ - القود: القصاص وهو أن يقتص من الجانى بمثل جنايته.

٥ - النسىء: من نسأ الشىء بمعنى أخره والمراد فى الآية الكريمة حرمة تأخير المحرم لصفر، حيث كانوا يحلون الحرب فى المحرم أحيانا ويحرمونها فى صفر بدلا منه.

٦ - كانت قبيلة ربيعة تحرم شهر رمضان وتسميه رجب، فبين النبى ﷺ أن شهر رجب المقصود والذى تحرمه قبيلة مضر وهو المنحصر بين شهرى جمادى وشعبان.

٧ - الفراش: الزوج لأن كل واحد من الزوجين يسمى فراشا للآخر.

٨ - الحجر: أى الخيبة والحرمان، والمعنى أن الولد ينسب لصاحب الفراش وهو الزوج، وللزانى الخيبة والحرمان.

أشواق حجازية الإيقاع

د. صابر عبد الدايم يونس*

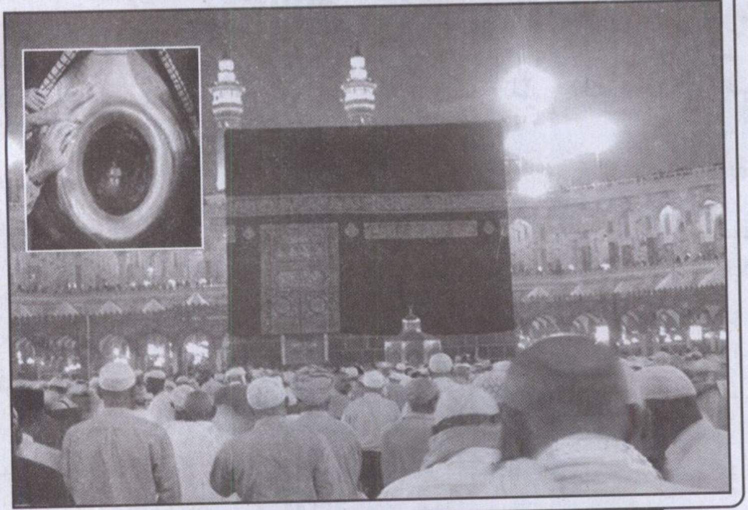

من النيل شريانى إلى البيت يمتد … وشوقى إلى أم القرى ماله حد

وإنى إمام العاشقين.. ولا أرى … لمعشوقتى نداً.. وهل فى الهوى ند؟!

هى الشمس تجرى والهدى مستقرها … وفى كل روح من أشعتها.. وقد

هنا البيت ريحان وروح .. وقبلة … هنا النفس طير .. لا يكبله قيد

هنا الخلق أفواج ومن كل بقعة … يطوفون كالأطياف ينظمهم عقد

تساووا فلا الأنساب فيها تفاوت … ولا سيد فيهم يؤلهه عبد

هنا الركن والحجر الطهور وزمزم … هنا مشرق الرؤيا هنا الحب والمهد

وإنى إمام العاشقين وقصتى … حجازية الإيقاع تعزفها نجد

تسير بها الركبان تروى مواسمًا … من الشوق تذكيها الصبابة والوجد

أفىء إلى الأستار ألقى مواجعى … وأحمل أثقالا ينوء بها الجهد

وتجأر أسرارى وتنطق أدمعى … بما النفس تطويه وفى بوحها يبدو

وتظمأ أشواقى وتذوى منابعى … وفى حجر إسماعيل ينهمر الوعد

وعينى ناجت واللسان مشاهد … يرى الضوء فواحًا به الحجر الصلد

هنا الضوء إيقاع هنا العطر سدرة … بها تسبح الأرواح فى ساحها تشدو

* عميد كلية اللغة العربية بالزقازيق سابقا

هنا أول الأشواق من عهد آدم   هنا كان ميثاق النبيين والعهد
هنا البيت مثوى الآمنين تحوطهم   من الله أملاك وتحرسهم جند
هنا تشرق الآيات أمنا ورحمة   بكل فؤاد نبضه الحب والود
هنا الطير للإنسان يفضى بسره   هنا الصخر أواب وإيقاعه حمد
هنا تخطر الأشجار فى نور أمنها   وفى ظلها الفينان لا يفزع الصيد
فكيف ووعد الله بالأمن نافذ   فلول من الإرهاب يخطئها الوعد؟!
يطلون كالحيات من كل مخبأ   وفى كل كهف كم يضللهم وغد!
فكل طريق للهداية كم سدوا!!   وكل بناء للأخوة كم هدوا!
بلاد حماها الله من كل فتنة   تموج بطوفان من الشر يحتد!
بلاد حماها الله مشعلها الهدى   وهم أوقدوا نارا يسعرها الحقد!
ولكنما الرحمان يحفظ بيته   ويحميه من يأجوج فى عصرنا سد
ويحمى بلاداً فوق تربتها مشى   ضياء رسول الله والحق والرشد
وما زال إيقاع الهدى نبض أمنها   وفى كل أفق شمس راياتها تعدو
هنا قصة الإيمان تترى فصولها   هنا الحق والإيثار والعز والمجد
هنا البأس والإيلاف والأمن والهدى   هنا الفتح أسياف ورحمتها حد
هنا راية التوحيد تعلو على المدى   وفى ظلها الأحلام تقوى وتشتد
وفى كل فج كم يروح ممزق   ومن فىء بيت الله فى أمنه يغدوا!
وإنى بركب الآمنين وقصتى   حجازية الإيقاع تعزفها نجد
هنا تركض الأشواق آمنة الرؤى   وللحق أفراس مسومة جرد!
هنا تبدأ الأشواق وحلة نبضها   وكم فى دياجير الرؤى ضل مرتد!
هنا القلب فى شمس الحقائق سابح   وكم تاه فى الأبعاد لم ينجه بعد!!
وكم طال إبحارى !! وكم تاه مرفئى!!   وكم غرنى برق!! وكم غالنى رعد!
وكم مال ميزانى!! وكم جف منهلى!!   وكم صدت أحزانى وذاتى هى الصيد!
وفى ظل بيت الله فى موئل الهدى   أقمت موازينى وعاد لى الرشد
أسير بركب الآمنين وقصتى   حجازية الإيقاع تعزفها نجد
وما زال ميزان الهدى سر أمنها   وفى كل أفق شمس راياتها تعدو
من النيل شريانى إلى البيت يمتد   وشوقى إلى أم القرى ماله حد
هى الشمس تجرى والهدى مستقرها   وفى كل روح من أشعتها وقد

الإمام الأكبر يستقبل المهندس إبراهيم محلب لبحث استعداد جامعة الأزهر للعام الدراسى الجديد

معالى رئيس الوزراء والإمام الأكبر بمقر مشيخة الأزهر

الإمام الأكبر:
مشروع قناة السويس الجديدة جدَّد الأمل لكل المصريين فى غدٍ أفضل

محمد سيد أحمد على الدين

استقبل فضيلة الإمام الأكبر أ.د/ أحمد الطيب، شيخ الأزهر الشريف، السيد المهندس/ إبراهيم محلب، رئيس مجلس الوزراء بمقرِّ مشيخة الأزهر.

وقد أبدى رئيس الوزراء دعم الحكومة الكامل للأزهر الشريف فى أداء رسالته على المستويين العلمى والدعوى، وأثنى على الدور الكبير للأزهر الشريف فى دعم استقرار الوطن فى هذه المرحلة من تاريخه؛ باعتباره منارة الوسطية والحافظ للمذهب السنى على مدار التاريخ.

وتباحث سيادته مع فضيلة الإمام الأكبر ترتيبات بدء الدراسة بجامعة الأزهر الشريف، وعددًا من المشروعات التى تخدم رسالة الأزهر، وأحوال جامعة الأزهر الشريف، ومدى استعدادها لاستقبال العام الدراسى الجديد.

مؤكدًا سيادته أن الأزهر الشريف فى نفوس كل المسلمين، وهو الضابط للفتوى الصحيحة والدعوة الإسلامية واللغة العربية، والقائم على نشر علوم الدين فى مصر والعالم الإسلامى، وهو بهذا كله خط الصد الأول لمواجهة الأفكار الشاذة التى تنتج التطرُّف والإرهاب.

وقد رحَّب فضيلة الإمام الأكبر بالسيد رئيس الوزراء، مشيدًا بدور سيادته البارز والجهد الكبير الذى يقوم به فى مواجهة التحديات التى تُواجه مصرنا الحبيبة، داعيًا الله تعالى للقيادة الحكيمة لمصر وكافة مؤسساتها بالتوفيق والنجاح فى تحقيق آمال المواطنين وتطلعاتهم، قائلاً فضيلته: إن مشروع قناة السويس أعطى الأمل لكل المصريين، ويجب أن يكون المصريون جميعا قيادة وحكومة ومؤسسات على قلب رجل واحد؛ حتى يستطيعوا أن ينهضوا بالوطن الغالى ويحققوا مستقبلا أفضل للمواطنين جميعًا.

وزير الأوقاف يثمن بشدة قرار خادم الحرمين بترميم الجامع الأزهر
وزيارة الشيخ محمد بن زايد للأزهر الشريف وتقبيله لرأس الإمام الأكبر

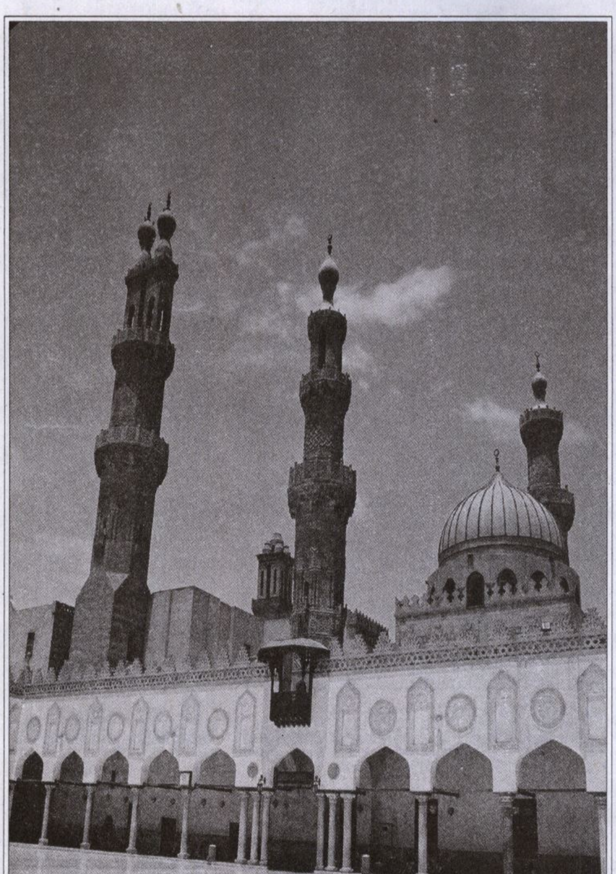

ثمن معالى وزير الأوقاف أ.د/ محمد مختار جمعة بشدة قرار خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز على قراره الكريم بترميم الجامع الأزهر على نفقة المملكة العربية السعودية تقديراً من جلالته لدور الأزهر الشريف فى نشر سماحة الإسلام ، وليس ذلك بمستغرب من شخصية كبيرة وحكيمة وقائدة كخادم الحرمين الشريفين لها ثقلها السياسى واحترامها فى العالم كله.

كما يثمن معالى وزير الأوقاف بشدة أيضًا ما تقوم به دولة الإمارات العربية تجاه جمهورية مصر العربية بصفة عامة والأزهر الشريف بصفة خاصة، ويقدر تقديراً عاليًا وخاصًا هذا السمو والرقى الذى تجلى فى تقبيل صاحب السمو الشيخ محمد بن زايد ولى عهد أبو ظبى لرأس فضيلة الإمام الأكبر، وهذا إن دل فإنما يدل على كريم خلق ومعدن عربى أصيل، فالشىء من معدنه لا يستغرب، كيف لا وهو ابن حكيم العرب الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان رحمه الله.

الإمام الأكبر: المسيحيون فى بلاد الشرق شركاء فى الوطن

الإمام الأكبر شيخ الأزهر يستقبل القس صفوت البياضى رئيس الطائفة الإنجيلية

استقبل فضيلة الإمام الأكبر أ .د . أحمد الطيب، شيخ الأزهر الشريف وفدا من رؤساء الكنائس الإنجيلية بالشرق الأوسط، برئاسة الدكتور القس صفوت البياضى، رئيس الطائفة الإنجيلية .

وأشاد الوفد بوثيقة الأزهر الشريف التى تعتبر حرية العقيدة حقًا تكفله صريح الأصول الدستورية والنصوص الدينية القطعية، مؤكدًا أن الأزهر هو بيتنا الكبير الذى يرعى الجميع بفكر الإسلام الوسطى.

وأطلع الوفدُ الإنجيلى الإمامَ الأكبر على أوضاع المسيحيين بالشرق الأوسط وتخوفهم من التهجير والإقصاء على غرار ما حدث بالعراق على يد التنظيم الإرهابى "داعش".

وقد أكد فضيلة الإمام الأكبر أن المسيحيين فى بلاد الشرق شركاء فى الوطن، وتخوفهم من التهجير والإقصاء لا يشهد به الواقع ولا التاريخ؛ وما يحدث فى الآونة الأخيرة من قتل وترويع وتهجير ليس نابعا من داخل بلاد الشرق، موضحا أن هناك قوى خارجية تعمل على تقويض الدول العربية، وتخطط للاستيلاء على مقدراتها وخيراتها .

وأعلن فضيلته براءة الإسلام من الجرائم التى ترتكب باسمه، داعيا صناع القرار فى الغرب إلى الكف عن دعم جماعات الإرهاب الأسود التى تعيث فى الأرض فسادا.

الإمام الأكبر: نتطلع إلى عودة لبنان إلى ماضيه من التناغم والتآلف بين كافة طوائفه

استقبل فضيلة الإمام الأكبر أ.د : أحمد الطيب، شيخ الأزهر الشريف السيد/ جبران باسيل، وزير الخارجية اللبنانى.

وأكد الوزير أننا فى لبنان بحاجة ماسة إلى صوت العقل من خلال الأزهر الشريف؛ لإخماد الفتن التى تكاد تظهر فيه، مشيدا بمنهج الأزهر الوسطى الذى يحافظ على التعددية الفكرية الأصيلة، ويحرص على التعايش المشترك بين أبناء وطنه.

وقال فضيلة الإمام الأكبر: إننا نأمل أن تعود دولة لبنان إلى سابق عهدها من التناغم والتآلف بين كافة طوائفه.

وأضاف فضيلته أن الإسلام برىء مما تقوم به التنظيمات الإرهابية التى تشوه صورة الإسلام السمحة، ودعا إلى التصدى للإجرام الذى يقوم به الإرهاب الأسود.

وقال فضيلته: إننا بصدد تأليف كتاب بالأزهر الشريف يعالج المفاهيم المغلوطة التى بثها المتطرفون والإرهابيون فى المجتمعات العربية والإسلامية من نحو مفهوم الخلافة والتكفير...؛ وذلك لتدريسه وإقراره على طلاب الأزهر بمختلف مراحل التعليم.

وزير خارجية لبنان : لا نتصور زيارة القاهرة دون لقاء الإمام الأكبر..

الإمام الأكبر لخريجى مراكز تعليم اللغات:

أنتم أمل الأزهر فى التواصل مع العالم

نظمت مشيخة الأزهر الشريف احتفالية كبرى لتكريم خريجى الدفعة الخامسة للغة الإنجليزية والدفعة الأولى للغة الفرنسية والألمانية بمراكز تعليم اللغات بالأزهر الشريف.

د / شومان:

الإسلام يتسع للجميع ولا يحمل عداء لأحد ويؤكد على أهمية التعايش السلمى وقيم المواطنة

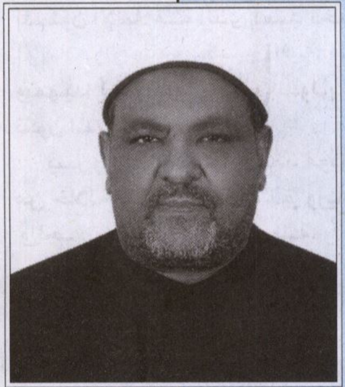

د. عباس شومان
وكيل الأزهر

ونقل فضيلة أ.د/ عباس شومان وكيل الأزهر تهنئة فضيلة الإمام الأكبر أ.د/أحمد الطيب شيخ الأزهر للخريجين قائلا إن فضيلة الإمام الأكبر كان يود مشاركتكم فرحتكم، ليسعد برؤية حلمه وهو يتحقق، موضحا أن الأزهر يسعد بطلابه ويعتز بهم، فهم حملة رسالة الإسلام الوسطية والاعتدال إلى غير الناطقين بالعربية فى أرجاء العالم.

وأكد وكيل الأزهر أننا نشعر حين يتخرج دعاة يحملون منهج الأزهر ورسالته بلغات متعددة أننا على الطريق الصحيح، ولن تتوقف مسيرتنا لنخاطب العالم بلغته، مشيرا إلى أن الأزهر يسعى لتخريج دعاة يتحدثون بكل لغات العالم .

كما أكد وكيل الأزهر على أهمية الدور الذى يقوم به خريجو مراكز اللغات فى استعادة دور الأزهر العالمى فى ظل الظروف الصعبة التى يهاجم فيها الإسلام لتوضيح حقيقته للعالم أجمع بلغته ,والتأكيد على حقائق الرسالة الإسلامية التى تؤكد على أهمية التعايش السلمى وقيم المواطنة ,وأن الإسلام يتسع للجميع ولا يحمل عداء لأحد .

وطالب وكيل الأزهر الخريجين بضرورة بذل المزيد من الجهد لتصحيح صورة الإسلام ولديهم كامل الدعم من الأزهر، مناشدا الطلاب الاقتداء بسيرة الدكتور محمود عزب الذى أحبه المسلمون وأثنى عليه غير المسلمين لأنهم وجدوا فيه صورة عالمية للمسلم، لقد مثل الإسلام الذى نعرفه ونريده.

وقدّم د. عبد الدائم نصير - مستشار شيخ الأزهر - التهنئة للطلاب ، متمنيًا لهم التوفيق فى مسيرتهم العلمية والدعوية، مطالبًا إياهم ألا ينسوا رسالة الأزهر الشريف وهى إعلاء شأن الإسلام وإيصاله للعالم أجمع.

وأكد د نصير، خلال كلمته على أهمية تعلم اللغات فى التواصل مع العالم وتوصيل أهداف الأزهر له، قائلا: رسالة الأزهر رسالة عالمية لا تنحصر فى مصر، ولا فيمن يتحدثون اللغة العربية لذلك لابد أن يتعلم الأزهريون اللغات الأجنبية».

مؤتمر وطني للأوقاف

«تصحيح صورة الإسلام فى الفن والإعلام مسئولية من؟»

انطلاقا من فكرة مؤتمر المجلس الأعلى للشئون الإسلامية الذى يعقد تحت عنوان «عظمة الإسلام وأخطاء المنتسبين إليه: طريق التصحيح» وتمهيداً لعقد هذا المؤتمر الدولى الذى نسعى لأن تكون المشاركة فيه عالمية.

يسر وزارة الأوقاف أن تعقد مؤتمرا وطنيا تهدف من خلاله تقديم نموذج يتسق وريادة مصر الفكرية والحضارية والإسلامية، وذلك تحت عنوان «تصحيح صورة الإسلام فى الفن والإعلام: مسئولية من؟» بحيث يشارك فيه أهل الاختصاص من رجال الاعلام والفن والثقافة والمفكرين والأدباء وبعض العلماء المعروفين بالمنهج الوسطى وفهمهم الصحيح للإسلام دون إفراط أو تفريط.

وسيكون المؤتمر فى شكل حلقات حوارية ونقاشية تهدف إلى الخروج بتوصيات وحلول علمية وعملية قابلة للتطبيق، وسنتواصل مع بعض القيادات الإعلامية والثقافية والفكرية لتشكيل لجنة تحضيرية لهذا المؤتمر ليخرج بالصورة التى تليق بوجه مصر الحضارى وعراقة المؤسسات والشخصيات التى ستشارك فيه.

محاور المؤتمر الدولى الرابع والعشرين للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية

يعقد المجلس الأعلى للشئون الإسلامية مؤتمره الدولى العام فى دورته الرابعة والعشرين تحت عنوان «عظمة الإسلام وأخطاء المنتسبين إليه: طريق التصحيح».

وتأتى محاور المؤتمر العام على النحو التالى:

أولا: المحاور باللغة العربية

المحور الأول: أصل الداء ومكمن الخلل:

أ - أسباب الانفصال بين عظمة الإسلام وسلوكيات المسلمين.

ب - التوظيف السياسى للدين.

المحور الثانى: من وجوه العظمة فى الحضارة الإسلامية:

أ - عظمة القيم الأخلاقية.

ب - عظمة الإسلام فى التعامل مع الآخر والمختلف.

المحور الثالث: أخطاء المنتسبين إلى الإسلام:

أ - الأخطاء الفكرية.

ب - الأخطاء السلوكية .

جـ - أخطاء الجماعات المحسوبة ظلمًا على الإسلام .

المحور الرابع: ضرورة تصحيح الصورة:

أ - صورة المسلمين فى العالم دراسة وثائقية وتحليلية.

ب - تجديد الفكر الدينى.

جـ - التصحيح على أرض الواقع.

د - تصحيح الصورة لدى المجتمعات العالمية - الوسائل والآليات.

وهذه المحاور منشورة بتسع لغات هى: العربية، والإنجليزية، والفرنسية، والروسية، والألمانية، والأسبانية، والصينية، والأردية، والسواحلية على موقع وزارة الأوقاف «أوقاف أونلاين».

قوافل علماء الأزهر والأوقاف تواجه النقيضين

التطرف والتسيب والانحلال الأخلاقى

تتابع القوافل الدعوية المشتركة لعلماء الأزهر والأوقاف جهودها الدعوية المخلصة فى كل محافظات مصر لنشر وسطية الإسلام ومحاربة التعصب والتشدد ومواجهة التطرف بكل صوره وأشكاله ومقاومة ظاهرة الإلحاد الغريبة التى طرأت على مجتمعنا المصرى العريق، وتعمل على تحصين الشباب وتوجيههم توجيها حسنا لما ينفعهم فى دينهم ودنياهم.

كما تواجه كل مظاهر التسيب والانحلال الأخلاقى، نهجُها فى ذلك قول الله تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾.

رسالة المسجد فى ضوء تجديد الخطاب الدينى

فى كلمته التى ألقاها معالى وزير الأوقاف أ.د/ محمد مختار جمعة بمقر وزارة الصحة وبحضور أ.د/ عادل عدوى وزير الصحة والسكان، وأ.د/ محمود أبو النصر وزير التربية والتعليم لتدشين فعاليات البرنامج القومى للحمى الروماتيزمية وإطلاق مبادرة (من القلب للقلب) للقضاء على روماتيزم القلب والذى يعد من المشكلات الصحية التى تسعى وزارة الصحة والسكان للقضاء عليها بحلول عام ٢٠٢٠ م، وذلك بالتعاون مع وزارات التربية والتعليم والأوقاف والشباب أكد معاليه أن رسالة المسجد تتسع لكل ما فيه صالح الوطن والمواطن فحيث تكون المصلحة فثمة شرع الله .

ويأتى تعاون وزارة الأوقاف مع وزارة الصحة فى نشر الثقافة الطبية من خلال دروس توعية

معالى وزير الأوقاف يلقى كلمته بوزارة الصحة بحضور وزيرى الصحة والتعليم

بشكل دورى بجميع مساجد وزارة الأوقاف بالمحافظات وبخاصة فى مجال الطب الوقائى، وقد أقامت الوزارة مؤتمرًا مهما بمستشفى الدعاة التابعة لوزارة الأوقاف.

وزارتا الأوقاف والرى :

توقعان بروتوكول تعاون لترشيد المياه وحمايتها من التلوث ولجان مشتركة للتوعية وحل مشاكل الفلاحين

فى إطار تضافر جهود كافة الوزارات وانطلاقًا من الدور الوطنى الواجب على كل مصرى وقّع معالى أ.د/ محمد مختار جمعة وزير الأوقاف ومعالى أ.د/ حسام الدين المغازى وزير الموارد المائية والرى اتفاق التعاون لنشر التوعية المائية تحت شعار نيلنا نحميه.. ونحافظ عليه،

ويهدف البروتوكول إلى أهمية ترشيد المياه والحفاظ على كل قطرة، وحمايتها من التلوث، وعدم التعدى على نهر النيل بالبناء أو الردم، تطبيقًا لتعاليم الإسلام التى تهدف لتحقيق مصالح البلاد والعباد، حيث حثّنا القرآن الكريم والسنة النبوية على ضرورة ترشيد استعمال المياه وعدم الإسراف فيها، مع الحفاظ عليها من كل ما يُكدّرها أو يسىء استخدامها.

ومن جانبه أكد معالى أ.د/ محمد مختار جمعة وزير الأوقاف، أن الاعتداء على نهر النيل يُعد تعدّيًا على نعم الله عزّ وجلّ وعلى حقوق البلاد والعباد، فهو شريان الحياة فى مصر، كما أكّد على أهمية الترشيد وعدم الإسراف .

كما وضع معاليه مقياسًا مهمًا لتقدم الأمم ونهضتها اقتصاديًا وهو أن الإنتاج نصف الاقتصاد، والاستهلاك نصفه الآخر، فلنعمل دائمًا فى الاتجاهين زيادة الإنتاج وترشيد الاستهلاك .

وأضاف معاليه أنه سيتم تدريب ١٠٠٠ من أئمة المساجد على نشر التوعية المائية على المستوى القومى، وسيتم تكوين فرق عمل من شباب الأئمة ومهندسى الرى على مستوى الجمهورية للتوعية بالمساجد والتعرف عن قرب على مشاكل الفلاحين والعمل على حلها.

أثناء توقيع بروتوكول تعاون لنشر التوعية المائية تحت شعار «نيلنا نحميه»

معالى وزير الموارد المائية يسلم درع الوزارة لمعالى وزير الأوقاف

ومن جانبه أكّد معالى أ.د/ حسام المغازى وزير الرى على أهمية الدور الذى يقوم به أئمة وخطباء الأوقاف بالمساجد فى دعوة جميع أفراد الشعب إلى الحفاظ على المياه لأنها نعمة من عند الله عز وجل، خلقها للإنسان لكى يستفيد بها بالقدر الذى يكفيه وليس من أجل تبديدها أو سوء استخدامها.

وصول قافلة الأزهر الإغاثية الثانية إلى قطاع غزة

وصلت بحمد الله قافلة الأزهر الإغاثية الثانية إلى قطاع غزة، حيث كان فى استقبالها بمعبر رفح من الجانب الفلسطينى الدكتور/ إسماعيل بلبل، عميد المعاهد الأزهرية بفلسطين، والدكتور/ جبر الناعور، والدكتور/ زياد الدماغ، والأستاذ/ ناصر الحلو - أعضاء مجلس أمناء المعاهد الأزهرية، والأستاذ/ مروان عيسى، مدير الدائرة المالية.

أعضاء مجلس أمناء المعاهد الأزهرية ضمن وفد قافلة الأزهر الإغاثية إلى قطاع غزة

وقد قدم أعضاء مجلس أمناء المعاهد الأزهرية الشكر للأزهر الشريف ولفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر على ما يبذله من جهد تجاه القضية الفلسطينية، وقال د. بلبل: إن هذا اليوم يوم مشهود فى تاريخ فلسطين، يظهر فيه الشعب المصرى والأزهر الشريف وقوفه بجانب الشعب الفلسطينى .

ومن جانبه نقل الدكتور/ سعيد عامر، الأمين العام المساعد للجنة الدعوة - تحيات فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر، والشعب المصرى حكومة وشعباً إلى أهل فلسطين، موضحا أن ما يقوم به الأزهر الشريف هو ما تقتضيه الأخوة الإيمانية، وتفعيلها على أرض الواقع بإرسال القوافل إلى أرض غزة الصابرة كان بناء على تعليمات فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف .

واعتبر الشيخ/ محمد العبد أن هذه القافلة هى رمز يعبر به الأزهر الشريف عن وقوفه إلى جانب الشعب الفلسطينى الشقيق، مؤكدا أن هذه القافلة تزيد عن سابقتها بنحو خمسين طنا من المواد الطبية والغذائية والإغاثية .

صدور العدد الأول من مجلة «الفردوس»

إيمانًا من وزارة الأوقاف بحق الطفل المصرى والعربى فى الثقافة والمعرفة، وأن أطفال اليوم هم شباب الغد المشرق بالخير ورجال المستقبل الواعدين أصدر المجلس الأعلى للشئون الإسلامية العدد

الأول من مجلة الفردوس الورقية فى ثوبها الجديد (مجلة كل الأطفال) عدد ذى القعدة ١٤٣٥هـ - سبتمبر ٢٠١٤م، ويمكن الحصول عليها أول كل شهر عربى من موزعى الأخبار ومكتبات المجلس الأعلى للشئون الإسلامية.

جهود وزارة الأوقاف فى مكافحة العنف ضد المرأة

قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُواْ فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ

انطلاقًا من رسالة وزارة الأوقاف الدينية والقومية فى مواجهة المشكلات والقضايا العصرية ، ومنها مشكلة ـ العنف ضد المرأة ـ والتى تتمثل فى حرمانها من بعض حقوقها الشرعية والاجتماعية كالميراث أو زواجها رغما عنها ممن لا ترغب فيه ، أو تعرضها لظاهرة التحرش الجنسى فى هذه الآونة الأخيرة ، مما ينتج عنه أمراض وعلل ينعكس أثرها السلبى على المجتمع بأسره .

وقد عملت الوزارة جاهدة على التعامل مع هذه المشكلات فى شكل خطط عاجلة ومتوسطة ومستقبلية تسهم بشكل ملحوظ وفعّال فى حل تلك المشكلات وذلك على النحو التالى:

- تقوم الوزارة بالتوعية بمشكلة «العنف ضد المرأة» فى القوافل الدعوية بالمساجد على مستوى الجمهورية وفى الملتقيات والندوات التى يحاضر فيها علماء الأزهر والأوقاف.

- قامت الوزارة بطبع مجموعة من الكتب التى تتناول مشكلة «العنف ضد المرأة» من هذه الكتب «مكانة المرأة فى الإسلام وحقها فى التعليم»، وكتاب «المرأة بين الجاهلية والإسلام» وكتاب «حديث القرآن عن الرجل والمرأة».

- خصصت الوزارة فى خطبها الموحدة على مستوى الجمهورية خطبة تعالج قضايا المرأة والاهتمام بها وإعطائها حقوقها غير منقوصة منها على سبيل المثال: «عناية الإسلام بالمرأة وإكرامه لها» وأعدت دروسًا حول ـ ظاهرة التحرش أسبابها وعلاجها ـ.

- أدرجت الوزارة قضايا المرأة وبخاصة ما يتصل بحقوق الزوجين وشئون الأسرة ضمن المنهج التدريبى للدورات التدريبية للسادة الأئمة على مستوى الجمهورية لما له من أهمية وطنية ودينية بالغة .

- تقوم الوزارة بوضع خطة لنشر مقالات ودراسات عن ـ العنف ضد المرأة ـ بمجلة «منبر الإسلام» التى يصدرها المجلس الأعلى للشئون الإسلامية.

- تشارك الوزارة ممثلة فى القيادات الدينية بها فى المؤتمرات والاجتماعات التى تعقدها الجهات المعنية ممثلة فى المجلس القومى للمرأة وبقية المؤسسات الحكومية والأهلية المعنية بهذا الشأن.

ـ وحرصًا من معالى أ.د / محمد مختار جمعة ـ وزير الأوقاف رئيس المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ـ على الاهتمام بقضايا المرأة قام بتشكيل «لجنة المرأة والأسرة والطفل» بالمجلس الأعلى للشئون الإسلامية وتم وضع خطة لعمل اللجنة، منها : ندوات ودورات تثقيفية وإعداد المواد العلمية الخاصة بالمرأة والطفل .

الأوقاف تقرر الإسهام فى تحسين البنية التعليمية لمائة مدرسة ومعهد أزهرى بالتنسيق مع الاتصالات

فى إطار رسالتها الوطنية، واستجابة لتوجيهات السيد الرئيس/ عبد الفتاح السيسى رئيس الجمهورية بضرورة الاهتمام بالعملية التعليمية قررت وزارة الأوقاف الإسهام فى تحسين البنية التعليمية لمائة مدرسة ومعهد أزهرى، وبخاصة فيما يتصل بالوسائل التعليمية والتكنولوجية، وذلك فى مناطق: سيناء، وحلايب وشلاتين، وسيوة، والواحات، والمناطق النائية، والعزب والنجوع. وذلك من خلال التعاون والتنسيق مع الأزهر الشريف، ووزارة التربية والتعليم، ووزارة الاتصالات التى ستقوم بتوفير بعض أجهزة الكمبيوتر وأجهزة العرض، عملا على تحسين الخدمة التعليمية المقدمة لأبنائنا الطلاب والطالبات .

في المؤتمر الأول للهجرة غير الشرعية بوزارة الشباب

وزير الأوقاف يوجه رسالتى شكر للشباب والسيد الرئيس

والإعلامى جمال سعد: يسعدنا أن الأزهر بكل مؤسساته على قلب رجل واحد

أكد الإعلامى أ / جمال سعد فى تقديمه للمؤتمر الأول للهجرة غير الشرعية «بلدنا أولى بينا» بوزارة الشباب أن مما يسعد المصريين جميعًا أن يكون الأزهر الشريف بكل مؤسساته والأوقاف والإفتاء على قلب رجل واحد يعملون لصالح الإسلام والوطن تحت القيادة الحكيمة لفضيلة الإمام الأكبر أ.د/ أحمد الطيب شيخ الأزهر.

معالى وزير الأوقاف فى حديث ودى مع وزير الشباب والرياضة

ومن جانبه وجه معالى وزير الأوقاف أ.د / محمد مختار جمعة رسالتى شكر: الأولى لشباب مصر الذى قلب الموازين وغير المعادلة، وفاجأ العالم كله بما لم يكن يتوقعه، ففى الوقت الذى عولت فيه بعض القوى على يأس الشباب وإحباطه فى المنطقة العربية خرج الشباب المصرى ليقلب المعادلة، ويربك حسابات القوى الطامعة فى خيرات منطقتنا، يثبت أن لدية وعيا ثقافيا، وولاءً وانتماءً، وقدرة على الصمود، لم يكن يتوقعها أحد.

والثانية للسيد الرئيس عبد الفتاح السيسى الذى فتح باب الأمل ليس أمام الشباب وحده ـ من خلال انطلاق المشروعات الاقتصادية الكبرى ـ وإنما أمام المصريين والعرب جميعًا، فى لحظة كان كثيرون يتهيأون فيها للاستسلام، قال الرجل: لا، مصر لن تستسلم، ولن تركع، وستقود أمتها العربية من جديد إلى العزة والصمود.

كما أكد معالى وزير الأوقاف أن مشكلة الهجرة لها أسباب سياسية ودينية واقتصادية واجتماعية وثقافية وهو ما تعمل كل أجهزة الدولة بالتنسيق فيما بينها على معالجتها وإيجاد حلول لها، وهو ما يتناوله معالى الوزير فى مقال ينشر لاحقًا بإذن الله تعالى.

نظرات بيانية فى الكلمة القرآنية «٦٧»

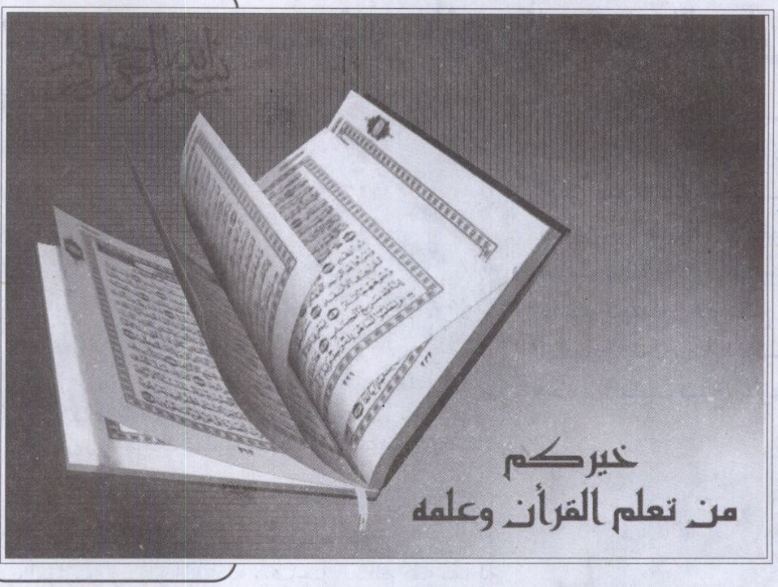

عرفنا من خلال المقالات السابقة أن من مواضع النظرات البيانية فى الكلمة القرآنية ما يتعلق بمجىء صفة العزة لله عز وجل مع صفات أخرى لله تعالى، وفى هذا المجال تتبعنا مجىء هذه الصفة مع صفة المغفرة ومع صفة الرحمة مثل قول الله عز وجل: ﴿وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ﴾ (سورة: غافر الآية: ٤٢) - ومثل قوله سبحانه: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ (سورة: الشعراء الآية: ٩) - وقد وقفنا عند بيان السر البيانى الذى دعا إلى مجىء صفة العزة وذلك من خلال السياق السابق أو اللاحق للشاهد الذى جاءت فيه هذه الصفة.. ثم انتقلنا بعد ذلك إلى تتبع الشواهد التى جاءت فيها هذه الصفة مصاحبة لصفة الحكمة لله تعالى، واقفين أيضا عند بيان السر البيانى الذى اقتضى مجىء صفة العزة فى المقام الذى جاءت فيه، وهو سر متعدد، منه ما يكون تثبيتا لقلوب المؤمنين فى ميدان القتال مثل قول الله عز وجل: ﴿وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ (سورة: آل عمران الآية: ١٢٦) - ومنه ما يكون داعيا إلى حسن التوكل على الله تعالى ومثل قوله سبحانه ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (سورة: الأنفال الآية: ٤٩) ومنه ما يكون كاشفا عن قدرة الله تعالى فى تأليف القلوب المتنافرة مثل قول الله تعالى: ﴿لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (سورة: الأنفال الآية: ٦٣)

د. طه مصطفى أبو كريشة*

إلى غير ذلك من شواهد أخرى عرضنا لها فيما سبق، ونواصل هذا الوقوف مع شواهد مماثلة نحاول من خلالها الوقوف عند الأسرار البيانية التى كانت داعية إلى المجىء بصفة العزة مع صفة الحكمة لله تعالى، مؤكدين على أن ما نصل إليه هو اجتهاد ذوقى نسأل الله عز وجل أن نكون فيه على صواب.

(٣٠٤) فمن الشواهد القرآنية التى اجتمعت فيها صفة العزة مع صفة الحكمة لله تعالى لداع دعا إلى ذلك فى السياق القرآنى ماجاء فى قول الله عز وجل: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (سورة: الأنفال الآية: ٦٧) - إن هذه الآية الكريمة جاءت فى سياق الآيات التى تحدثت عن غزوة بدر الكبرى وما صاحبها من مواقف وأحداث، وهى تلك الغزوة التى عرفنا أن الله

* عضو هيئة كبار العلماء.

تعالى نصر فيها المؤمنين مع قلة عددهم وضعف قوتهم على المشركين مع كثرتهم عددا وقوتهم عدة، لأن الله تعالى كتب النصر لعباده المؤمنين على الكافرين، كما قال سبحانه: ﴿كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ (سورة: البقرة الآية: ٢٤٩) والآية الكريمة التى جاء فيها الشاهد يتحدث عن الأسرى الذين أسرهم المسلمون فى هذه الغزوة، وما تم بشأنهم حين تشاوروا فى أمرهم وارتضوا بأن يأخذوا الفداء فى مقابل إطلاق سراحهم، وكان هذا مخالفا لما كان ينبغى أن يكون معهم فى هذا اللقاء الأول مع المشركين الذين أصروا على اللقاء الحربى مع المسلمين على الرغم من نجاة قافلتهم، وهذا الموقف هو الذى جاءت الإشارة إليه فى أول آية الشاهد: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ﴾ من هنا جاء العتاب الربانى: ﴿تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (الأنفال الآية ٦٧) وهو عتاب يشير إلى الفداء الذى هو عرض زائل من أعراض الدنيا الزائلة، ومع هذا العتاب فإن الله عز وجل بفضله وعفوه تفضل عليهم بالعفو والمسامحة لأنه سبق فى قدره أن لا يعذب أحدا شهد بدرا (ابن كثير جـ ٤) كما قال سبحانه بعد آية الشاهد: ﴿لَوْلَا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (سورة: الأنفال الآية: ٦٨).

إن النظرة البيانية ترى أن موقف العتاب من الله عز وجل بشأن الأسرى الذين تم قبول فدائهم بدلا من عقابهم الذى كانوا يستحقونه لأنهم المعتدون، هو موقف استدعى مجىء صفة العزة لله تعالى لأنها الصفة التى تتناسب هذا المقام الذى كان فيه عتاب صارم ولكن حين أخبرهم بالعفو عنهم بعد هذا العتاب المؤقت، فإن الله عز وجل ذكر من صفاته ما يناسب ما تفضل به عليهم حين أجاز لهم الأكل من الغنائم ومنها غنائم الفداء، وذلك فى قول الله تعالى: ﴿لَوْلَا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (سورة: الأنفال الآية: ٦٩).

(٣٠٥) ومن هذه الشواهد القرآنية التى اجتمعت فيها صفة العزة مع صفة الحكمة لله تعالى لداع دعا إلى ذلك فى السياق القرآنى ما جاء فى قول الله عز وجل: ﴿إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (سورة: التوبة الآية: ٤٠). إن هذه الآية الكريمة جاءت فى سياق الآيات التى تحدثت عن غزوة تبوك التى جاءت فى وقت اشتد فيه الحر، مما جعل بعض المسلمين يتباطأ ويتثاقل عن الخروج فى هذه الغزوة، وهم أولئك الذين نزل بشأنهم هذا العتاب الربانى الذى جاء بيانه قبل آية الشاهد فى قول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرَضِيتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ● إِلَّا تَنْفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (سورة التوبة الآيات ٣٨-٣٩) ثم جاءت آية الشاهد وفيها التذكير بأن نصر الله تعالى لعباده المؤمنين فيما هم مقبلون عليه فى تبوك ليس متوقفا على خروجهم مع النبى ﷺ، فقد سبق أن نصر الله تعالى نبيه ﷺ حين كان فى الغار مع صاحبه سيدنا أبى بكر رضي الله عنه ليلة الهجرة على الرغم من إحاطة المشركين بالغار ووقوفهم على بابه، كما قال تعالى فى هذه الآية: ﴿إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ (سور: التوبة الآية: ٤٠) ومن دلائل هذا النصر ماجاء بيانه بعد ذلك: ﴿فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا﴾ فكانت النتيجة الطيبة العظيمة هى: ﴿وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا﴾.

كتب الله النصر لعباده المؤمنين لذا نصرهم ببدر رغم قلة عددهم

إن النظرة البيانية ترى أن المقام هو مقام الحديث عن النصر الذى نصر به الله عز وجل نبيه ﷺ وهو فى هذا الوضع المكانى فى قلب الغار مع الحصار الكامل من المشركين على الباب، إن هذا النصر المبين الذى أعمى عيون المشركين وردهم على أعقابهم خاسئين هو برهان ساطع على قدرة الله عز وجل التى لا يعجزها شىء وهى تلك القدرة التى أنبأت عنها صفة العزة لله تعالى التى جاءت فى آية الشاهد فى قول الله عز وجل: ﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ فالعزيز قادر والقادر عزيز.

(٣٠٦) ومن هذه الشواهد القرآنية التى اجتمعت فيها صفة العزة مع صفة الحكمة لله تعالى لداع دعا إلى ذلك فى السياق القرآنى ما جاء فى قول الله عز وجل: **﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾** (سورة: التوبة الآية: ٧١)

إن هذه الآية الكريمة تتحدث عن صفات المؤمنين وعن منزلتهم عند الله عز وجل .. وهو حديث جاء تاليا للآيات التى تحدثت عن صفات المنافقين وعن العقاب الذى ينتظرهم فى الآخرة، كما جاء بيان ذلك فى قول الله تعالى: **﴿الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ● وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعَنَهُمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ﴾** (سورة: التوبة الآيات: ٦٧-٦٨) إن هؤلاء المنافقين متصفون بصفات سيئة ذميمة فهم يأمرون بكل منكر وينهون عن كل معروف، وهم بخلاء، وهم فى غفلة عن ذكر الله تعالى وهم فاسقون خارجون عن طاعة الله تعالى، إن قوما هذه صفاتهم يستحقون العذاب الأليم فى نار جهنم وهو عذاب دائم مقيم لا ينصرف عنهم أبدا.

وإذا كان ذلك شأن المنافقين فإن من باب إغاظتهم، ومن باب النكاية بهم أن يجىء الإخبار عن المؤمنين الصادقين وعن الثواب العظيم الذى ينتظرهم فى الآخرة، وهو الثواب الذى يستحقونه جزاء إيمانهم وصدق صفاتهم، فهم يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويؤدون العبادات ويطيعون الله ورسوله فى كل ما أمروا به ونهوا عنه. أما الثواب الذى ينتظرهم فهو الذى جاء الإخبار عنه فى ختام آية الشاهد مع الآية التالية له، وذلك فى قول الله عز وجل: **﴿أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ● وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾** (سورة: التوبة الآيتان ٧١، ٧٢).

المنافقون صفاتهم سيئة ذميمة حيث يأمرون بكل منكر وينهون عن كل معروف

إن النظرة البيانية ترى أن الحديث عن المؤمنين وعن صفاتهم الإيمانية وعن ثوابهم العظيم فى الآخرة جاء من أجل إشاعة كثير من مشاعر الحسرة فى قلوب المنافقين الذين سوف يكونون على النقيض من ذلك فى الآخرة. ومن هنا فإن المجىء بصفة العزة لله تعالى جاء فى مقام تأكيد نزول الرحمة بالمؤمنين فى الآخرة وهى الرحمة التى تجلت مظاهرها فى استحقاقهم الجنات التى تجرى من تحتها الأنهار مع المساكن الطيبة ومع الرضوان الأكبر، وذلك حتى لا يظن المنافقون من خلال نفاقهم أن ذلك أمر بعيد ولذلك أصروا على نفاقهم.

(٣٠٧) ومن هذه الشواهد القرآنية التى اجتمعت فيها صفة العزة مع صفة الحكمة لله تعالى لداع دعا إلى ذلك فى السياق القرآنى ما جاء فى قول الله عز وجل: **﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾** (سورة: إبراهيم الآية: ٤).

إن هذه الآية الكريمة جاءت فى سياق الحديث عن القرآن الكريم وعن آثاره النورانية التى تترتب على الإيمان به وعلى العمل بما فيه، وهى آثار سوف يحرم منها من لم يؤمن به ومن لم يعمل بما فيه وأعرض عنه، إن الحديث عن القرآن الكريم هو

الذى جاء فى صدر الآيات التى جاءت قبل آية الشاهد فى قول الله تعالى: ﴿الر كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ (سورة: إبراهيم الآية: ١) فالقرآن الكريم بأنواره سوف يخرج الناس الذين يعملون به من ظلمات الكفر إلى أنوار الإيمان، ومن ظلمات الضلالة إلى أنوار الهداية، ومن ظلمات الانحراف إلى أنوار الاستقامة، ومن ظلمات الشر إلى أنوار الخير، ومن ظلمات التفرق والتشتت إلى أنوار التوحد والاعتصام بحبل الله تعالى المتين. أما الكافرون الذين لا يؤمنون بالقرآن الكريم فإنهم سوف ينالون العقاب الشديد مع حرمانهم من شدة الأنوار جزاء وفاقا على كفرهم وإعراضهم وصدهم عن سبيل الله تعالى وإيثارهم الطريق المعوج على الطريق المستقيم، إن هؤلاء الكافرين المعرضين هم الذين جاء الحديث عنهم أيضا قبل آية الشاهد فى قول الله عز وجل: ﴿وَوَيْلٌ لِلْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ● الَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ﴾ (سورة: إبراهيم الآيتان: ٢، ٣) ثم جاءت آية الشاهد وفيها بيان عن وظيفة الرسل وهى وظيفة الإبلاغ عن الله عز وجل التى تحمل معها بيانا عن الأمور الطيبة التى تؤدى إلى الهداية، وعن الأمور الأخرى التى تؤدى إلى الضلالة، ومن خلالهما تنفذ المشيئة الإلهية لمن يستحق الهداية فيهديه، ومن يستحق الضلالة فيكون من الضالين ماجاء بيان ذلك فى قول الله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ (سورة: إبراهيم الآية:٤) إن النظرة البيانية ترى أن الحديث عن المشيئة الثابتة لله تعالى فى مقام الإضلال أو فى مقام الهداية بعد وجود البيان الفاصل مع الرسل هو الذى دعا إلى مجىء صفة لله عز وجل فى مقام التعليل لهذه المشيئة التى لا معقب عليها من أحد..

(٣٠٨) ومن هذه الشواهد القرآنية التى جاءت فيها صفة العزة مصاحبة صفة الحكمة لله تعالى لداع دعا إلى ذلك فى السياق القرآنى ما جاء فى قول الله عز وجل: ﴿لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (النحل: ٦٠) إن هذه الآية الكريمة جاءت فى سياق الحديث عن المشركين وعن معتقداتهم الضالة التى كانوا يعتقدونها فى جاهليتهم، فإلى جانب شركهم وكفرهم وإنكارهم للبعث والنشور فإنهم كانوا يعتقدون أن الملائكة هم بنات الله تعالى، بينما كانوا لا يرضون لأنفسهم أن تكون لهم بنات، وكانوا يسارعون إلى دفن البنات عند ولادتهن، وإذا بقيت منهن واحدة على قيد الحياة فإن ذلك يكون منهم مع الشعور بالهوان، وقد جاء تسجيل هذه العادة المنكرة قبل آية الشاهد فى قول الله عز وجل: ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ ● وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنْثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ● يَتَوَارَى مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ (النحل: ٥٧، ٥٩) إن هذه الآيات تصور لنا الموقف النفسى الذى كان يعترى من تولد له أنثى حين يبلّغ بذلك، إنه يكون فى حالة بائسة تبدو مظاهرها فى الوجه الذى تعلوه القتامة والانقباض، وفى المشاعر الحزينة التى يمتلئ بها القلب، وفى الخجل الذى يجعله يتوارى بعيدا عن أعين الناس، ثم يدخل فى دائرة الفكر الذى يبحث من خلاله عن حل لا يخرج عن أمرين ليس فيهما إنقاذ مما اعتراه من أحزان، وهما التعجيل بدفن المولودة فى التراب أو الإبقاء عليها حية مع الشعور بالعار والهوان.

ثم جاءت آية الشاهد لتبين أن هؤلاء المشركين فى هذا المعتقد الجاهلى يقدمون شاهدا واضحا على ما كانوا عليه من نقص فى التفكير الذى جعلهم ينسبون إلى الله تعالى ما لا يرضونه لأنفسهم ﴿لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ﴾ وفى المقابل إن الله عز وجل كما قال: ﴿وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى﴾ فهو سبحانه المنزه عن كل نقص ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ فهو العزيز القادر على إنزال العقاب الذى يستحقونه، وهو العقاب الذى جاء بيانه فى السياق اللاحق لآية الشاهد فى قول الله عز وجل: ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ الْحُسْنَى لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ النَّارَ وَأَنَّهُمْ مُفْرَطُونَ﴾ (النحل الآية: ٦٢) إن الإنذار بالعقاب الشديد هو الذى دعا إلى المجىء بصفة العزة لله تعالى فى هذا المقام، وهذا ما تراه النظرة البيانية.

التفسير اللغوى للقرآن الكريم (٣٥)

د/ عبد الغفار حامد هلال*

قال تعالى:

﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ● وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلاَّ مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾

(البقرة: الآيتان ١٢٩، ١٣٠)

هاتان الآيتان الكريمتان تتحدث الأولى منهما عن تمام دعوة إبراهيم وإسماعيل - عليهما السلام - لأهل البيت بأن يبعث الله فيهم رسولا يبصرهم وسائر الخلق من الإنس والجن بصراط الله المستقيم، والمقصود هنا بعث نبينا محمد ﷺ من العرب إلى الناس جميعا ليخرجهم من الظلمات إلى النور.

وقد جرى ذكر نبينا ﷺ منذ دعوة إبراهيم وظل يجرى بالوحى على لسان النبيين فحدثت به التوراة التى نزلت على موسى عليه السلام وحدث به الإنجيل الذى نزل على عيسى عليه السلام قبل تحريف هذين الكتابين.

ومع ذلك أنكر اليهود والنصارى ما وقع فى كتبهم وما جرى على ألسنة رسلهم من نبوة محمد ﷺ زاعمين أنهم على ملة إبراهيم فجاءت الآية الثانية للرد عليهم وبيان سفههم وجهالتهم وأن نبوة محمد ﷺ امتداد لنبوة إبراهيم فالإسلام هو دين إبراهيم الحنيف.

* الأستاذ بجامعة الأزهر.

وهذا هو مضمون الآيتين:

فالآية الأولى تتناول الحديث عن بعثة محمد ﷺ وطريقته فى الدعوة إلى الله تعالى كما جاء فى قوله سبحانه: ﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ﴾.

ولسائل أن يسأل: لم قال (وابعث فيهم رسولا منهم) فأعاد الضمير (هم) بصيغة الجمع إلى الذرية فى قوله السابق (ومن ذريتنا) دون أن يقول (وابعث فيها) رسولا (منها) كما يقتضيه لفظ الذرية؟

فالجواب أنه أعاد الضمير بصيغة الجمع حملا على معنى الذرية لا لفظها لأن المراد بالذرية الأمة الإسلامية التى دعا إبراهيم وإسماعيل بخروجها من أصلابهما وهذه دقة لغوية لا تخفى؛ فالرسالة المحمدية عامة لا خاصها.

وقد وصف الرسول ﷺ المبعوث بثلاث صفات هى تلاوة الآيات وتعليم الناس الكتاب والحكمة وتزكيتهم.

والمراد تلاوة القرآن وتدبر معانيه وتعليمهم أحكام الشريعة التى جاءت وما تكتمل به نفوسهم من المبادئ والقيم وتطهيرهم من أدران الشرك والضلال ليعبدوا الله وحده لا شريك له حتى تستقيم حياتهم على العقيدة السليمة وهى الإسلام.

وجاءت الألفاظ متعددة فى التعبير عن القرآن ورسالة محمد ﷺ فيعبر عن القرآن بالآيات والكتاب والحكمة ويعبر عن الرسالة بتلاوة القرآن وبالتعليم وبالتزكية وهذا يدل على ثراء التعبير اللغوى القرآنى الذى يستطيع أن يعبر عن الغرض الواحد بجملة ألفاظ لكل منها وجه جديد فى أداء المعنى. وما أبدع القرآن الكريم فى ذلك.

وقد بينت الآية الثانية أن دين محمد ﷺ امتداد لدين إبراهيم الخليل وهو الإسلام وأن ملة إبراهيم لم تكن اليهودية أو النصرانية كما زعم اليهود والنصارى.

تلاوة القرآن وتدبر معانيه تطهير للنفس حتى تستقيم على العقيدة السليمة

فالحديث عن ملة إبراهيم ودحض فرى المعارضين جاء فى قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلاَّ مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ﴾، الملة هى الدين والشرع.

والفعل (رغب) يستعمل لمعنيين: أحب وكره ويفرق بينهما بحرف الجر الذى يتعدى به فإذا كان بمعنى أحب تعدى بـ (فى) فيقال: رغب فى كذا أى أحبه، وإذا كان بمعنى كره تعدى بـ (عن) فيقال: رغب عن كذا: إذا كرهه وتركه.

و(رغب) - فى الآية - تعدى بـ (عن) فالمراد كراهة اليهود والنصارى دين محمد ﷺ الذى هو دين أبيه إبراهيم مع ظهور الحق ووضوحه.

وقوله سبحانه: ﴿سَفِهَ نَفْسَهُ﴾:

السفه: الجهل والامتهان والاستخفاف والعرب تضع (سفه) موضع (جهل) وهذا توبيخ من الله تعالى لهؤلاء المعارضين لدعوة محمد ﷺ من مشركى العرب وأهل الكتاب فهؤلاء قد امتهنوا أنفسهم واستخفوا بها وظلموها ظلما فادحا حيث تركوا الحق إلى الضلال.

فالمشركون الذين يعبدون الحجارة أو الأصنام أو الكواكب قد جهَّلوا أنفسهم وفعلوا بها ما صاروا به سفهاء حيث صرفوها عن عبادة الله الذى يستحق العبادة وحده لأنه خالقها ومبدع صنعتها وغيره لا يملك من ذلك شيئا.

وأهل الكتاب أنكروا نبوة محمد ﷺ ووقعوا فى الضلال لسوء تصرفهم وإنكارهم ما هو واضح بالأدلة والبراهين وافترائهم على إبراهيم بأنه كان على ديانتهم الباطلة مع أنه منهم براء.

ثم جاء الحديث عن اصطفاء الله تعالى إبراهيم لنشر الإسلام على أمته وذريته فقال سبحانه: ﴿وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ (سورة البقرة: الآية ١٣٠).

الاصطفاء مأخوذ من الصفوة وهو الخلو من الأدناس والمراد: اخترناه وخصصناه بالفضل فى الدنيا منذ حداثة سنه إلى أن اتخذناه خليلا

إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ

وأعطيناه الرسالة والهداية والإرشاد وهو فى الآخرة من الصالحين السعداء.

فإبراهيم قد جرد توحيد ربه تبارك وتعالى فلم يدع معه غيره ولا أشرك به طرفة عين وتبرأ من كل معبود سواه وخالف فى ذلك سائر قومه حتى تبرأ من أبيه فقال: ﴿يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ ● إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (سورة الأنعام: الآيتان ٧٨ ، ٧٩).

وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ﴾ (سورة التوبة: الآية ١١٤).

وقال عز حكمه: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ● شَاكِرًا لِأَنْعُمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (سورة النحل: الآيتان ١٢٠ ، ١٢١).

وهذا دليل على ظلم الكفار - بجميع طوائفهم - لأنفسهم فهم قد تركوا طريق إبراهيم ومسلكه وملته واتبعوا طريق الضلالة والغى فأى سفه أعظم من هذا؟ أم أى ظلم أكبر من هذا؟ كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ (سورة لقمان: الآية ١٣).

ظلم الكفار أنفسهم لتركهم طريق إبراهيم ومسلكه وملته واتبعوا طريق الضلالة والغى

ولسائل أن يسأل: لمَ أكدَ جملة (ولقد اصطفيناه فى الدنيا) باللام الموطئة للقسم؟ وأكد جملة (وإنه فى الآخرة لمن الصالحين) بـ (إن) واللام الواقعة فى خبرها؟

فالجواب: أن اصطفاء إبراهيم فى الدنيا أمر معلوم مشاهد تناقله الناس جيلا بعد جيل ولا خفاء فيه وإن أنكره الضالون فناسب أن يؤكد الكلام باللام والقسم الذى تضمنه الكلام، أما كونه فى الآخرة من الصالحين فهو أمر مغيب فاحتاج الإخبار به إلى تأكيد من نوع آخر فناسب أن يؤكد هذا الأمر بمؤكدات أخرى هى (إن) واللام واسمية الجملة التى تدل أيضا على ثبوت صلاحه فى الآخرة ثبوتا لا مرية فيه ولا تحول.

كثيراً ما انتقد القرآن الكريم أولئك الذين حبسوا عقولهم عن التفكير وعطلوا ملكة التعقل وغلوها عن العمل، فضلوا عن الاهتداء إلى الحق والخير، وعموا أبصارهم عن النظر فى الدلائل على وحدانية الله الخالق وقدرته، فهم بذلك عطلوا أسمى هبة منحهم الله إياها، فهم أناسىّ صورة لا حقيقة، لأنهم بتعطيل عقولهم وحبس تفكيرهم صاروا كالأنعام أو أضل سبيلا.

لذا حث القرآن الكريم المؤمنين على التعقل والتفكر فى قدرة الله وعظمته الظاهرة فى كل ملكوته عز وجل.

د. حسن أحمد خليل*

سَخِرَ القرآن الكريم ممن يؤثرون الحياة الدنيا لأنهم يؤثرون الفانية على الباقية

وكثيرة هى الشواهد القرآنية التى تبين بجلاء سخرية القرآن الكريم واستهزاءه بمن لا يفكرون ومنها:

● سخرية القرآن الكريم من الجهال الضالين الذين يتعنتون فى مطالبهم ولا أرب لهم إلا العناد والإعنات، فقد طلبوا ليؤمنوا أن يكلمهم الله، أو يأتيهم بمعجزة، وتناسوا أن الرسل جاءوا بمعجزات من قبل، فكذبهم أمثال هؤلاء فهم وسابقوهم سواء، قال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ كَذَٰلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ (سورة البقرة الآية ١١٨).

● وعندما يزعم اليهود مزاعم يأباها العقل والتفكير السليم بادعائهم أن إبراهيم عليه السلام كان يهوديا وجعل هؤلاء يجادلون رسول الله ﷺ فيه يأتى رد القرآن الكريم عليهم ساخرا ومستهزأ من تفكيرهم الضال، لأن اليهودية كانت بعد إبراهيم فكيف كان إبراهيم على دين لم ينزل إلا بعده؟! ولو أنهم عقلوا لأدركوا بهتانهم، ولم يجادلوا مثل هذا الجدال:

* مدير عام التحرير والترجمة والنشر.

> بسم الله الرحمن الرحيم
> كم أهلكنا من قرية بطرت معيشتها فتلك مساكنهم لم تسكن من بعدهم
> صدق الله العظيم

يقول تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنْزِلَتِ التَّوْرَاةُ وَالإِنْجِيلُ إِلاَّ مِنْ بَعْدِهِ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ﴾ (سورة آل عمران الآية ٦٥).

● كذلك استهزأ القرآن الكريم بعقول المشركين الذين طلبوا من النبى ﷺ أن يجيئهم بقرآن غير هذا أو يبدله فكان رده الموحى إليه أنه يبلغهم ما يوحى إليه، لا يزيد ولا ينقص ثم قال لهم: إنه قضى بينهم أربعين سنة من قبل، لم يتل عليهم قرآنا ولم يدعهم إلى الإسلام، وقد نهض الآن بالدعوة طاعة لله عز وجل وتحقيقا لمشيئته، فلماذا لا يفكرون فى هذا؟ أفما آن لهم أن يعقلوا؟! يقول تعالى: ﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لاَ يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلاَّ مَا يُوحَى إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ● قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلاَ أَدْرَاكُمْ بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِنْ قَبْلِهِ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ﴾ (سورة يونس الآيتان ١٥ ، ١٦).

● ويتردد فى القرآن الكريم الاستهزاء بالذين يعمون عن مظاهر قدرة الله فيما خلق بالأرض والسماء ولو أنهم نظروا وفكروا وأعملوا عقولهم لأيقنوا بوحدانية الله وقدرته والعجب أنهم لم يتفكروا فى أنهم قد يتخطفهم الموت قريبا، فيندمون على تعطيل عقولهم، فما لهم لا يبادرون إلى الإيمان بالقرآن قبل فوات الأوان؟ وماذا ينتظرون بعد أن اتضح الحق لهم، وبأى حديث يصدقون؟ وهل يتوقعون أصدق من القرآن حديثًا؟

ثم إنهم لا يعتبرون بما حاق بسابقيهم من نكال وعذاب ولا يقدرون نعم الله عليهم وهم إن عدوها لا يحصوها! يقول تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ﴾ (سورة الأعراف الآية ١٨٥).

وصف القرآن الكريم من يفترون على الله بأنهم لا يعقلون ما يقولون

ويقول سبحانه وتعالى على لسان إبراهيم عليه السلام: ﴿قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لاَ يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلاَ يَضُرُّكُمْ ● أُفٍّ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ﴾ (سورة الأنبياء الآيتان ٦٦ ، ٦٧).

ويقول سبحانه وتعالى ﴿فَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَشِيدٍ ● أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لاَ تَعْمَى الأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ (سورة الحج الآيتان ٤٥- ٤٦).

● وممن يسخر منهم القرآن الكريم أولئك الذين يؤثرون الحياة الدنيا على الآخرة لأنهم لا يعقلون، حيث إنهم يفضلون الفانية على الباقية.

يقول تعالى: ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَلَلدَّارُ الآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ﴾ (سورة الأنعام الآية ٣٢).

وقال سبحانه: ﴿وَالدَّارُ الآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ﴾ (سورة الأعراف الآية ١٦٩).

● ويقرع القرآن المنافقين الذين استأذنوا الرسول ﷺ فى أن يتخلفوا عن السير معه إلى غزوة تبوك فأذن لهم وتركهم فى المدينة، وكرهوا أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله، مؤثرين السلامة الموقوتة على الجهاد، زاعمين أن السفر فى الحر شاق عليهم، هؤلاء المنافقون لا يفقهون؛ لأن نار جهنم أشد حرًا، فهم يفرون من هين محتمل إلى شاق لا يحتمل، ويتهربون من ألم صغير قصير إلى عذاب دائم كبير، وهذا جهل منهم وغفلة وسوء تفكير، يقول تعالى: ﴿فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلاَفَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لاَ تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ﴾ (سورة التوبة الآية ٨١).

الذين تخلفوا عن الخروج مع رسول الله فروا من حر الدنيا إلى نار جهنم

● من سخرية القرآن الكريم بمن لا يعقلون أنه وصفهم بأنهم أضل من البهائم؛ وذلك لأنهم عطلوا تفكيرهم فلم يستجيبوا للحق، وقد خلق الله لهم عقولا ولكنهم لم يفكروا بها فى المظاهر التى تدل على قدرة الله وحكمته، وخلق لهم عيونا ولكنهم لم ينظروا بها نظرة اعتبار، وخلق لهم آذانا ولكنهم لم يستمعوا بها استماع تدبر فيما يتلى عليهم من آيات الله هؤلاء كأنما حرموا فهم القلوب، وفقدوا إبصار العيون وسلبوا استماع الآذان فهم كالبهائم بل هم أضل، لأن البهائم ترى الطريق السهل فتسلكه وترى الوعر فتتجنبه وتسمع الصيحة فتستجيب لها، وتعرف بالغريزة ما

﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ مِن بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ ۙ وَلَٰكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ ۖ وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٠٣﴾﴾

الذين حبسوا عقولهم عن التفكير عطلوا أسمى هبة منحهم الله إياها

ينفعها وما يضرها، وهؤلاء يعلم أكثرهم الحق، ولكنهم يصرون على العناد المهلك لهم، يقول تعالى: ﴿**وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ**﴾ (سورة الأعراف الآية ١٧٩).

وقال تعالى مخاطبا رسوله ﷺ: ﴿**أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلاً • أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلاَّ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاً**﴾ (الفرقان الآيتان ٤٣ ، ٤٤).

• ويستهزئ القرآن الكريم كذلك بالذين زين لهم الضلال أن يشرعوا لأنفسهم، فيحلوا ما حرم الله ويحرموا ما أحل، زاعمين أنهم يتبعون فى هذا وذاك شرع الله وهم كاذبون لا يفكرون فيما يقولون ولا فيما يفعلون، فقد كان العرب فى جاهليتهم إذا نتجت الناقة خمس أبطن آخرها ذكر شقوا أذنها وحرموا نحرها وركوبها ولم يطردوها عن ماء ولا عن رعى، وهذه يسمونها البحيرة، وكانوا إذا نتجت الناقة عشرة أبطن أناثا حرموا ذبحها وركوبها وجزوا وبرها وأباحوا لها كل ماء ومرعى، وحرموا لبنها إلا على ضيف وهذه هى السائبة، وكانوا كذلك إذا ولد من ظهر الفحل عشرة أبطن قالوا: قد حمى ظهره، فلا يركب ولا يحمل عليه ولا يمنع من ماء ولا مرعى وهذا هو الحامى، فجاء القرآن الكريم فنفى ذلك كله، لأن الله لم يشرعه، ووصف هؤلاء المفترين على الله بأنهم لا يعقلون ما يقولون ولا ما يفعلون.

يقول تعالى: ﴿**مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلاَ سَائِبَةٍ وَلاَ وَصِيلَةٍ وَلاَ حَامٍ وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَأَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ • وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلاَ يَهْتَدُونَ**﴾ (سورة المائدة الآيتان ١٠٣ ، ١٠٤).

وختاما: فإن المرء ليعجب من أولئك الجاحدين المتمردين الذين يعطلون عقولهم ويتعامون عن نعم الله عليهم فى خلقهم وتكوينهم وحياتهم وقواهم الجسدية والعقلية وما ساقه لهم من رزق وما سخره لهم من حيوان ونبات وجماد وما نفعهم فى البر والبحر والفضاء، فإن كان الإنسان غافلا عن هذه النعم ناسيا لها أو كان متغافلا عنها متناسيا لها فإن الآيات القرآنية الكثيرة تقرع سمعه وقلبه وعقله لتوقظه من غفلته أو تغافله ولتذكره بما نسى أو تناسى، ولأن الذين يقرعهم القرآن عطلوا عقولهم كان بيان القرآن لهم معتمداً هذه الحقيقة لديهم.

الرؤيا والحلم فى ضوء القرآن والسنة

من الأشياء التى يجب على المسلم أن يتعرف عليها ما يتعلق بالرؤيا والحلم وذلك لما لهذا الموضوع من أثر كبير فى حياة المسلم.
ومن ثم فإننا سنتناول هذا الموضوع فى هذه العجالة

د. مختار مرزوق عبدالرحيم*

أولا: أقسام الرؤيا

ورد فى ذلك عدة أحاديث منها ما يلى:

١ - قال ﷺ: **«الرؤيا من الله والحلم من الشيطان»** (رواه البخارى).

٢ - قال ﷺ: **«إذا اقترب الزمان لم تكد رؤيا المسلم تكذب وأصدقكم رؤيا أصدقكم حديثا، ورؤيا المسلم جزء من خمسة وأربعين جزءا من النبوة، والرؤيا ثلاث: فرؤيا صالحة بشرى من الله. ورؤيا تحزين من الشيطان. ورؤيا مما يحدث المرء نفسه»**. (رواه مسلم فى صحيحه).

من خلال هذين الحديثين وغيرهما قسم المحققون من أهل العلم الرؤيا والحلم إلى ما يلى:

القسم الأول: الرؤيا الحق الصحيحة الصادقة كرؤيا الأنبياء وهى التى تقع فى اليقظة كما وقعت فى المنام فلا تحتاج إلى تأويل وقد تقع من الصالحين.

القسم الثانى: الأضغاث - جمع ضغث وهو ما جمع فى حزمة واحدة من مختلف النبات أو أعواد الشجر فصار خليطا غير متجانس - وأضغاث الأحلام هى الرؤيا المختلطة التى لا يصح تأويلها لاختلاطها.

وهذا القسم هو ما يدخل تحت تسمية الحلم وهو من الرؤى الباطلة وهى لا تنذر بشىء.

وهذا القسم على أنواع:

١ - تلاعب الشيطان بالإنسان ليحزنه.

واقرأ فى هذا النوع هذا الحديث: روى مسلم فى صحيحه أن النبى ﷺ جاءه أعرابى فقال له:

* عميد كلية أصول الدين بأسيوط.

يا رسول الله إنى حلمت أن رأسى قطع فأنا أتبعه.

فزجره النبى ﷺ وقال له: «**لا تخبرنا بتلعب الشيطان بك فى المنام**».

٢ ـ أن يرى الإنسان الملائكة تأمره بفعل المحرمات ونحو ذلك مما هو محال عقلا.

ويدخل فيه ما يدعيه الجهلة من أنه رأى بعض الصحابة أو الأولياء فأمروه بما يخالف الشرع.. إلخ كل ذلك من أضغاث الأحلام .

٣ ـ أن يرى الإنسان فى النوم ما حدثته به نفسه فى اليقظة، أو ما تمنته نفسه.

ثانيا : فضل الرؤيا الصالحة

عن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما قال: كشف رسول الله ﷺ الستارة والناس صفوف خلف أبى بكر فقال: «**يأيها الناس إنه لم يبق من مبشرات النبوة إلا الرؤيا الصالحة يراها المسلم أو ترى له**» (الحديث).

(انظر صحيح مسلم كتاب الصلاة باب النهى عن قراءة القرآن فى الركوع والسجود).

وللإمام المناوى كلام طيب حول الرؤيا الصالحة وأثرها فى حياة المسلم حيث يقول:

الرؤيا الصالحة من أقسام الوحى، فيطلع الله النائم على ما جهله من معرفة الله والكون يقظة.

قال: ولهذا كان المصطفى ﷺ إذا أصبح سأل هل رأى أحد منكم رؤيا هذه الليلة؟

وذلك لأنها آثار نبوته فى الجملة فكان يحب أن يشهدها فى أمته.

قال: والناس فى غاية من الجهل بهذه المرتبة التى كان المصطفى ﷺ يعتنى بها ويسأل عنها.

ثم حذر الإمام المناوى من الاستهزاء بالرؤيا فقال: «**وأكثرهم ـ أى أكثر الناس ـ يهزأ بالرائى إذا رآه يعتمد على الرؤيا**». (انظر فيض القدير ج ٣ ص ٢٦٢).

هذا مع ملاحظة أن الرؤى لا يعتمد عليها فى الأحكام الشرعية كما هو مقرر عند أهل العلم.

ولكنها تكشف للرجل الصالح كثيرا من الأمور المباحة كما هو معلوم ومتواتر فى حياة الناس وبخاصة عندما تكون بعد صلاة الاستخارة.

ثالثا : نماذج من الرؤى الصادقة

١ ـ ما وقع لنبى الله إبراهيم حين رأى فى منامه أنه يذبح ولده إسماعيل: **﴿فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ ● فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾** (الصافات: الآيتان ١٠١، ١٠٢)

٢ ـ رؤيا الملك فى عهد يوسف عليه السلام: **﴿وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِن كُنتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ﴾** (يوسف: الآية ٤٣)،

من قص عليه إنسان رؤيا رآها فليفسرها له تفسيراً حسناً وإن كان ظاهرها سيئاً

ورغم أنهم قالوا له: ﴿أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ بِعَالِمِينَ﴾ (يوسف: آية ٤٤)، فإن بقية القصة وتأويل يوسف عليه السلام يؤكد أنها كانت صادقة ولم تكن أضغاث أحلام .

ويتضح من هاتين الرؤيين أن الرؤيا الصادقة قد تقع من الأنبياء عليهم السلام ومن غير الأنبياء.

٣ ـ ومن الرؤى التى وقعت لنبينا ﷺ ما رآه فى منامه أنه يتزوج عائشة رضى الله عنها.

عن عائشة رضى الله عنها أن النبى ﷺ قال لها: «**أريتك فى المنام مرتين أرى أنك فى سرقةٍ من حرير يقول هذه امرأتك فأكشف عنها فإذا هى أنت فأقول إن كان من عند الله يمضه**» (انظر صحيح البخارى كتاب مناقب الأنصار باب تزويج النبى ﷺ عائشة).

رابعا: ماذا يفعل من رأى رؤيا صالحة يحبها

يستحب أن يقص رؤياه على حبيب أو رجل صالح حتى يتم تأويلها تأويلا حسنا لما يلى:

١ ـ عن أبى رزين العقيلى قال: قال رسول الله ﷺ: «**رؤيا المؤمن جزء من أربعين جزءا من النبوة وهى على رجل طائر ما لم يتحدث بها فإذا تحدث بها سقطت**».

قال: وأحسبه قال: «**لا يحدث بها إلا لبيبا أو حبيبا**». (انظر سنن الترمذى أبواب الرؤيا باب تعبير الرؤيا وهو حديث صحيح).

٢ ـ وعن أبى رزين أيضا: «**الرؤيا على رجل طائر ما لم تعبر فإذا عبرت وقعت**». (انظر سنن أبى داود كتاب الأدب باب ما جاء فى الرؤيا) وهو حديث صحيح.

ومعنى (على رجل طائر) أنها لا يستقر قرارها ما لم تعبر فإذا عبرت وقعت.

وقال الإمام النووى: معناه أنها إذا كانت محتملة وجهين ففسرت بأحدهما وقعت على قرب تلك الصفة.

قالوا وقد يكون ظاهر الرؤيا مكروها ويفسر بمحبوب وعكسه وهذا معروف لأهله. (انظر شرح النووى على مسلم شرح كتاب الرؤيا).

ومن ثم فمن قص عليه إنسان رؤيا رآها فليفسرها له تفسيرا حسنا وإن كان ظاهرها سيئا، ولهذا قال ﷺ فى الحديث السابق: «**ولا يحدث بها إلا لبيبا أو حبيبا**».

خامسا: ماذا يفعل المسلم إذا رأى فى منامه ما يكره ؟

قال العلامة ابن القيم: فى الصحيحين عن أبى قتادة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**الرؤيا من الله والحلم من الشيطان فإذا رأى أحدكم الشىء يكرهه فلينفث عن يساره ثلاث مرات إذا استيقظ وليتعوذ بالله من شرها فإنها لا تضره إن شاء الله**».

قال أبو قتادة: كنت أرى الرؤيا تمرضنى حتى سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**الرؤيا الصالحة من الله فإذا رأى أحدكم ما يحب فلا يحدث به إلا من يحب. وإذا رأى ما يكرهه فلا يحدث به وليتفل عن يساره وليتعوذ بالله من الشيطان الرجيم ومن شره فإنها لا تضره**».

وفى رواية لمسلم أن أبا قتادة يقول: إن كنت لأرى الرؤيا أثقل علىَّ من جبل فما أن سمعت بهذا الحديث فما أبالى بها .

وفى صحيح مسلم أيضا عن جابر رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «**إذا رأى أحدكم الرؤيا يكرهها فليبصق عن يساره ثلاث مرات، وليستعذ بالله من الشيطان ثلاثا وليتحول عن جنبه الذى كان عليه**» (انظر الوابل الصيب ص ٧٣٢ مع مجموعة الحديث، وانظر صحيح مسلم كتاب الرؤيا).

إذن نستطيع أن نقول إن علاج ما يقع للمسلم من الرؤيا المكروهة يتمثل فى هذه الأمور:

الأول: أن يتفل المسلم بعد الاستيقاظ عقب الرؤيا ثلاث مرات عن يساره.

الثانى: أن يتعوذ بالله من شر الرؤيا مع كل مرة.

الثالث: أن يستعيذ بالله من الشيطان الرجيم مع كل مرة.

الرابع: أن يتحول عن جنبه الذى كان عليه.

الخامس: ألا يحدث بتلك الرؤيا المكروهة أحدا من الناس.

هذا يكفى لرد كل ما يتعلق بالرؤيا المكروهة وأن المسلم إذا قام بذلك لا يضره شىء .

وتأمل قول أبى قتادة السابق: (إن كنت لأرى الرؤيا أثقل عليّ من جبل فما هو إلا أن سمعت بهذا الحديث فما أبالى بها).

هذا وقد زاد الحافظ ابن حجر على ما سبق بعض الأمور، يحسن بنا أن نوردها وهى على النحو التالى:

أن يقوم الرائى بعد الرؤيا المكروهة بصلاة ركعتين، فقد جاء فى حديث «**فمن رأى شيئا يكرهه فلا يقصه على أحد وليقم فليصل**» .

قال الحافظ وقرأت فى بعض الكتب وهى:

قراءة آية الكرسى ولم يذكر لذلك مستندا فإن كان أخذه من عموم قوله فى حديث أبى هريرة (ولا يقربنك شيطان) فيتجه، وينبغى أن يقرأها فى صلاته المذكورة. (انظر فتح البارى ج ٢٦ ص ٢١٧ وما بعدها).

سادسا: الحكمة من الأمور التى يفعلها من رأى الرؤيا المكروهة

قال الحافظ ابن حجر ما خلاصته:

ذكر العلماء الحكمة من هذه الأمور:

١ - أما الاستعاذة بالله من شرها فواضح وهى مشروعة عند كل أمر يكره.

٢ - الحكمة من الاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم لما ورد فى بعض الأحاديث أنها منه وأنه يخيل بها لقصد تحزين الآدمى والتهويل عليه .

٣ - وأما التفل فقال عياض: أمر به طردا للشيطان الذى حضر الرؤيا المكروهة تحقيرا له واستقذارا.

وخصت به اليسار لأنها محل الأقذار ونحوها. قلت: والتثليث للتأكيد..

وأما قوله: «**فإنها لا تضره**» فمعناه أن الله جعل ما ذكر سببا للسلامة من المكروه المترتب على الرؤيا كما جعل الصدقة وقاية للمال.

وأما الصلاة فلما فيها من التوجه إلى الله واللجأ إليه وبها تكمل الرغبة وتصح الطلبة لقرب المصلى من ربه عند سجوده، وأما التحول فللتفاؤل بتحول تلك الحال التى كان عليها.

(تنبيه) قال النووى: وينبغى أن يجمع بين هذه الروايات كلها ويعمل بما تضمنته فإن اقتصر على بعضها أجزأه فى دفع ضررها بإذن الله تعالى كما صرحت به الأحاديث.

قال الحافظ ابن حجر: قلت ولم أر فى شىء من الأحاديث الاقتصار على واحدة، نعم أشار المهلب إلى أن الاستعاذة كافية فى دفع شرها وكأنه أخذها من قوله تعالى: ﴿**فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ • إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ**﴾ (النحل: الآيتان ٩٨، ٩٩) فيحتاج مع الاستعاذة إلى صحة التوجه ولا يكفى إمرار الاستعاذة باللسان.

وقال القرطبى فى المفهم: الصلاة تجمع ذلك كله لأنه إذا قام المصلى فصلى تحول عن جنبه وبصق ونفث عند المضمضة فى الوضوء واستعاذ قبل القراءة ثم دعا الله فى أقرب الأحوال فيكفيه الله شرها بمنه وكرمه. (انظر فتح البارى ج ٢٦ ص ٢١٨ وما بعدها بتصرف).

هذا ونختم الكلام على هذا الموضوع الذى يشغل بال كل مسلم ومسلمة بصيغة فريدة فى التعوذ من شر أى رؤيا مكروهة .

قال الحافظ ابن حجر ورد فى صفة التعوذ من شر الرؤيا أثر صحيح أخرجه سعيد بن منصور وابن أبى شيبة وعبد الرزاق بأسانيد صحيحة عن إبراهيم النخعى قال: «إذا رأى أحدكم فى منامه ما يكره فليقل إذا استيقظ: أعوذ بما عاذت به ملائكة الله ورسله من شر رؤياى هذه أن يصيبنى منها ما أكره فى دينى ودنياى» (انظر فتح البارى ج ٢٦ ص ٢١٩، وانظر المصنف كتاب الطب باب فى الرجل يفزع من الشىء ج ٥ ص ٥١).

أخلاق الإسلام فى التعامل مع طلاب العلم والمعرفة

● لما كان العلم هو السبيل إلى الإيمان بالله تعالى والتزام شرعه.. والسبيل إلى الإصلاح والإعمار العقلى والنفسى والقلبى والكونى.. وكذلك السبيل إلى إصلاح الأقوال والأفعال والأحوال والمعاملات والعلاقات، جعل الإسلام طلب العلم فريضة على كل مسلم.

● ومن الجوانب الحضارية فى الإسلام أنه لم يفرق بين طلاب العلم الدينى كالتفسير والحديث والفقه والسيرة النبوية وطلاب العلم الدنيوى كالطب والهندسة والزراعة والصناعة.. ولم يجعل فضلاً لأحد على أحد إلا بالإخلاص لله تعالى فى طلب العلم والعمل به.

● وحتى يتمكن طلاب العلم من القيام بواجبهم، ومواصلة مهامهم، التى تتمثل فى تحصيل العلم، والوقوف على أحكامه وأسراره ومصادره ووسائله ومناهجه وأساليبه ونتائجه وحسن استخدامها وتوظيفها فى جميع المجالات الدينية والدنيوية.. جاء الإسلام بجملة من الأخلاق ودعا إلى التزامها والتحلى بها فى التعامل مع طلاب العلم والمعرفة فى المؤسسات التعليمية والفكرية.

د. عبدالمنعم صبحى أبو شعيشع*

من هذه الأخلاق ما يلى:

(١) الإخلاص لله تعالى فى تعليم الطلاب:

● إن أول أخلاق الإسلام التى يدعو إليها فى كل عبادة وعلى رأس صور العبادة الإخلاص فى العلم.. قال تعالى: ﴿فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ● أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾ (سورة: الزمر الآيتان: ٢، ٣) وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ﴾ (سورة: الزمر الآية: ١١) والإخلاص هو ألا تطلب لعملك شاهداً غير الله ولا مجازيًا سواه.

● ويتحقق الإخلاص فى مقام التعليم .. ببذل الجهد، والحرص على أداء الواجب التعليمى فى المؤسسات التعليمية، وترغيب الطلاب فى الحضور،

* الأستاذ بجامعة الأزهر.

واجتناب كل صور الرياء والاستغلال والاحتكار والبخل والتهرب من أداء الواجب فى المدارس والمعاهد والجامعات.

● والإخلاص فى كل عمل يجعل الصعب سهلاً، والعسير يسيرًا، والقليل كثيرًا.. كما يجعل العمل مقبولاً ومرفوعًا وحجة لصاحبه وشافعًا له فى الآخرة **﴿يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا﴾** (سورة: النبأ الآية: ٤٠).

(٢) الالتزام بمواعيد الحضور إلى الطلاب:

● الالتزام بمواعيد الحصص والمحاضرات والندوات من أهم صور الوفاء التى يدعو الإسلام إلى التحلى بها فى المؤسسات التعليمية.. والوفاء يعين صاحبه على أداء الواجب، وحفظ الأمانة، وإنجاز المهام، والمبادرة بالخير والإسراع إليه.. والله تعالى يحب الأوفياء.

● ويتحقق الالتزام بمواعيد الحضور إلى الطلاب.. بالتواجد بينهم فى الوقت المحدد فى الجدول الدراسى.. واجتناب كل صور التأخير والتخلف.. كما يتحقق بالشرح والتوضيح والتفسير والتبيين لموضوع الحصة والمحاضرة، واجتناب كل صور التلاعب والتهاون والتضييع لحقوق الطلاب.. ولاشك أن الالتزام بمواعيد الحضور إلى الطلاب يحملهم على الالتزام والحضور والحرص على حسن الاستماع إلى المعلم، ويدفعهم إلى إجلاله واحترامه وإكرامه وحسن الثناء عليه.

(٣) الإعداد الجيد قبل لقاء الطلاب:

● الإعداد الجيد للحصة والمحاضرة والندوة من أهم صور الإحسان والإتقان التى دعا الإسلام إليها.. قال تعالى: **﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾** (سورة: الكهف الآية: ٣٠).. وقال ﷺ: «**إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه**».

● إن شرح الحصة والمحاضرة على الوجه الصحيح ليس أمرًا هينًا ولا سهلاً، فهو يحتاج من المعلم النظر فى موضوعه من كل الوجوه المتعلق بها، وبحثه بحثًا دقيقًا عميقًا لا يترك فيه سؤالاً ولا استفسارًا ولا حكمًا، ومعرفة أقوال العلماء، وآراء الفقهاء وأدلتهم ومناهجهم.. ولا يخفى على أحد أن العلوم متشابكة، والمعارف متقاربة، والثقافات متجاورة، ولا يغنى علم عن علم، ولا معرفة عن معرفة، ولا منهج عن منهج.. والإعداد الجيد يؤكد ذلك ويثبته.

الإعداد الجيد يعين المعلم على اجتناب كل صور التقصير والتفريط والخطأ والحرج

● والإعداد الجيد يعين المعلم على حسن الشرح والعرض والحوار والمناقشة والحكم والترجيح والاستدلال والاستنباط والنقد والإقناع .. واجتناب كل صور التقصير والتفريط والخطأ والحرج.

(٤) تحديد الخطاب التعليمى:

● الخطاب التعليمى من أهم صور الخطاب الإنسانى لأنه يتعلق بأفضل رسالة فى الوجود وهى رسالة العلم.. أول ما دعا إليه الإسلام ونزل به القرآن الكريم .. وهو أول خطاب فى العصر

الحاضر يحتاج إلى التجديد .. فالعلم اليوم تجددت أساليبه ومناهجه، وتحدثت أدواته وأجهزته.. ولابد من فقه الواقع ورعايته لمواكبة العصر الذى يعيش فيه المجتمع.. فالله يقول: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ (سورة: الرحمن الآية: ٢٩) والتجديد فى الوسائل والمناهج والفروع من سنة الحياة.

● ويتحقق تجديد الخطاب التعليمى.. بتقديم التفسير العلمى الصحيح للقرآن والسنة الذى يزيدهما وضوحًا وعظمة وثباتًا ورسوخًا فى القلوب والعقول والصدور.. ورعاية مشكلات الناس المعاصرة بكل صورها فى الدراسة والحكم والفتوى.. والاستشهاد بالحقائق العلمية والاستدلال بها وتدريسها واستثمارها وتنميتها.. والوقوف على كل جديد وبيان كيفية حسن التعامل معه.. هذا بالإضافة إلى استخدام الوسائل الحديثة فى البحث العلمى.

من أخلاق الإسلام تكريم المجتهد ومحاسبة المقصر حتى لا يتساوى المجتهد والمقصر

(٥) تقديم القدوة الطيبة للطلاب:

● إن من أهم أخلاق الإسلام التى يدعو إليها فى التعامل مع طلاب العلم والمعرفة توافر القدوة الطيبة فى المعلم.. فالأمانة والمنطق يقتضيان أن يعمل المعلم بقوله قبل أن يتلفظ به، ويمتثله قبل أن ينطق به، وأن يدعو لموضوعه بفعله قبل أن يدعو إليه بقوله. قال تعالى: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ﴾ (سورة: البقرة الآية: ٤٤) وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لاَ تَفْعَلُونَ ● كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لاَ تَفْعَلُونَ﴾ (سورة: الصف الآيتان: ٢، ٣) وقالوا: إذا كنت إمامى فلتكن أمامى .. وقالوا: من لم ينفعك لحظه لم ينفعك لفظه.. وقالوا: فعل رجل فى ألف رجل خير من قول ألف رجل فى رجل.. وأشد الناس عذابًا يوم القيامة رجل كان يأمر بالمعروف ولا يأتيه، وينهى عن المنكر ويأتيه.

● والقدوة الطيبة تجعل المعلم أقدر على تبليغ رسالته، وتوصيل أمانته، وإقناع طلابه واستمالتهم إلى ما يريد.. وتحمل الطلاب على احترام المعلم وإكرامه وإجلاله والاقتداء به.. وفاقد الشىء لا يعطيه.

(٦) حسن معاملة الطلاب:

● تظهر عظمة الإسلام فى دعوته واهتمامه بحسن المعاملة قولاً وفعلاً، قال تعالى: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ (سورة: البقرة الآية: ٨٣) .. وقال سبحانه: ﴿وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلإِنْسَانِ عَدُوًّا مُبِينًا﴾ (سورة: الإسراء الآية: ٥٣) ومن أفضل صور حسن المعاملة حسن معاملة المعلم لطلابه.

● ويتحقق حسن معاملة الطلاب. بالتحلى بالرفق بهم، والحرص عليهم، والتواضع لهم، والاقتراب منهم، والصبر عليهم، والإحسان إليهم، والعفو عنهم، والحفاظ عليهم ومحبتهم.. ولاشك أن حسن معاملة الطلاب يشيع فى المؤسسات التعليمية قيم التراحم والتسامح والسلام والأمل والتفاؤل.. وينمى المحبة والمودة والألفة فى قلوب طلاب العلم..

وخير معلم خيره لطلابه، ولا خير فيمن لا خير فيه لطلابه.

(٧) الحرص على الارتقاء بالمستوى العلمى للطلاب:

● الحرص على الارتقاء بالمستوى العلمى للطلاب واجب على كل معلم نحو طلابه، وكل معلم سيسأل يوم القيامة بين يدى الله تعالى عما قدم لطلابه.. والله تعالي أمر النبى ﷺ أن يدعوه بقوله ﴿**وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا**﴾ (سورة: طه الآية: ١١٤) .

● ويتحقق الارتقاء بالمستوى العلمى للطلاب.. بحسن التحضير والإعداد.. وشمولية الشرح والعرض.. والتوسع والتعمق فى التوضيح .. كما يتحقق بحسن التواصل مع الطلاب.. وتطبيق أصول ومبادئ الجودة فى العملية التعليمية.. هذا بالإضافة إلى تكليف الطلاب بالأبحاث العلمية التى تزيدهم معرفة وعمقًا وفقهًا بمناهجهم واختبارهم فيها لحملهم على المذاكرة والنظر والبحث الدائم.

● ولا شك أن الارتقاء العلمى يترتب عليه ارتقاء الإيمان بالله تعالى والخشية منه ﴿**إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ**﴾ (سورة: فاطر الآية: ٢٨) كما يترتب عليه إرتقاء الأخلاق، والقدرة على الإعمار والإصلاح، وزيادة الإنتاج والاستثمار والتنمية، وارتقاء الأوضاع والأحوال ﴿**يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ**﴾ (سورة: المجادلة الآية: ١١).

(٨) تنمية التعارف والتواصل والتحاور مع الطلاب:

● التعارف والتواصل والتحاور من مبادىء الإسلام التى يأمر بها ويدعو إليها ويرغب فيها ليتحقق التعاون والتكامل والتقارب بين كل المجتمعات الإنسانية.. قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ**﴾ (سورة: المجادلة الآية: ١١) وأولى الناس التزاماً بهذه المبادئ الإسلامية المعلم نحو طلابه وتلاميذه.

● ويتحقق الالتزام بهذه المبادئ.. بالمداومة على مجالسة الطلاب ومخالطتهم معايشتهم ومصاحبتهم ومحادثتهم والتعرف عليهم والاستماع إليهم والإنصات لهم والتعرف على كل مشكلاتهم الشخصية وقضاياهم الفكرية والعمل على حلها وإقناعهم بما يجب الالتزام به... كما يتحقق بالاتصال بهم، والتواصل معهم، وإمدادهم بالأفكار الصحيحة، والآراء السليمة التى تبنى ولا تهدم، وتجمع ولا تفرق، وتحسن ولا تسىء، وتعمر ولا تخرب.

● ولا شك أن الالتزام بهذه المبادئ.. يزيد المعلم دراية بطلابه ومعرفة مستواهم وأفكارهم.. ويحمل الطلاب على الإقبال على المعلم والاستماع إليه والجلوس بين يديه.. وكلما توافر الإخلاص فى المجالسات والمحاورات والمحادثات ازدادت القلوب تقاربًا، والنفوس تآلفًا، والصدور تسامحًا..

(٩) إمداد الطلاب بالمناهج والوسائل والبرامج التى تعينهم على تحصيل العلم:

● لا يخفى على أحد أن تحصيل العلم سواء أكان عقليًا أم تجريبيًا له وسائل متعددة، ومناهج متنوعة، ومصادر كثيرة.. ومن واجب المعلم نحو طلابه أن يعرفهم بها، ويدعوهم إليها، ويوقفهم عليها، ويدرسها لهم حتى لايضلوا ولا يُضلوا..

● والناظر فى مناهج البحث العلمى اليوم يجد أن كل علم له منهج بحث خاص به.. ولا يستقيم الباحث فى بحثه إلا إذا التزم أصول هذا البحث وأسسه وخطواته مع مراعاة أنه لا غنى له عن مناهج البحث العلمى الأخرى.. فكل علم من العلوم الدينية له منهجه.. وكذل كل علم من العلوم العقلية والتجريبية له منهجه.. وواجد المعلم أن يعلم طلابه هذه المناهج البحثية، .. وأن يزودهم بالمراجع والمصادر والموسوعات القديمة والحديثة.. فالعلم بحر لا شاطىء له، ومهما يُفرغ الإنسان فيه من المجهود فلن يبلغ منه المحدود.. ومن طلب العلم وهو على بينة أجاد وأصاب، ومن سار على غير علم ضل وأضل، وكان ضره أكثر من نفعه.

(١٠) تكريم المجتهدين ومحاسبة المقصرين:

● كل مجال فيه المجتهد والمقصر، ومن أخلاق الإسلام تكريم المجتهد ومحاسبة المقصر، حتى لايتساوى المجتهد والمقصر .. قال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ (سورة: الزمر الآية: ٩).

● ويتحقق تكريم المجتهدين .. بمنحهم الجوائز وشهادات التقدير والمكتبات والرحلات .. كما يتحقق بتهنئتهم وشكرهم..

وتتحقق محاسبة المقصرين .. بحرمانهم من كل صور التقدير، ومعاتبتهم على التفريط، وتحذيرهم من التضييع، وإنذارهم بالعقوبة، ومعاهدتهم على الاجتهاد والاهتمام بطلب العلم.

● ولا شك أن تكريم المجتهدين فيه اعتراف بجهدهم، وإعلاء لهمتهم، وإظهار لفضلهم، وحمل لهم على بذل المزيد والتفاني فى طلب العلم.. ومحاسبة المقصرين تحملهم على التخلص من آفات التهاون والتلاعب والتفريط، وتورثهم الإحساس بالمسئولية والشعور بالواجب نحو الدين والنفس والمجتمع فى الدنيا والآخرة.

(١١) رعاية تنوع مستوى الطلاب:

● من آيات الله تعالى فى الناس.. التنوع العقلى والنفسى والقلبى.. والتنوع فى الفهم والإدراك والتصور.. والتنوع فى التلقى والإجابة ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾ (سورة: هود الآية: ١١٨) .. ولما كان التنوع أمرًا قائمًا وواقعًا بين الطلاب وجب على المعلم فى كل مؤسسة تعليمية أن يراعيه فى الشرح والعرض والمنهج والوسيلة والأسلوب.

● وتتحقق رعاية تنوع مستوى الطلاب.. باستخدام مناهج متعددة فى الشرح، وأساليب متنوعة تعين الطلاب على الفهم، وتحقق التقارب بينهم فى الفهم والإدراك .. وتتحقق رعاية التنوع الطلابى بتكرار وتلخيص الأفكار فى كل محاضرة أو حصة بطريقة منظمة محددة، ثم عرض عناصر الدرس أو المحاضرة بطريقة السؤال والجواب، هذا بالإضافة إلى المداومة على الاختبارات المتنوعة التى تثبت المعلومات وتقوى الصلة بها، ولا يخفى على أحد أن فتح أبواب التحاور والتواصل مع الطلاب والاستماع إليهم من أحسن ما تتحقق به رعاية حالهم وواقعهم.

(١٢) الأمانة فى تعليم الطلاب:

● أضخم صور الأمانة.. الأمانة فى مقام العلم والمعرفة.. والأمانة من أخلاق الأنبياء عليهم السلام فى تعليم الناس وتبليغ الدعوة.. وكل نبى قال لقومه ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ (سورة: الشعراء الآية: ١٠٧) والله تعالى أمر الدعاة والمعلمين والمصلحين بالاقتداء بالأنبياء ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَمَنْ يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ (سورة: الممتحنة الآية: ٦).

● وتتحقق الأمانة فى تعليم الطلاب.. بتقديم المعلومات الصحيحة، والأفكار السليمة، والمناهج المستقيمة، والآراء الحكيمة.. كما تتحقق بعدم كتمان العلم والبخل به.. وعدم تحريفه وتبديله والتهاون فيه.. كما تتحقق الأمانة بالتجرد والترفع عن الأهواء والأفكار الخاصة التى تتعارض مع منهج الإسلام الوسطى الحضارى.

● ولا شك أن التزام المعلم بالأمانة فى تعليم

الطلاب يحمله على الاجتهاد والإحسان والعدل والإنصاف، والتزام التوسط والاعتدال وإنكار الذات، واجتناب كل صور الانحراف والمغالاة والتطرف، وكذلك اجتناب حمل الطلاب على فكر ومذهب معين.

(١٣) كفالة طلاب العلم الفقراء واليتامى:

● إن من أهم أخلاق الإسلام التى ينبغى الالتزام بها فى التعامل مع طلاب العلم كفالة الطلاب الفقراء واليتامى تربويًا وصحيًا واجتماعيًا ومعيشيًا وماليًا.. فهم أولى الناس بهذه الكفالة.. خاصة أنهم فى مقام طلب العلم، وطلب العلم واجب على كل مسلم، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب.

● وتتحقق كفالة الطلاب الفقراء واليتامى.. بالوقوف بجانبهم والإشراف والاطمئنان عليهم، ومساعدتهم بكل ما يعينهم على تحصيل العلم، وتوفير كل ما يحتاجون إليه من ملبس ومسكن وطعام وشراب ودواء، وإنفاق المال عليهم لشراء المصادر والمراجع ومايحتاجون إليه من أدوات واتصالات ومواصلات.

● وكفالة طلاب العلم الفقراء واليتامى من أفضل الأعمال الصالحة منزلة ومكانة وأجرًا لما فيها من نشر للعلم وتبليغ له، وإعداد وبناء وإصلاح لأبناء المجتمع المحتاجين.

(١٤) إعانة الطلاب على تحصيل العلم:

● إن من أكرم الأخلاق الإسلامية وأجملها التى ينبغى التحلى بها فى التعامل مع طلاب العلم إعانتهم على تحصيل العلم بكل صور الإعانة المعنوية والحسية.. قال تعالى: ﴿**وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ**﴾ (سورة: المائدة الآية: ٢).

● وتتحقق إعانة طلاب العلم.. بالتزام الهدوء فى المؤسسات التعليمية وغيرها حتى يتمكنوا من تحصيل ومذاكرة العلم، واجتناب كل أعمال الشغب والعنف والإرهاب والتشويش لما يترتب عليهم من تعطيل للدراسة.. كما تتحقق باجتناب قطع الطرق بكل صورها لما يترتب عليه من تعطيل وتأخير وعدم وصول المعلمين والمتعلمين إلى مؤسساتهم.. كما تتحقق إعانة طلاب العلم باجتناب الاعتداء على محطات توليد الكهرباء لما يترتب من انقطاع للتيار الكهربائى وإصابة الحياة الإنسانية بالخلل والشلل والتوقف.

● إن إعانة طلاب العلم من أفضل صور الإعانة ثوابًا عند الله تعالى لما فيها من إعانة على الخير، وخدمة للعلم وأهله.

(١٥) إعلاء همة الطلاب وتقوية عزيمتهم:

● علو الهمة من صفات المؤمن.. وهى استصغار مادون النهاية من معالى الأمور.. وفى الحديث النبوى «إن الله يحب معالى الأمور، ويكره سفسافها»، لذا كان من أخلاق الإسلام فى التعامل مع طلاب العلم إعلاء همتهم وتقوية عزيمتهم.. والناظر فى القرآن الكريم يجد أنه يدعو إلى كل خير بقوله: ﴿**وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ**﴾ (سورة: آل عمران الآية: ١٣٣) و ﴿**سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ**﴾ (سورة: الحديد الآية: ٢١) و ﴿**وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ**﴾ (سورة: المطففين الآية: ٢٦)، ﴿**يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ**﴾ (سورة: مريم الآية: ١٢) وأولى الناس بعلو الهمة طلاب العلم والمعرفة.

● ويتحقق إعلاء همة الطلاب وتقوية عزيمتهم.. بالترغيب فى العلم ببيان فضائله فى العاجل والآجل.. وبيان فضل العلماء فى الدنيا والآخرة.

● إن الذين يعرفون منزلة العلم لايبخلون عليه بشىء، ويقومون بخدمة أهله وطلابه ومؤسساته بكل ما يملكون من نفس ومال وولد، ومن يملك العلم يملك القرار والكلمة والقوة.. ومن لا يملك العلم يملك ويقهر.. وما ظلمهم الله ولكن كانوا أنفسهم يظلمون.

قناة السويس.. بين ميراث الأجداد وحلم الأبناء والأحفاد

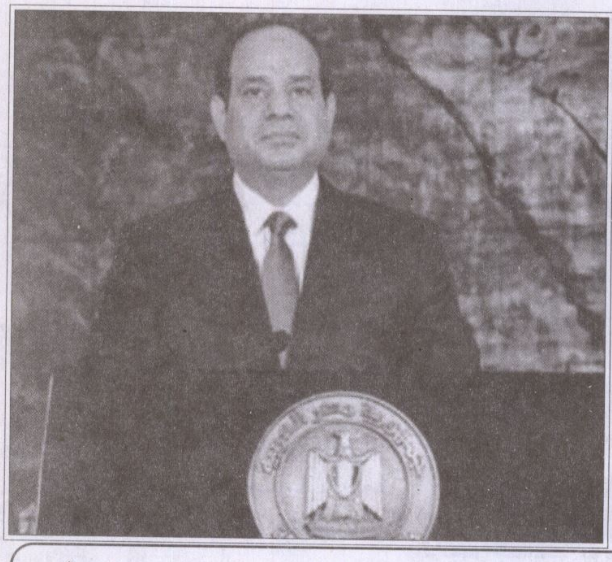

الرئيس السيسى:

إننا نسابق الزمن ومستعدون أن نبيع أنفسنا من أجل مصر وشعبها

نتحرك بقوة من أجل الخروج من دائرة الفقر بالجهد والكفاح

مهاب مميش:

المشروع يوفر مليون فرصة عمل.. ويمثل العبور الثالث لمصر

ملف من إعداد: محمد كامل شاهين - حسام فاروق - أمل عدلى

بعد أن وقع وثيقة أمر بدء الحفر

السيسى: أعرف كل مشاكل مصر وطريقة الحل.. ويتبقى التمويل

على درب المشروعات العظمى التى غيرت وجه مصر الحديث يأتى مشروع قناة السويس الجديدة الذى يعد نقلة نوعية فى تاريخ القناة بشكل عام والاقتصاد المصرى بشكل خاص، فقد انطلق الحلم المصرى ليفتح أبواب الأمل فى نفوس الشعب المصرى عبر محاور غير تقليدية للتنمية، وموارد جديدة تزيد من إيرادات القناة، وتفتح منافذ هائلة للاستثمار، وتخلق فرص عمل جديدة تعود بالخير على المصريين، وتخفف من أزمة البطالة.

فمحور قناة السويس الجديدة بداية انطلاقة قوية للتنمية الشاملة فى مصر بسواعد أبنائها وعزيمتهم فى الوصول ببلدهم نحو آفاق رحبة وتحقيق نهضة شاملة للمصريين جميعا.

ومن هذا المنطلق حرصت «منبر الإسلام» أن تلقى الضوء على مشروع قناة السويس الجديدة من خلال ملف يتناول هذا الموضوع المهم حتى يتسنى للقارئ معرفة مدى الجهود المبذولة فيه.

وقد أكد الرئيس السيسى فى كلمته خلال الاحتفال بتدشين هذا المشروع العملاق أننا نتحرك بقوة من أجل الخروج من دائرة الفقر بالعمل والمثابرة والجهد والكفاح.

الرئيس السيسى يوقع وثيقة بدء حفر قناة السويس الجديدة

وأشار الرئيس السيسى إلى أن تنفيذ المشروع سيتم تحت الإشراف المباشر للقوات المسلحة، وسيتم مراعاة الأمن القومى بشكل كامل فى هذا المشروع، وموضحا أن تمويله سيكون مصريا ومن خلال طرح أسهم عبر اكتتاب شعبى بما يقدر بنحو ٥٠ مليون سهم على أن يكون سعر السهم ١٠٠ جنيه للمصريين، و١٠٠ دولار للمصريين بالخارج، و١٠ جنيهات لطلبة وطالبات الجامعات.

وقال الرئيس السيسى: «إن المشروعات الخاصة بالقناة وحفرها وملكيتها هى للمصريين فقط أما مشاريع التنمية والاستثمار فسيتم طرحها طبقا لقانون الاستثمار».

وطلب الرئيس السيسى الانتهاء من المشروع بعد عام مؤكداً أننا نسابق الزمن، وأننا مستعدون أن نبيع أنفسنا لخاطر مصر وشعبها.

حفر قناة السويس الجديدة رسالة قوية وواضحة إلى العالم أجمع فمصر قادرة على صنع المعجزات ومواجهة التحديات بفضل سواعد أبنائها المخلصين

أكد فضيلة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور / أحمد الطيب - شيخ الأزهر - عند زيارته لموقع حفر قناة السويس الجديدة أن المشروع القومى العملاق حفر قناة السويس هو رسالة قوية وواضحة إلى العالم أجمع أن مصر قيادة وشعبا قادرة بحق على صنع المعجزات وقهر المستحيل ومواجهة كافة التحديات بفضل سواعد أبنائها ورجالها المخلصين الذين بدأوا بكل جد واجتهاد ومع تدشين هذا المشروع فى استعادة أمجاد أجدادهم.

وأشاد فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر إلى أن هذا المشروع مصرى ١٠٠٪ بأموال مصرية خالصة وبأيدى المصريين، مشيرا إلى أن المصريين سيسطرون بأحرف من نور وآيات من المجد والفخار والرخاء صفحات جديدة فى التاريخ وبناء مصر الجديدة ومستقبلها العظيم.

ثم توجه شيخ الأزهر ورئيس هيئة قناة السويس ومحافظ الإسماعيلية وقائد الجيش الثانى الميدانى وجموع الحاضرين لزيارة موقع مشروع حفر قناة السويس الجديدة.

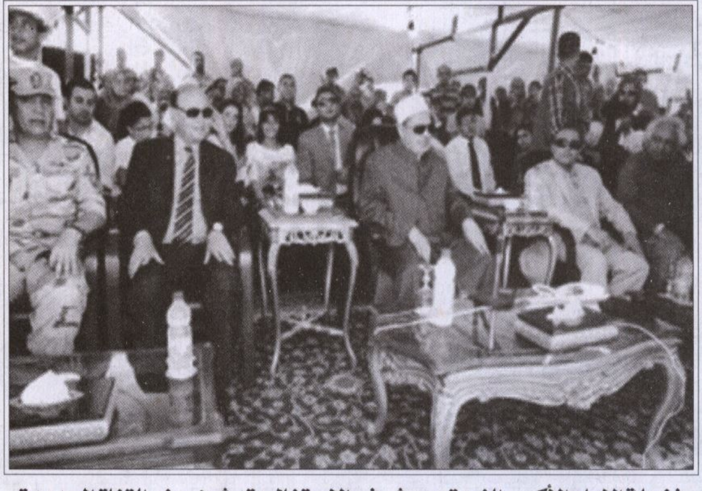

فضيلة الإمام الأكبر والفريق مميش فى الاحتفال بتدشين حفر القناة الجديدة

وفى كلمة وجهها فضيلة الإمام الأكبر للعاملين بالمشروع أشاد فيها بجهودهم الممزوجة بالعرق مؤكدا أنه بفضل هذا الجهد وسواعدهم سوف تحقق مصر طفرة وقفزات كبيرة نحو التقدم والرخاء وتعظيم الاقتصاد المصرى، وأنهم أمل كل المصريين وبأيديهم وسواعدهم سيتحقق الحلم العظيم، وأن الأزهر الشريف بشيخه ووكيله وأمين عام مجمع البحوث الإسلامية يقفون خلف هذا العمل العظيم ويشدون على أيدى جميع العاملين بالمشروع الذين وصفهم بأنهم أبطال.

رافق شيخ الأزهر خلال الزيارة كل من فضيلة الدكتور عباس شومان وكيل الأزهر، والدكتور محمد عبدالشافى القائم بأعمال رئيس جامعة الأزهر، والدكتور أحمد على عجيبة - عميد كلية أصول الدين بطنطا وعضو مجمع البحوث الإسلامية والأمين العام للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية ولفيف من عمداء وأساتذة جامعة الأزهر.

التفكير المستقبلى

وأشار الفريق مهاب مميش - رئيس هيئة قناة السويس ورئيس الجهاز

التنفيذى للمشروع - إلى أن التفكير فى حفر قناة جديدة موازية لقناة السويس جاء فى إطار التفكير المستقبلى لاستيعاب الزيادة الكبيرة فى حركة التجارة العالمية، وحاجة الاقتصاد القومى إلى مضاعفة موارده من العملة الصعبة فضلا عن عدم قدرة السفن الكبيرة على العبور فى بعض المناطق بسبب أعماقها القليلة.

وأوضح أن المشروع الجديد سيقلل ساعات الانتظار من ١١ ساعة إلى ٣ ساعات، كما سيعمل على تقليل زمن رحلة عبور السفن بالقناة من ٢٠ ساعة إلى ١١ ساعة، وهو ما سيعمل على تحسين اقتصاديات تشغيل السفن وجذبها للعبور بالقناة. ويعمل على زيادة إيرادات القناة. بنسبة ٢٥٩٪.

وحول النتائج المرجو تحقيقها من المشروع

أشار الفريق مهاب مميش إلى أنها تشمل تحويل مصر إلى مركز اقتصادى لوجستى وصناعى وتجارى عالمى يعود بالنفع على الاقتصاد القومى المصرى، ويوفر حوالى مليون فرصة عمل جديدة للشباب، وفرصًا استثمارية للشركات الوطنية والأجنبية، والعمل على تحويل ديموجرافى للسكان من القاهرة إلى محافظات المشروع.

ووصف عملية تنمية القناة بأنها العبور الثالث لمصر الذى سيدفع قاطرة التنمية للأمام، وتحقيق طموحات الشعب المصرى بعد ثورتى ٢٥ يناير، ٣٠ يونيو.

وزير الأوقاف :

شراء الأزهر والأوقاف لشهادات القناة فتوى عملية لمشروعيتها

أكد معالى وزير الأوقاف أ.د/ محمد مختار جمعة أن قيام أحد الصناديق التابعة للعاملين بالأزهر الشريف باتخاذ قرار بشراء شهادات استثمار فى مشروع قناة السويس بمبلغ ٢٥٠ مليون جنيه، ثم قيام أحد الصناديق التابعة للعاملين بالأوقاف باتخاذ قرار بشراء شهادات أخرى فى المشروع بمبلغ ٤٠٠ مليون جنيه، بعد دعوة فضيلة الإمام الأكبر أ.د/ أحمد الطيب شيخ الأزهر المصريين للإسهام فى شراء هذه الشهادات لتمويل المشروع، ومع صدور بيان واضح عن دار الإفتاء المصرية ووزارة الأوقاف المصرية بمشروعية شراء هذه الشهادات، إنما هو بيان وفتوى علمية وتطبيقية لحل هذه الشهادات، باعتبار ذلك مشروعًا قوميًا يعود نفعه على الوطن كله، ويتجاوزه إلى ما فيه مصلحة الإنسانية.

قناة السويس الجديدة .. بعيون خبراء الاقتصاد

تعد قناة السويس الجديدة علامة فارقة فى تاريخ مصر والعالم أجمع، وستغير كثيراً من النظريات الاقتصادية الدولية لصالح مصر وشعبها الذى بدأ يرسم خريطة جديدة لنهضته نحو مستقبل أفضل.

ومن أجل ذلك استطلعنا آراء العديد من الخبراء الاقتصاديين الذين أدلوا بدلوهم فى هذا المشروع المهم الذى يعد بحق مشروع القرن ومحط أنظار العديد من دول العالم.

د. عادل حميد :

تحتاج المشروعات الكبرى إلى فكر متجدد وسواعد قوية حتى يكون لها مردود إبداعى يعم بفائدته على الجميع

نقلة نوعية

فى البداية يقول أ. د عادل حميد يعقوب - وكيل كلية التجارة - جامعة الأزهر: «يعد مشروع قناة السويس الجديدة من المشروعات التى سوف تنقل مصر نقلة نوعية، وتعمل على زيادة عدد السفن المارة فى القناة، كما أن مصر ستستفيد من الخدمات اللوجستية التى تقدم لهذه السفن «طعام وشراب ووقود» ... إلخ وبالتالى ارتفاع الدخل العام للقناة.

وأشار إلى أن القناة الجديدة ستقلل الفترة الزمنية لعبور السفن من ٢٠ ساعة إلى ١١ ساعة، وفترة الانتظار من ١١ ساعة إلى ٣ ساعات أو ما يطلق عليه اقتصاديات الوقت وبالتالى جذب أكبر عدد ممكن من السفن.

وأكد د. عادل حميد أن القناة ستوفر فرصًا للعمل سواء للشباب أو للشركات العاملة فى هذا المشروع الكبير. كما أن مدن القناة ستستفيد من هذا المشروع، ولاسيما مدينة بورسعيد التى سيحدث لها طفرة كبيرة خاصة فى إعادة التصدير والتصنيع، وزيادة معدلات التجارة، وبالتالى زيادة الطلب على العمالة المصرية بشكل كبير.

د. رشاد عبده:

قناة السويس الجديدة.. فرصة ذهبية لاستيعاب طاقات الشباب فى مشروع قومى عملاق

مشروع قناة السويس الجديدة سيمثل بالنسبة لها طفرة كبيرة ونقله نوعية مهمة».

وتطرق د. رشاد عبده إلى مشروع قناة السويس الجديدة، وأنه سيعمل على حل العديد من المشكلات التى تعانى منها القناة حاليا وهى:

١ - ضيق المجرى الملاحى فهو بمثابة اتجاه واحد لا يمكن لسفينتين العبور فى نفس الوقت، ولذا كانت تنتظر بعض السفن مدة قد تصل إلى ١١ ساعة، وذلك لأن عرض القناة مساحته محدودة.

٢ - حجم الغاطس يصل إلى حوالى خمسة وأربعين قدمًا مما لا يسمح بعبور السفن الضخمة ذات الحمولات الثقيلة وهو ما يقلل من حجم الاستثمارات داخل القناة والخاصة بعدد السفن وحجمها.

٣ - عدم وجود خدمات تقدم للسفن من تفريغ وشحن وتموين ... إلخ وهو ما يقلل كثيرًا من حجم الاستثمارات داخل القناة والاكتفاء بتحصيل رسوم المرور فقط.

أما محور قناة السويس الجديدة فسيحل العديد من المشكلات التى ذكرناها آنفا وذلك على مرحلتين:

وأشار إلى أن أفضل الطرق للتمويل هى نظام المشاركة كالأسهم والشهادات حيث إنه من المتوقع أن يصل الدخل العام لحوالى ١٠٠ مليار جنيه بالتدريج.

واختتم حديثه قائلاً: «تحتاج المشروعات الكبرى دائما إلى فكر متجدد وسواعد قوية لا تتوقف عن العمل بقوة وبإخلاص حتى يكون لها مردود إبداعى يعم بفائدته على الجميع.

شريان عالمى

وعن رأى **أ. د رشاد عبده** - رئيس المنتدى العربى الاقتصادى فى قناة السويس الجديدة - يقول: «ترجع أهمية قناة السويس إلى أنها أهم شريان مائى للتجارة العالمية ولها دور كبير فى تنشيط حركة التبادل السلعى بين الشرق والغرب، فدول الخليج تعتمد عليها بشكل أساسى فى نقل البترول فى سفن ضخمة ومن ثم فحاجتها إلى

د. يُمن الحماقى:

قناة السويس الجديدة.. ستؤثر بشكل كبير على تحسين وضع مصر فى التجارة الدولية وزيادة دخلها إلى ١٣ مليار دولار

المرحلة الأولى: تقوم على إنشاء قناة جديدة طولها حوالى ٣٥ كيلو مترًا كى تصبح حركة السفن سهلة فى الاتجاهين، ولا تضطر السفن للانتظار لساعات طويلة، وسيزيد ذلك حجم الاستثمارات وعدد السفن المارة فى المتوسط من ٤٩ سفينة إلى ٩٧ سفينة.

المرحلة الثانية: تقوم على زيادة عرض القناة القديمة وتوسيعها مع زيادة العمق ليصل حجم الغاطس من خمسة وأربعين قدمًا إلى ستة وستين قدمًا، وهو ما يجعل القناة قادرة على استيعاب السفن الكبيرة والحاويات الضخمة التى تصل حمولتها لحوالى ٢٥ ألف طن، وبالتالى زيادة حصيلة دخل القناة من ٥,٢ مليار دولار إلى حوالى ١٣,٥ مليار دولار أى بمعدل ٢٥٩٪ زيادة فى حجم الدخل والاستثمارات فى السنوات القليلة القادمة. كما سيتم إنشاء ثلاثة موانئ جديدة ستقدم خدمات أفضل للسفن من تفريغ وشحن وتموين مما لا يجعل الدخل قاصرًا على رسوم المرور فقط، بالإضافة إلى إنشاء ستة أنفاق تربط سيناء بمدن القناة مما ييسر نقل المياه العذبة لسيناء فيساعد ذلك على استصلاح الأراضى واستزراعها والتخطيط لمناطق زراعية وصناعية وسياحية وتجارية تقدم خدمات مرتبطة بمشروع محور قناة السويس، وهو ما سيرفع حجم استثمارات القناة لـ ١٠٠ مليون دولار سنويا.

فرص عمل

وتطرق د. رشاد عبده إلى ما ستوفره القناة الجديدة من فرص للعمل حيث أكد أن المشروع به مستويات عديدة ومراحل كثيرة كلها تقوم بتوفير فرص عمل للشباب، وتمثل فرصة ذهبية لاستيعاب طاقاتهم فى مشروع قومى عملاق بداية من الحفر، وإنشاء قناة جديدة مع توسيع القناة القديمة، فكل مشروع من هذه المشروعات يمثل فرص عمل جديدة للشباب.

د. محمد سالمان طايع:

مشروع قناة السويس الجديدة.. سيوفر فرصًا كثيرة للعمل ويجذب مزيدا من الاستثمارات

ممر مائى

وتعلق أ. د يُمن الحماقى ـ أستاذ الاقتصاد بجامعة عين شمس على مشروع قناة السويس الجديدة ـ قائلة: «إن أهم مكاسب القناة تتمثل فى زيادة قدرتها وأهميتها كممر مائى، وهذا سيؤثر بشكل كبير على تحسين وضع مصر فى التجارة الدولية، وبالتالى على زيادة دخل مصر من القناة إلى حوالى ١٣ مليار دولار».

وأشارت إلى أن تنمية محور قناة السويس سيتم من خلال مشروعات صناعية واقتصادية وتجارية ولوجستية بالإضافة إلى تطوير ميناء العريش لكى يكون بناءً جاذبًا للتجارة.

وأكدت أن هدف الرئيس السيسى الذى وضعه فى برنامجه الانتخابى هو توسيع دائرة الكتلة السكانية، فالشعب المصرى يعيش على ٦,٤٪ فقط من مساحة مصر، ومن ثم فلابد من إعادة التوزيع الجغرافى للسكان من خلال مشروعات جاذبة لهم. وأضافت أن محور قناة السويس ليس قاصرًا على المصريين فقط وإنما أيضًا على المستثمرين العرب والأجانب كى يقوموا بنقل التكنولوجيا إلينا من خلال تقديم فرص عمل، وزيادة العروض فى التصدير.

ويقول أ. د **محمد سالمان طايع** ـ الأستاذ بكلية الاقتصاد والعلوم السياسية بجامعة القاهرة ـ: «مشروع قناة السويس من المشروعات الكبرى التى ستخلق قدرًا من التنمية من خلال فرص عمل كثيرة وجذب للاستثمارات الأجنبية».

وأشار إلى أن المشروع عند اكتماله سيزيد الدخل القومى من ٤٠ - ٥٠ مليار دولار فى السنة وهذا شىء رائع بالتأكيد.

ويقول د. **صلاح جودة** ـ الخبير الاقتصادى ـ: «إن مصر ستستفيد كثيرًا من هذا المشروع على الصعيدين الخارجى والداخلى، ففى الداخل سيوفر هذا المشروع عملة صعبة لأنه عبارة عن توسيع لقناة السويس الأصلية التى توفر دخلاً كبيرًا لمصر كما تخلق فرص عمل كثيرة، وتقلل نسبة البطالة التى زادت فى السنوات الأخيرة بين الشباب.

د. صلاح جودة:

مصر ستستفيد كثيراً من المشروع الجديد لقناة السويس على الصعيدين الداخلى والخارجى

ازدحام المصريين على شراء شهادات القناة دليل على حبهم لمصر وثقتهم فى قائدها

أما على الصعيد الخارجى فمن شأن المشروع أن يجعل مصر مركزًا صناعيًا وتجاريًا ولوجستيًا عالميًا، وسيزيد من فرص الاستثمار الوطنى والأجنبى.

إقبال غير مسبوق على شهادات قناة السويس

يأتى إصدار شهادات استثمار قناة السويس من جانب البنوك الأربعة «الأهلى ومصر والقاهرة، وقناة السويس» وطرحها للمواطنين، والذين أقبلوا على شرائها حتى بلغت حصيلة اليوم الأول حوالى «٦ مليارات جنيه» كدليل على مدى الحماس الوطنى لهذا المشروع الذى يجسد خطوة مهمة فى طريق بناء الاقتصاد الوطنى ودفعه للأمام، وتتابع الحماس على مدى أيام ستة ووصلت حصيلة بيع شهادات قناة السويس إلى «٦١ مليار جنيه» فى ٢٠١٤/٩/١٥م.

هذه هى أبرز الرؤى التى جاءت على لسان خبراء الاقتصاد عن مشروع قناة السويس الجديدة وأهميتها للشعب المصرى والتى ستصبح بحق قناة خير وازدهار فى القريب العاجل إن شاء الله.

التعليم فى مصر بين الآمال والتحديات

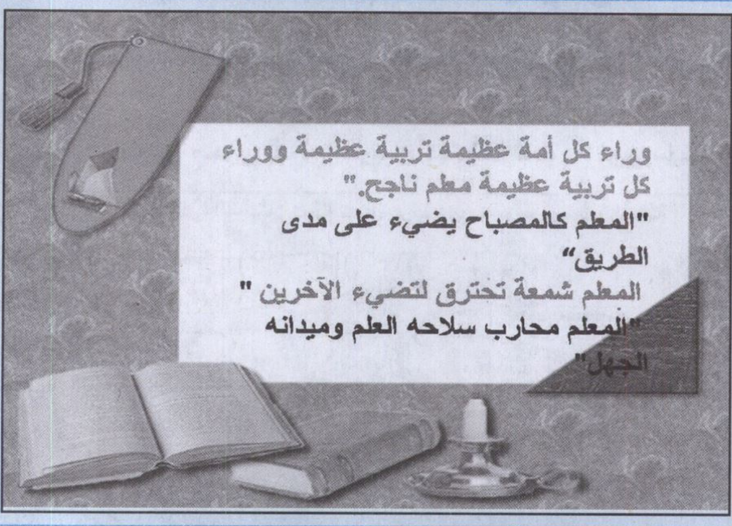

تحقيق: شيماء نزيه عطية ـ فاطمة محمد

هانى كمال المتحدث الرسمى لوزارة التربية والتعليم:

تفعيل الأنشطة فى الأسبوعين الأولين بما يجذب الطالب للمدرسة ويحببه فيها

مع بداية العام الدراسى الجديد، ينتظم حوالى ١٩ مليون طالب فى مختلف مراحل التعليم، ويعود أولياء الأمور إلى طوارئهم مع الدروس الخصوصية، والتى تؤرق كل بيت مصرى، وأصبحت بحق مرضًا مزمنًا يحتاج إلى علاج جذرى للتخلص منها نهائيًا، فالمدارس تحتاج إلى تقليل كثافة الفصول، وجذب الطلاب للأنشطة المختلفة، ومنع أسباب التسرب من التعليم، والمعلمون يحتاجون إلى التدريب المستمر، والتأهيل الذى يجب ألا يتوقف، وأولياء الأمور فى حاجة إلى مراجعة أنفسهم بشأن الدروس الخصوصية التى تلتهم معظم ميزانيات الأسر والطلاب فى حاجة إلى مناهج وأساليب جديدة لا تهدف إلى حشو عقولهم بمعلومات جامدة لإعادة كتابتها فى ورقة الإجابة ومن أجل هذا كله تفتح تحقيقات «منبر الإسلام» جانبا من هذا الملف الذى يجب أن يشغل مؤسسات الدولة فى الفترة المقبلة باعتبار أن التعليم هو المشروع القومى الذى نبنى به مستقبل مصر.

فى السطور التالية يرصد عدد من الخبراء والمتخصصين مشاكل التعليم فى مصر، ويقدمون الحلول الناجعة والمقترحة لإصلاحها وإلقاء الضوء على كيفية إحداث ثورة تصحيح للمنظومة التعليمية فى مصر .. فكان هذا التحقيق.

د. محبات أبو عميرة:

المعلم له دور وطنى بالإضافة إلى دوره المهنى يتجسد فى غرس حب الوطن والولاء للجيش لدى الطلبة

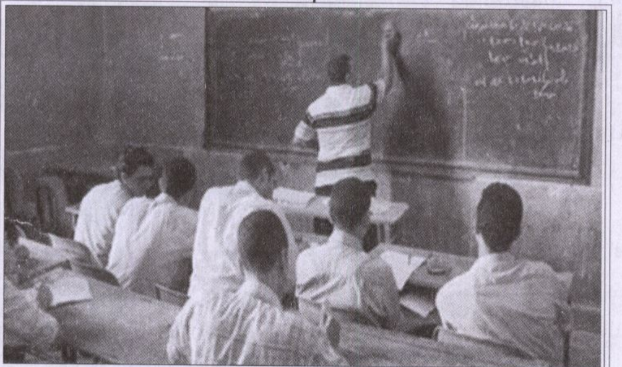

وعن استعدادات وزارة التربية والتعليم للعام الدراسى الجديد يقول السيد/ هانى كمال - المتحدث الرسمى لوزارة التربية والتعليم -: «استعدت الوزارة للعام الدراسى الجديد بأنها أوشكت على الانتهاء من أعمال الصيانة البسيطة والشاملة علاوة على تأمينها بما يضمن توفير جو آمن وسالم للطلاب، ولذا أصر أ. د. محمود أبو النصر - وزير التربية والتعليم - على بدء العام الدراسى يوم ٢٠ سبتمبر دون تأجيل، حيث أصبحت المدارس جاهزة لاستقبال الطلاب، فهناك حوالى (١١٥٠) مدرسة ستدخل الخدمة لاستيعاب الطلاب والقضاء على الكثافات الكبيرة كمرحلة أولى كما سيتم تفعيل الأنشطة التربوية فى الأسبوع الأول والثانى بما يجذب الطالب للمدرسة ويحببه فيها، ونكتشف من خلال تلك الأنشطة المواهب المختلفة.

وأكد أن الناس فهمت خطأ أنه لا توجد دراسة فى الأسبوعين الأولين، وهذا غير صحيح، فالدراسة فى موعدها مع تفعيل الأنشطة المختلفة.

وتطرق إلى الكتاب المدرسى حيث أوضح أن الكتاب المدرسى قد تم تطويره بالشكل الذى يجذب الطلاب فتم التخلص من ٣٠٪ من الحشو والأفكار الغريبة، وأصبحت المناهج إلى حد كبير لا تقوم على الحفظ والتلقين، ولكنها تقوم على التفاعل، وسيصبح الكتاب المدرسى الجديد مشوقًا وجاذبًا للطلاب.

وأضاف أن الوزارة وضعت رؤية شاملة لإصلاح منظومة التعليم فى مصر، وكان ذلك واضحًا من الخطة الاستراتيجية لتطوير التعليم قبل الجامعى التى عرضها أ. د. محمود أبو النصر - وزير التربية والتعليم - على سيادة الرئيس/ عبدالفتاح السيسى وقد استغرق اللقاء حوالى خمس ساعات بما يعكس اهتمام الدولة بالتعليم والمعلم والطالب والأبنية التعليمية والمناهج، ويكفى أن المدرس سيبدأ العام الجديد بتكريم من الرئيس بما يجعله مستقبلا للعام الدراسى بحافز كبير كما سيلقى وضعًا أفضل بكثير فى المرحلة القادمة سواء على المستوى المادى أو الأدبى أو المعنوى.

وأكد أن العملية التعليمية ستكون فى وضع أفضل، وإن كان ذلك سيأخذ وقتًا لأن مستوى التعليم قد انحدر على مدى سنوات عديدة، فالصورة ليست وردية، فهناك مشاكل كثيرة، وسنعمل بكل طاقتنا للقضاء على المشاكل الحالية وتوفير مناخ تعليمى لمستقبل أفضل.

وأكد هانى كمال أن الدروس الخصوصية وضعت لها حلول تتمثل فى إقامة مجموعات تقوية مجانية فى المدارس علاوة على القوافل التعليمية التى تجوب المحافظات لإعطاء دروس مجانية للطلاب

د. نبيل السمالوطى:

ضرورة ربط الطالب بوطنه وتنمية الولاء والانتماء له من خلال زيارة آثار مصر ومعالمها السياحية

بالإضافة إلى الدروس التى تعطى لهم مع نهاية العام كمراجعة نهائية.

وأشار إلى أن مشكلة الدروس الخصوصية لا تخص وزارة التربية والتعليم وحدها، ولكنها تحتاج إلى شراكة مجتمعية بدءًا من السادة المحافظين عن طريق غلق مراكز الدروس الخصوصية فى محافظاتهم. كما أن المدرسة عليها معول كبير فى القضاء على الدروس الخصوصية عن طريق ضوابط معينة يلتزم بها المدرس داخل مدرسته بحيث يدخل المدرسة ولا يغادرها إلا فى مواعيد محددة تحت إشراف مدير المدرسة، ومن يخالف ذلك يتم إنذاره مرتين ثم يحول إلى عمل إدارى ويوقف عن العمل بعد ذلك.

كما أن أولياء الأمور عليهم دور كبير فى محاربة الدروس الخصوصية وعدم الذهاب إلى المدرسين مع بداية شهرى يونيه ويوليه قبل بدء الدراسة مما يجعل المدارس خاوية بعد ذلك لقيام ولى الأمر بإعطاء درس خصوصى لابنه أثناء اليوم الدراسى، إذن فنحن فى حاجة إلى شراكة مجتمعية للقضاء على الدروس الخصوصية.

المستوى العالمى

وعن بداية الاستعداد للعام الدراسى الجديد يقول أ. د. نبيل السمالوطى ـ عميد كلية الدراسات الإنسانية الأسبق وأستاذ علم الاجتماع بجامعة الأزهر ـ: «العام الدراسى فى العالم كله من ٣٤ - ٣٦ أسبوعًا، وكل فصل دراسى على الأقل سبعة عشر أسبوعًا، وأسبوعين يمتحن فيهما الطالب، هذا هو المستوى العالمى - تقريبا - الذى يجب أن يكون عليه العام الدراسى».

وأوضح أنه لا دراسة إلا بمعلم ماهر تربوى مدرب قادر على إيصال المعلومة بكفاءة لديه قدرات كبيرة على ضبط الفصل.

وأشار إلى أن المناهج والكتب الدراسية يجب أن تكون مركزة ومختصرة، ومتوافقة لمستوى تحصيل الطلاب على المستويات العالمية المماثلة للمادة المدروسة، وخاصة فى مجال الرياضيات والكيمياء والفيزياء والأحياء.

وأضاف أنه لابد من الاهتمام باللغة العربية التى هى لغة القرآن الكريم، ولغة الشعوب العربية فلا يعقل أن يتخرج الطالب من الثانوية وهو جاهل باللغة العربية.

وأكد أنه لابد من ربط الطالب بوطنه، وتنمية الولاء والانتماء الصادقين لهذا الوطن، وهذا لا يتحقق إلا من خلال مجموعة من الأنشطة الثقافية مثل زيارة آثار الأقصر وأسوان ومعالم مصر السياحية، وأيضًا من خلال التركيز فى مادة التاريخ والدراسات الاجتماعية والتربية الوطنية على قيمة الوطن وتنمية الانتماء لمصر أعرق دولة فى العالم، وأول حضارة فى تاريخ الإنسانية.

كما أكد أن التربية الدينية ليست مقررًا دراسيًّا فقط، وإنما يجب أن يتبع هذا المقرر مجموعة من الأنشطة الثقافية والاجتماعية مثل الندوات والمحاضرات، وتخصيص وقت للصلاة، هذا إلى جانب جعل التربية الدينية مادة رئيسية تدخل فى المجموع، وليست مجرد مادة نجاح ورسوب.

وعن كيفية تطوير منظومة التعليم فى مصر أكد د. نبيل السمالوطى أن هناك حاجة إلى تطوير وتدعيم للمجالات التى ذكرتها من قبل.

وأضاف أن الإدارة المدرسية هى المسئولة عن عمليات المتابعة والتقويم وضمان تنفيذ العملية التعليمية على أكمل وجه، فتطوير مناهج التعليم

د. محمود الناقة:

التعليم هو العمود الفقرى لأى مجتمع فإذا اعوج مال وانحنى باقى الجسد

يجب أن يترك لمجموعة من المتخصصين فى مجال التربية محليين ودوليين، ويجب عليهم أن يراعوا فى المناهج عدة اعتبارات:

١ - مستوى الاستيعاب للطالب.

٢ - المستوى العالمى الذى يدرس فى المادة العلمية، فمثلا (الطالب فى المرحلة الثانوية فى اليابان وأمريكا وأوروبا ماذا يدرس فى الكيمياء والأحياء والفيزياء؟).

٣ - يجب تبسيط المادة العلمية للطالب، وأن تقدم نماذج وأمثلة متعددة له حتى يستوعب ما يقرأه وأن توضع هذه المادة فى كتب صغيرة بقدر الإمكان وأن تكون جاذبة للقراءة والاستيعاب، وربطها بالبيئة المحيطة للطالب، وهذا لن يتحقق إلا بمجموعة من الحكماء والخبراء.

ومن الملاحظ أيضًا أن الطالب يترك الكتاب المدرسى، ويقبل على شراء الكتب الخارجية لأنها أكثر تنظيمًا وتشويقًا، وبها مجموعة من الأسئلة والأجوبة، والامتحانات وطريقة الإجابة عليها.

ويتساءل د. نبيل السمالوطى لماذا لا نشرك مؤلفو الكتب الخارجية التى تستحوذ على اهتمام الطلاب وأولياء الأمور فى تأليف الكتب المدرسية تحت إشراف لجنة الحكماء والخبراء التى ذكرناها من قبل.

الدروس الخصوصية

وتطرق د. السمالوطى إلى مشكلة الدروس الخصوصية ومقاومتها مؤكدًا أن هذا لن يتأتى إلا إذا صلحت المدرسة والمدرس، ولا تصلح المدرسة إلا بمدرسين أكفاء مدربين يحصلون على مرتبات مجزية تغنيهم عن الدروس الخصوصية، فلابد من الاهتمام بالمدرس وتوفير المعيشة الكريمة له وتأهيله علميًا وتربويًا ونفسيًا واقتصاديًا بشكل جيد حتى يحصل على مكانه ومكانته فى المجتمع بشكل يكون موضع تقدير المجتمع واهتمامه.

التعليم الفنى

وعن ضرورة الاهتمام بالتعليم الفنى يقول: د. السمالوطى: «التعليم الفنى هو الذى أدى إلى تقدم كوريا الجنوبية وألمانيا واليابان فلا تقدم إلا بالتعليم الفنى سواء فى المجال الزراعى أو الصناعى أو التجارى ولهذا يجب الاهتمام فى مصر بتطوير وتنمية التعليم الفنى خاصة أن وزير التعليم الحالى كان مسئولا عن هذا التعليم فى يوم من الأيام، ولاشك أنه سيولى اهتمامًا كبيرًا به، ويذلل له كافة العقبات التى تعترض نجاح هذا التعليم.

روشتة علاج

يضع د. السمالوطى روشتة علاج لمشاكل التعليم فى مصر من وجهة نظره فيقول: «لابد من الاهتمام بالعمود الفقرى للعملية التعليمية وهو المدرس، وتأهيله علميًا ونفسيًا وتربويًا إلى جانب الاهتمام بالمبانى المدرسية وصيانتها، وتطوير المناهج والمقررات الدراسية بالشكل الذى ذكرناه.

وأضاف أن مديرى المدارس يجب أن يكونوا على درجة عالية من الكفاءة لأنهم هم المسئولون عن جودة العملية التعليمية من الألف إلى الياء.

وعن كيفية مجابهة الدروس الخصوصية مع بدء العام الدراسى

تقول أ. د. محبات أبو عميرة - عميدة كلية التربية - بنات جامعة عين شمس -: «إن هذه المشكلة لا تحل إلا بتشريع - إما من الرئيس أو من مجلس الشعب - هدفه تجريم الدروس الخصوصية، ومن يخالف ذلك يقع تحت طائلة القانون، وهذا لن يتأتى إلا بمساعدة الشعب للحكومة والوقوف جنبا إلى جنب والإبلاغ فورًا عن أى شخص يدير شقته

للدروس الخصوصية، وتطرقت د. محبات أبو عميرة إلى مشكلة أخرى فى غاية الأهمية وهى الكتاب المدرسى، ومدى إقبال الطلاب على الكتاب الخارجى وإهمالهم للكتاب المدرسى، مشيرة إلى أن الكتاب الخارجى مختلف تمامًا إذا ما قورن بالكتاب المدرسى لأنه يحتوى على العديد من المعلومات والأمثلة والتمرينات التى لم يتضمنها كتاب الوزارة كما أن الكتاب الخارجى معروض بطريقة مشوقة للطلاب مما يجعلهم يقبلون عليه.

وترى د. محبات أبو عميرة أن الكتاب الخارجى على الرغم من هذه المميزات التى ذكرناها آنفًا إلا أنه آفة من آفات العملية التعليمية لأنه يقتل الإبداع عند الطالب الذى يعتمد اعتماداً كليا على الحفظ دون إعمال عقله، ويضع ما يحفظه من إجابات فى ورقة الامتحان، فالكتاب المدرسى إذن فى حاجة إلى تطوير، وهذا لن يتأتى إلا بإدراج مميزات الكتاب الخارجى فيه، ومنها العرض بطريقة مشوقة، غير أن المشكلة تكمن فى أن أولياء الأمور هم الذين يشترون الكتب الخارجية لأنهم يرون أن أولادهم لا يفهمون إلا من خلال تلك الكتب.

وأشارت إلى أن الدولة لابد لها من وقفة مع مؤلفى الكتب الخارجية ودور النشر التى تقوم بإصدار هذه الكتب.

وعن بداية إصلاح منظومة التعليم فى مصر من خلال الكتاب المدرسى أوضحت أن الكتاب المدرسى هو جزء من إصلاح منظومة التعليم فى مصر ولكن ليس من خلاله فقط يتم إصلاح تلك المنظومة لأن الكتاب المدرسى جزء من المنهج وليس المنهج كله، فبداية إصلاح التعليم هو المعلم، وتكريم الرئيس السيسى للمعلمين يدل على مدى اهتمام الدولة بقضيتهم.

ومن هنا فإن المعلم لابد له من دور وطنى وقومى بالإضافة إلى دوره المهنى الذى يتجسد فى تنمية حب الوطن والولاء للجيش المصرى لدى الطلبة وما فعله الجيش المصرى العظيم خلال السنوات السابقة فى مساندة ثورتى ٢٥ يناير، ٣٠ يونيه وحماية الشعب من التقسيم، هذا الحديث قد لا يكون مذكورًا فى الكتب، ولكن هذا هو دور المعلم مع بداية كل حصة دراسية يوضح ذلك للطلاب، ويشرح لهم أهمية مصر جغرافيّا وتاريخيّا واجتماعيّا.

الكفاءات

وأضافت د. محبات أبو عميرة أن إصلاح منظومة التعليم مرتبط ارتباطًا كليا باختيار الكفاءات، ولا بد أن تكون هناك معايير دقيقة لذلك تتمثل فى الشفافية والموضوعية.

وأشارت إلى أنه مع بدايات العام الدراسى لابد من توفير الآليات اللازمة لتحقيق الأمن والاستقرار داخل المدرسة، ومنع ما من شأنه تعكير صفو العملية التعليمية داخل المدارس، والتشديد على الطلاب والمدرسين بعدم ممارسة الأنشطة السياسية داخل المدارس؛ وتطرقت د. محبات إلى ضرورة الاهتمام بسد العجز فى المدارس التى فى حاجة إلى معلمين خاصة تلك التى تعانى من زيادة الكثافة العددية للطلبة فى الفصول، والعمل على حل هذه المشكلة ببناء مدارس جديدة تستوعب مثل هذه الزيادة، كما تطرقت إلى ضرورة الاهتمام بصحة الطلبة ومراقبة الوجبات الغذائية التى تقدم لهم أثناء اليوم الدراسى.

واختتمت حديثها إلى «منبر الإسلام» عن رأيها فى تشكيل المجلس الاستشارى العلمى الذى صدر بقرار جمهورى، وموقع التعليم منه قائلة: «المجلس يضم علماء ومفكرين حاصلين على جوائز علمية ودولية، ولكن نسبة مشاركة المرأة فيه واحدة فقط وهذا لا يكفى».

تساؤلات

وعن مشاكل التعليم فى مصر وطرق حلها ومواجهتها يقول أ . د محمود الناقة ـ الأستاذ بكلية التربية جامعة عين شمس ـ: «هناك عدة تساؤلات مطروحة عن التعليم ومشاكله فى مصر من المفترض أن يجيب عليها المسئولون فمثلاً:

● هل المدارس مهيأة مع بداية العام الدراسى لممارسة الطلاب للأنشطة المختلفة؟

● هل الوسائل التكنولوجية الحديثة كالكمبيوتر والآى باد وغيرها متوافرة بالمدارس؟

● ماذا عن تأهيل المعلمين وإعدادهم الإعداد الجيد للعملية التعليمية؟

● هل تم تطوير الكتاب المدرسى بطريقة جذابة ومشوقة أم لا؟

● إلى أى مدى استطاعت وزارة التربية والتعليم حل مشكلة زيادة الكثافة العددية للطلاب فى الفصول؟

وغيرها من المشكلات التى فى حاجة إلى علاج جذرى من قبل وزارة التربية والتعليم.

وعن أثر التعليم بوضعه الحالى على الوضع الاجتماعى للبلاد

أكد د. محمود الناقة أن التعليم هو العمود الفقرى لأى مجتمع، وهو الأساس لأى تنمية بشرية فإذا اعوج العمود الفقرى مال وانحنى باقى الجسد، فالتعليم هو الذى يضخ الدم إلى باقى الأمة، فإذا ضعف ضعفت الأعضاء كلها، ففشل العملية التعليمية هى أخطر القضايا التى تواجه المجتمع لأن القائم على التنمية البشرية والذى يصنع الإنسان هى المدرسة.

فأى مجتمع يبنى على ركيزتين أساسيتين: المصادر الطبيعية والقوى البشرية وهى الأهم لأنها تقوم باكتشاف وتطوير واستغلال المصادر الطبيعية، ولذلك فإن الأولى بنا الاهتمام بتنمية الإنسان.

جذاب ومشوق

أما بالنسبة لإصلاح الكتاب المدرسى كبداية لإصلاح منظومة التعليم فى مصر أكد د. الناقة أن الكتاب المدرسى إذا ألف بطريقة علمية وجذابة واشتمل على تدريبات تعليمية والغلاف مزود بصور ورسوم تساعد على توضيح الأفكار، كل ذلك سيساعد على جودة الكتاب المدرسى والإقبال عليه.

العملية التعليمية

وتطرق إلى مشكلة الدروس الخصوصية حيث أكد أن الحل يكمن فى العملية التعليمية الفاعلة من كتاب ومناهج دراسية مطورة ومراجعة بأساليب حديثة وشاملة، بالإضافة إلى أن الفصل «حجرة الدرس» لا يزيد عدد الطلبة فيه عن عشرين طالبا، ومعلم مدرب وكفء يدير الفصل بحكمة واقتدار، ويكون مخلصًا فى عمله يبذل أقصى ما فى استطاعته لإيصال المعلومة الصحيحة إلى الطلاب بعيداً عن الترويج لنفسه بأنه الوحيد القادر على الشرح والتوضيح بطريقة أفضل عن طريق الدروس الخصوصية إلى غير ذلك من الوسائل الجاذبة.

هذا بالإضافة إلى يوم دراسى كامل ينتهى فى تمام الساعة الثالثة يتخلله العديد من الأنشطة الثقافية والرياضية كل هذه الأمور ستحسن من العملية التعليمية وتحارب الدروس الخصوصية، وتساءل د. محمود الناقة عن الطريقة المثلى للعملية التعليمية داخل الفصل.

وتكمن الإجابة من وجهة نظره فى شقين هما:

تلميذ ملتزم، ومعلم معد أكاديميّا وتربويّا وسيكولوجيّا للقيام بوظيفته والسؤال الذى يطرح نفسه هو كيف نعيد التلميذ إلى الفصل والمدرس للقيام بواجبه ثم نضع بين أيديهما مادة تعليمية تطبيقية وليست نظرية؟

وأضاف قائلاً: «أعتقد أن التعليم فى مصر يحتاج إلى ثورة جذرية من الحضانة وحتى الدراسات العليا، فالترقيع ليس حلا فنحن نسمع منذ زمن طويل عن حلول وتطوير شامل، وليس ترقيعًا لما هو موجود».

مجلس قومى للتعليم

ويؤكد د. محمود الناقة أنه اقترح منذ القدم تشكيل مجلس قومى للتعليم لا يخضع لوزير أو رئيس الوزراء، وإنما يتلقى تعليماته من الرئيس مباشرة، ويكون له سلطات كاملة لتخطيط التعليم والإشراف عليه، ويحاسب هذا المجلس أمام رئيس الجمهورية بتنفيذ المخطط التعليمى ومتابعته وفقا لسياسة ثابتة لا تتغير بتغير الوزير.

وزير الأوقاف:

جميع مؤسسات الدولة معنية بالعملية التعليمية وتعمل بتنسيق كامل وتعاون فيما بينها لصالح خدمة قضايا الوطن

ولأهمية التعليم فى حياة الأمم وتقدمها اهتمت مصر بتلك القضية اهتماما بالغا حيث وضعت الحكومة المصرية ممثلة فى وزير التربية والتعليم خططا للنهوض به، بحيث يتناسب مع التقدم التكنولوجى الذى نحياه الآن.

ولأن قضية التعليم باتت تمثل جزءا مهما من نهضتنا المرتقبة فلم تعد قضية وزارة أو هيئة بعينها، بل هى قضية كل الوزارات والهيئات، ومن أجل ذلك فقد اهتم معالى وزير الأوقاف أ. د/ محمد مختار جمعة مع بداية العام الدراسى بزيارة عدد من المدارس والمعاهد الأزهرية بمحافظات مصر ومنها محافظة بنى سويف حيث رافقه السيد المستشار/ مجدى البتيتى - محافظ بنى سويف - وقد لقيت زيارة معالى الوزير ترحيبا واسعا من أهالى المحافظة الذين أكدوا أنهم يشعرون بروح جديدة لوجود المسئولين بينهم وبين أبنائهم للتعرف عن قرب على مشكلاتهم والعمل على حلها.

وفى جولة بمحافظة القاهرة يرافقه السيد المحافظ جلال السعيد قام وزير الأوقاف بزيارة مدرستى (حدائق شبرا الإعدادية بنات - وعلى بن أبى طالب التجريبية)، حيث أكد وزير الأوقاف على اهتمام جميع مؤسسات الدولة بالعملية التعليمية وأنها تعمل بتنسيق كامل وتعاون فيما بينها لصالح خدمة قضايا الوطن، وأن زيارته تهدف إلى تأكيد ربط التعليم بالتربية على القيم والأخلاق والسلوك القويم ربطا حقيقيا.

وزير الأوقاف ومحافظ بنى سويف أثناء تفقدهما سير العملية التعليمية بالمحافظة

أ. د/ محمد مختار جمعة أثناء زيارته لمدرسة حدائق شبرا الإعدادية بنات

كما أكد خلال زيارته لمكتبة المخطوطات التابعة للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية بالوزارة أن المكتبة تشكل كنزا معرفيا ثمينا، وأنه يدرس مع الأمين العام للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية أ. د/ أحمد على عجيبة تعظيم الإفادة منها.

الحج ووحدة الأمة

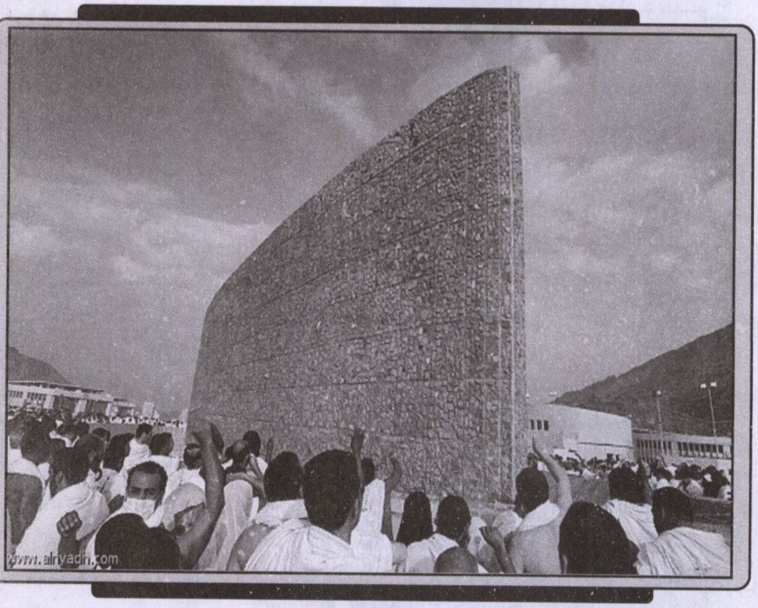

خطبة الجمعة بتاريخ ٢ ذى الحجة ١٤٣٥هـ ٢٠١٤/٩/٢٦م

أولا - العناصر :

١ ـ وحدة الصف من غايات مناسك الحج .

٢ ـ مظاهر الوحدة بين المسلمين فى الحج.

٣ ـ أثر الحج فى إذكاء روح الأخوة بين المسلمين.

٤ ـ من ثمرات الوحدة :

ـ التكامل والتعاون .

ـ الإخلاص فى التعامل بين أفراد الأمة.

ـ نبذ الفرقة والخلاف ٠

ـ أدب الحوار وأدب الخلاف .

ثانيًا : الأدلة :

الأدلة من القرآن:

١ ـ يقول الله تعالى:﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾ (الأنبياء: الآية ٩٢).

٢ ـ ويقول تعالى:﴿وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ﴾ (المؤمنون: الآية ٥٢).

٣ ـ ويقول تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُواْ وَاذْكُرُواْ نِعْمَةَ اللّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاء فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَىَ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ (آل عمران: الآية ١٠٣).

٤ ـ ويقول تعالى: ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلاَ رَفَثَ وَلاَ فُسُوقَ وَلاَ جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللّهُ وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُوْلِي الأَلْبَابِ● لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُواْ فَضْلاً مِّن رَّبِّكُمْ فَإِذَا أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُواْ اللّهَ عِندَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِ لَمِنَ الضَّآلِّينَ● ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُواْ اللّهَ إِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (البقرة: الآيات ١٩٧ : ١٩٩).

٥ ـ ويقول تعالى: ﴿وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ● لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا

مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ • ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ • ذَلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ عِندَ رَبِّهِ وَأُحِلَّتْ لَكُمُ الأَنْعَامُ إِلاَّ مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ﴾ (الحج: الآيات ٢٧ ـ ٣٠).

٦ ـ ويقول تعالى: ﴿ذَلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ (الحج : ٣٢).

٧ ـ ويقول تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ (الحجرات: الآية ١٠).

٨ ـ ويقول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (الحجرات : ١٣).

الأدلة من السنة:

١ ـ عَنْ أَبِي مُوسَى رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ: «**الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا**» (متفق عليه).

٢ ـ وعَنْ ابْنِ عَبَّاس (رضى الله عنهما) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ: «**يَدُ اللَّهِ مَعَ الْجَمَاعَةِ**» (سنن الترمذى).

٣ ـ وعن جَابر رضي الله عنه أَنَّ رَسُولِ الله ﷺ قَالَ فِى خُطْبَتِه وَسَطَ أَيَّامِ التَّشْرِيق: «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَلاَ إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ، وَإِنَّ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ، أَلاَ لاَ فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى أَعْجَمِيٍّ، وَلاَ لِعَجَمِيٍّ عَلَى عَرَبِيٍّ، وَلاَ لأَحْمَرَ عَلَى أَسْوَدَ، وَلاَ أَسْوَدَ عَلَى أَحْمَرَ إِلاَّ بِالتَّقْوَى، أَبَلَّغْتُ**؟ قَالُوا: بَلَّغَ رَسُولُ اللَّه ﷺ، ثُمَّ قَالَ: **أَيُّ يَوْمٍ هَذَا**؟ قَالُوا: يَوْمٌ حَرَامٌ، ثُمَّ قَالَ: **أَيُّ شَهْرٍ هَذَا**؟ قَالُوا: شَهْرٌ حَرَامٌ: قَالَ: ثُمَّ قَالَ: **أَيُّ بَلَدٍ هَذَا**؟ قَالُوا: بَلَدٌ حَرَامٌ، قَالَ: **فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ حَرَّمَ بَيْنَكُمْ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، فِى شَهْرِكُمْ هَذَا فِى بَلَدِكُمْ هَذَا، أَبَلَّغْتُ**؟ قَالُوا: بَلَّغَ رَسُولُ اللَّه ﷺ قَالَ: **لِيُبَلِّغْ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ**» (مسند الإمام أحمد، وحلية الأولياء لأبى نعيم).

٤ ـ وعَنْ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ (رضى الله عنهما) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ: «**مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِى تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى**» (متفق عليه).

ثالثاً : الموضوع

تأتى فريضة الحج كلَّ عام لتذكر الأمة بثوابتها وأصولها، ومن بين هذه الثوابت والأصول أنها أمة واحدة، واحدة فى عقيدتها، وواحدة فى وجهتها، وواحدة فى قبلتها، وواحدة فى غايتها، قال تعالى: ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾ (الأنبياء: الآية ٩٢)، وقال تعالى: ﴿وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ﴾ (المؤمنون: ٥٢)، فبيَّن ربنا تبارك وتعالى أن ديننا واحد وشريعتنا واحدة، وفى خاتمة الآية الأولى قال: ﴿وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾ فكأن من أصول الدين وثوابت هذه الأمة وحدتها وتماسكها لأنها موحَّدَة فى عباداتها، وفى خاتمة الآية الثانية قال تعالى: ﴿وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ﴾ إذ وحدة الأمة وتمسكها بثوابتها والحفاظ على هويتها يحتاج إلى ركيزة أساسية تقوم عليها ألا وهى: التقوى، التى هى إخلاصٌ وتجرد لله تعالى فى العبادة والمعاملة والسلوك. ويأتى موسم الحج ليؤكد على هذا المعنى، معنى الوحدة التى تحتاج إلى الإخلاص والتقوى قال تعالى: ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلاَ رَفَثَ وَلاَ فُسُوقَ وَلاَ جِدَالَ فِى الْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُوْلِى الأَلْبَابِ﴾ (البقرة: الآية ١٩٧).

وحدة الصف من غايات مناسك الحج وتظهر بجلاء وحدة العقيدة

إن وحدة الأمة واعتصامها بدينها والحفاظ على ثقافتها هو سر بقائها ودعامة قوتها والسبيل إلى نهضتها، ولذا كانت دعوة الإسلام إلى الحفاظ على هذا التماسك ونبذ الخلاف والتفرق والتشرذم، وقد جاءت هذه الدعوة صريحة واضحة فى قول الله تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُواْ

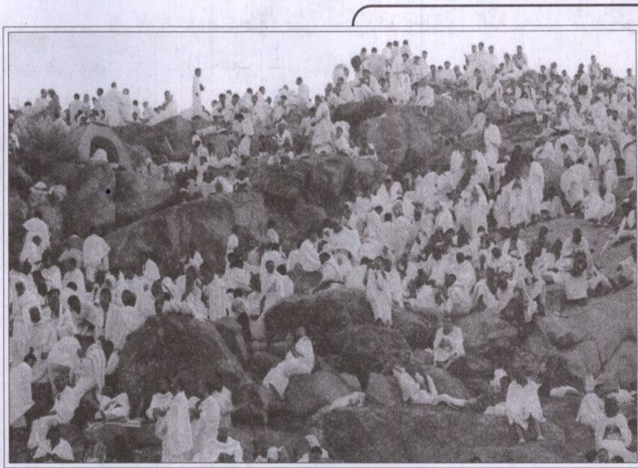

﴿وَاذْكُرُواْ نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاء فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَىَ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ (سورة آل عمران: الآية ١٠٣)، وكانت دعوة النبى ﷺ للأمة بلزوم جماعة المسلمين وعدم الفرقة والتنازع، فعن ابن عباس (رضى الله عنهما) قال رسول الله ﷺ: «**يَدُ اللَّهِ مَعَ الْجَمَاعَةِ**»، وضرب النبى ﷺ مثلا للأمة فى تماسكها وتآزرها فقال: «**الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا**».

وأكثر ما تتجلى فيه روح الأخوة، وتزيد أواصر المحبة بين أبناء الأمة: شعيرة الحج التى تعتبر خُمُسَ الإسلام، وخامسَ الأركان كما قال النبى العدنان عليه الصلاة والسلام، كما أنها تجمع باقى أركان الإسلام فى أسمى معانيها، وتحلق بجموع المسلمين فى سماء من الرقى، تفيض بالطهر والإيمان، وتنأى بهم عن الرجس والبهتان، والإفك والطغيان، فيكونون مع الرحمن بالقلوب والأبدان، تذوب الفوارق فيما بينهم، وتعلوهم روح العدل والمساواة، ولا تخضع الجباه إلا لله تعالى.

أما كون الحج يجمع أركان الإسلام فيبدو فى مناسكه، فالطواف بالبيت فى اتجاه واحد يتفق مع دوران الأرض حول نفسها ومع دورانها فى محورها وكأن القلوب قد اتسقت حركتها مع حركة الكون فى طواف واحد لرب واحد، وهذا من مظاهر الوحدة بين أفراد الأمة بل بين المؤمن والكون من حوله إضافة إلى كون الطواف صلاة، فعن ابن عباس (رضى الله عنهما) قال رسول الله ﷺ: «**الطَّوَافُ بِالْبَيْتِ صَلَاةٌ، ولكنّ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَحَلَّ لكم فيه الكلام، فلا تكثروا فيه مِن الكلام**» (سنن النسائى).

كما أن الحاجَّ بإحرامه يمتنع عن أشياء أحلها الله له وهو فى حله وحتى وهو صائم، مما يرتقى بالمسلم ويسمو به على شهواته وملذاته، ومنها إزالة شعر الرأس بحلق أو غيره لقوله تعالى: ﴿**وَلاَ تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْىُ مَحِلَّهُ**﴾ (البقرة: الآية ١٩٦)، وقوله تعالى: ﴿**الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلاَ رَفَثَ وَلاَ فُسُوقَ وَلاَ جِدَالَ فِى الْحَجِّ**﴾ (البقرة: الآية ١٩٧)، ولا شك أن هذا مظهر يدل على الوحدة والمساواة بين عباد الله تعالى الذين لبسوا لباسا واحدا وأحرم كل منهم من محل إحرامه قاصدين بيتا واحد، لا فرق بين غنى أو فقير، صغير أو كبير، رجل أو امرأة، فكل من قصد بيت الله الحرام قد أحرم ولبى بالحج.

ووحدة الصف من غايات مناسك الحج فيبدو فيها وحدة العقيدة، فالمؤمن قلبه عامر بالإيمان مطمئن بذكر الرحمن: ﴿**الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلاَ بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ**﴾ (الرعد: الآية ٢٨)، وشعيرة الحج تجعل المؤمنين يكثرون من ذكر الله ويُشْغَلون به عما سواه، فالحاجّ يلبى نداء مولاه: «**لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك**» وغير الحاجّ ممن لم تتوفر لهم مؤنة الحج مشغولون بالدعاء والذكر فى عيد الأضحى وصوم يوم عرفة الذى قال عنه رسول الله ﷺ ونبه أمته إلى فضله: «**خَيْرُ الدُّعَاءِ دُعَاءُ يَوْمِ عَرَفَه وَخَيْرُ مَا قُلْتُ أَنَا وَالنَّبِيُّونَ مِنْ قَبْلِى لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ**» (سنن الترمذى).

ويوم عرفة رمز لوحدة المسلمين ومظهر من مظاهر قوتها، فالحجيج على اختلاف لغاتهم وتباين

ألوانهم وتباعد أقطارهم قد اجتمعوا فى صعيد واحد ولباس واحد وهتفوا بهتاف واحد فى وقت واحد، يتعارفون فيما بينهم وتتآلف قلوبهم وأصبح كلٌّ منهم ممثلاً لبلده فى هذا المؤتمر الحافل يتدارسون مشاكل أمتهم ويبحثون علاجها ويعلنون للدنيا كلها أنهم أمة واحدة وكيان واحد.

كما يبدو الأخذ بالأسباب فى السعى بين الصفا والمروة، فعلى المسلم أن يتمثل موقف السيدة هاجر التى جاءت برضيعها فى واد غير ذى زرع، وتوكلت على الله حق التوكل، أخذت بالأسباب وجدت فى البحث عن الماء لرضيعها ولم تيأس حتى نبع الماء لرضيعها، فعلى المسلم ألا ييأس، بل يطمع فى رحمة الله تعالى ويأخذ بالأسباب وما أحوج أمتنا إلى العمل، ونبذ التكاسل والخمول.

كما أن فريضة الحج تبعث فى الأمة روح التعاون والتكامل وهذا مما يدعم وحدتها وينمى قوتها، فحين تتكامل فى اقتصادها وتتبادل احتياجاتها بحيث تقوى كل أركانها فإنها تصبح عصية على أعدائها، ولذا كان فى الحج منافع دنيوية كما أن فيه منافع أخروية قال تعالى: **﴿وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ● لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ﴾** (الحج: الآيتان ٢٧، ٢٨)، وروى عن عمرو بن دينار عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: «كانت عكاظ ومجنة وذو المجاز أسواقنا فى الجاهلية فلما جاء الإسلام كأنهم كرهوا أن يتجروا فى الحج فسألوا النبى ﷺ فأنزل الله تعالى قوله: **﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُواْ فَضْلاً مِّن رَّبِّكُمْ فَإِذَا أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُواْ اللَّهَ عِندَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِ لَمِنَ الضَّالِّينَ﴾**، ونحن أمة خيِّرةٌ مدعوة بالتعاون فى كل سبل الخير إذ إن من ثمرات الوحدة التعاون والتكامل فى كل النواحى الاقتصادية والسياسية والزراعية والدفاعية قال تعالى: **﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾** (المائدة: الآية ٢)، وقال تعالى: **﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾** (الحجرات: ١٠)،

ومن ثمرات الوحدة الإخلاص وتقوى القلوب، فمن التقوى أكل الحلال يقول الله: **﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾** (المؤمنون: الآية ٥١)، ومن التقوى تعظيم الحرمات وعدم سفك الدماء وعدم ترويع الآمنين، عن طريق التطرف والتعصب لغير الحق، وصاحبه أبعد ما يكون عن الحق، ونبه الحق على هذا: **﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ﴾** (الحج: الآية ٣٠).

والنبى ﷺ نبَّه على هذا فى حجة الوداع فقال: «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ: أَيُّ يَوْمٍ هَذَا؟** قَالُوا: يَوْمٌ حَرَامٌ، ثُمَّ قَالَ: **أَيُّ شَهْرٍ هَذَا؟** قَالُوا: شَهْرٌ حَرَامٌ، ثُمَّ قَالَ: **أَيُّ بَلَدٍ هَذَا؟** قَالُوا: بَلَدٌ حَرَامٌ، قَالَ: **فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ حَرَّمَ بَيْنَكُمْ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا فِي بَلَدِكُمْ هَذَا، أَبَلَّغْتُ**؟ قَالُوا: بَلَّغَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَالَ: **لِيُبَلِّغْ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ**».

والإخلاص يجمع كل هذا فهو أساس العبادة قال الله تعالى: **﴿وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾** (البينة: الآية ٥)، وفى سورة الحج يقول الله تعالى: **﴿لَنْ يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلاَ دِمَاؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ﴾** (الحج: الآية ٣٧)، والنبى ﷺ كان مخلصاً فى حجه مقتصدا فى نفقته؛ عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: حج النبى ﷺ على رحل رث، وقطيفة تساوى أربعة دراهم أو لا تساوى، ثم قال: «**اللَّهُمَّ حَجَّةٌ لاَ رِيَاءَ فِيهَا وَلاَ سُمْعَةَ**».

فعلى المسلم أن يخرج من حجه وقد تغير ظاهراً وباطنا وبدا طاهراً قلبه، نظيفًا فى تعامله مع الناس، محافظاً على وحدة الصف متآلفًا مع أبناء مجتمعه، وإذا كان الله عز وجل قد شرع للمسلمين اجتماعات تلم شعثهم وتوحد صفوفهم كصلاة الجماعة والجُمعة فإن الحج أعظم هذه الاجتماعات فيه يتعارفون ويتآلفون، قال تعالى: **﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾** (الحجرات: الآية ١٣).

الدروس المستفادة من خطبة حجة الوداع

خطبة الجمعة بتاريخ ٩ ذى الحجة ١٤٣٥هـ - ٢٠١٤/١٠/٣م

أولا العناصر:

١ - التأكيد على حرمة الأنفس والأموال والأعراض.

٢ - الربا وخطره على الفرد والأمة فى الدنيا والآخرة.

٣ - الوصية بالنساء.

٤ - تقريرها لحقوق الإنسان.

٥ - وحدة الأمة والنهى عن العصبية العمياء.

ثانيا: الأدلة

الأدلة من القرآن الكريم:

١ - يقول تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا﴾ (المائدة: الآية ٣).

٢ - ويقول تعالى: ﴿وَلا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِى حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ﴾ (الأنعام: الآية ١٥١).

٣ - ويقول تعالى: ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلاَّ أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ وَلاَ تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ (النساء: الآية ٢٩).

٤ - ويقول تعالى: ﴿وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا﴾ (البقرة: الآية ٢٧٥).

٥ - ويقول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِنْ كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ • فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ (البقرة: الآيتان ٢٧٨ - ٢٧٩).

٦ - ويقول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ (الحجرات: الآية ١٣)،

٧ - ويقول تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلاَ تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ (الأنفال: الآية ٤٦).

الأدلة من السنة النبوية:

١- عَنْ جابر بن عبد الله (رضى الله عنهما) أن النبى ﷺ

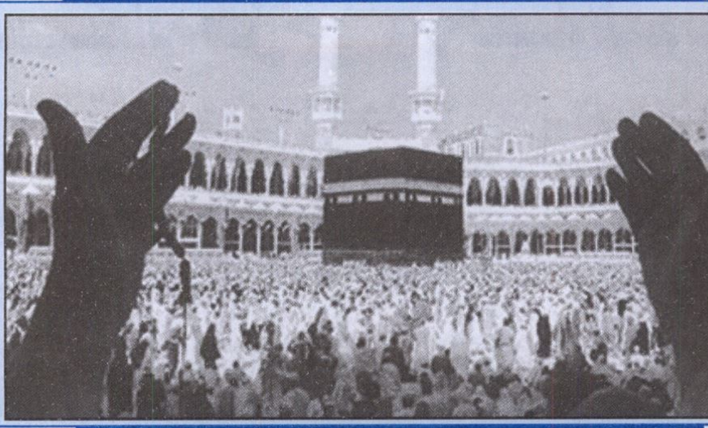

ما أحوج الأمم إلى الاستفادة من أيام محنها وشدائدها واستلهام العبر من تاريخها

خطَبَ النَّاسَ وَقَالَ: «... **إِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ حَرَامٌ عَلَيْكُمْ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا فِى شَهْرِكُمْ هَذَا فِى بَلَدِكُمْ هَذَا ...**» (صحيح مسلم).

٢ - و عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ: «... **كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ دَمُهُ وَمَالُهُ وَعِرْضُهُ**» (صحيح مسلم).

٣ - و عَنْ عَبْدِ اللَّه بن مسعود رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ: «**لاَ يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ يَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَأَنِّى رَسُولُ اللَّهِ إِلاَّ بِإِحْدَى ثَلاَثٍ الثَّيِّبُ الزَّانِى وَالنَّفْسُ بِالنَّفْسِ وَالتَّارِكُ لِدِينِهِ الْمُفَارِقُ لِلْجَمَاعَةِ**» (صحيح مسلم).

٤ - وعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ: «**لاَ يُشِيرُ أَحَدُكُمْ عَلَى أَخِيهِ بِالسِّلاح فَإِنَّهُ لاَ يَدْرِى لَعَلَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ فِى يَدِهِ فَيَقَعُ فِى حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ**» (صحيح البخارى).

٥ - وعن ابن عباس (رضى الله عنهما) قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِذَا ظَهَرَ الزِّنَا وَالرِّبَا فِى قَرْيَةٍ، فَقَدْ أَحَلُّوا بِأَنْفُسِهِمْ عَذَابَ اللَّهِ**» (المستدرك للحاكم).

٦ - وعَنْ عَبْدِ اللَّه بن مسعود رضي الله عنه عَنِ النَّبِىِّ ﷺ قَالَ: «**لَعَنَ اللهُ آكِلَ الرِّبَا، وَمُوكِلَهُ، وَشَاهِدَيْهِ، وَكَاتِبَهُ**» (مسند أحمد).

٧ - وعن عَمْرِو بْنِ الأَحْوَصِ رضي الله عنه أن النبى ﷺ قَالَ فى حجة الوداع: «**أَلاَ وَاسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا فَإِنَّمَا هُنَّ عَوَانٌ عِنْدَكُمْ ..**» (سنن الترمذى).

٨ - وعَنْ أَبِى نَضْرَةَ رضي الله عنه عَنِ النَّبِىِّ ﷺ قَالَ: «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ، أَلاَ إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ، وَإِنَّ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ، أَلاَ لاَ فَضْلَ لِعَرَبِىٍّ عَلَى عَجَمِىٍّ، وَلاَ لِعَجَمِىٍّ عَلَى عَرَبِىٍّ، وَلاَ أَحْمَرَ عَلَى أَسْوَدَ، وَلاَ أَسْوَدَ عَلَى أَحْمَرَ، إِلاَّ بِالتَّقْوَى أَبَلَّغْتُ**»، قَالُوا: بَلَّغَ رَسُولُ الله، ثُمَّ قَالَ: «**أَىُّ يَوْمٍ هَذَا؟**»، قَالُوا: يَوْمٌ حَرَامٌ، ثُمَّ قَالَ: «**أَىُّ شَهْرٍ هَذَا؟**»، قَالُوا: شَهْرٌ حَرَامٌ، قَالَ: ثُمَّ قَالَ: «**أَىُّ بَلَدٍ هَذَا؟**»، قَالُوا: بَلَدٌ حَرَامٌ، قَالَ: «**فَإِنَّ اللهَ قَدْ حَرَّمَ بَيْنَكُمْ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ**». قَالَ: وَلاَ أَدْرِى قَالَ: «**أَوْ أَعْرَاضَكُمْ، أَمْ لاَ - كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، فِى شَهْرِكُمْ هَذَا، فِى بَلَدِكُمْ هَذَا أَبَلَّغْتُ**»، قَالُوا: بَلَّغَ رَسُولُ الله، قَالَ: «**لِيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ**» (مسند أحمد).

ثالثا - الموضوع

ما أحوج الأمة فى أيام محنها وشدائدها، وأيام ضعفها وضياعها، إلى دروس من تاريخها تتأملها، وإلى وقفات عند مناسباتها تستلهم منها العبر ويتجدّد فيها العزم على الجهاد الحقّ، ومحاربة كل بغى وفساد.

ما أحوجها إلى دروس تستعيد بها كرامتها وترد من يريد القضاء على كيانها، وإن فى حجة النبىّ ﷺ الوداعية لعبرًا ومواعظ، وفيها من الدروس ما فيها، فلو تدبرها المسلمون وعملوا بما فيها، لكانت سببًا لسعادتهم فى الدنيا والآخرة.

فبعد أن استقر التشريع وكمل الدين وتمت النعمة ورضى الله لنا الإسلام دينًا، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا**﴾ (المائدة: الآية ٣)، خطب النبى ﷺ فى موقف عرفة ويوم الحج الأكبر خطبةً جامعةً موجزة، أرسى فيها قواعد الإسلام وهدم مبادئ الجاهلية، وعَظّمَ حُرمات المسلمين، وثبّت النبى ﷺ فى نفوس المسلمين أصول الدين وقواعد الشريعة الإسلامية بعبارات توديعية بألفاظها ومعانيها وشمولها وإيجازها، استشهد الناسَ فيها على البلاغ بقوله: «**اللهم فاشهد**».

وتُعَد خطبة حجة الوداع دستورًا للأمة الإسلامية ومنهجًا للبشرية جمعاء؛ فلقد أتم الله رسالته إلى البشرية على يد أشرف وأكرم رسول بعث إلى الإنسانية، ووضع الدعائم لقيام الدولة الإسلامية، والتمكين لدين الله - تعالى- فى الأرض إلى يوم القيامة.

● **ومن الدروس المستفادة من خطبة النبى ﷺ فى حجة الوداع:** التأكيد على حرمة الأنفس والأموال والأعراض.

إن حِفْظ النفوس وصيانة الدماء والأموال والأعراض قضيةٌ خطيرة يُثيرها خطاب الرسول ﷺ إلى الأمة فى كلماته التوديعية، حيث أكد النبى ﷺ أنَّه رحمةٌ للعالمينَ، يحفظُ للإنسانِ كرامتَهُ، وللمجتمعِ استقرارَهُ ومكانَتَهُ، يصونُ الأعراضَ والدماءَ، ويحمِى العقولَ والأموالَ، قالَ ﷺ فى خطبة حجة الوداع: «**أيها الناسُ إنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ حَرَامٌ عَلَيْكُمْ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا فى شَهْرِكُمْ هَذَا فى بَلَدِكُمْ هَذَا**».

لقد بين النبىُّ ﷺ حُرمة الدماء والأموال، ووضح لنا أن هذه الحُرمة تُساوى حُرمة اليوم والشهر والبلد، ومعلومٌ أن حُرمة البلد الحرام ـ وهو مكة ـ حُرمةٌ عظيمة، وحُرمة الشهر الحرام ـ وهو شهر ذى الحجَّة ـ حرمة عظيمة، وكذلك حرمة الدِّماء والأموال حُرمة شديدة وعَظيمة.

بهذا التوجيه النبوى أسَّس الرسول ﷺ لمجتمع حضاريٍّ مستقرٍّ، تسودهُ الأُلْفَةُ، وتُرْعَى فيه الحرمةُ، ويأخُذُ فيهِ كلُّ ذِى حقٍّ حقَّـهُ، وتقوم العلاقةُ بيْنَ أفراده علَى التعاونِ والتراحُم، لينهضُوا فى نسيجٍ واحد مُتلاحم، فلاَ يحلُّ لامرئٍ أنْ يعتدى علَى أخيه بأىِّ شَكل منَ الأشكال، كما بينَ النبى ﷺ بقوله: «**كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ دَمُهُ وَمَالُهُ وَعِرْضُهُ**».

ولو تدبَّر الناسَ هذا الكلام، لَمَا تعدَّى أحد على أحد، ولَمَا سُفكَت الدماء، ولَمَا خُطفَت الأموال، ولَمَا سُرقَت، ولَمَا اغْتُصبَت، ولَعاش الناس عيشةً هنيئةً فيها سعادتهم الدُّنيوية قبل الأُخرويَّة، فهذا التحريم يجعل الإنسانَ يعمل ألف حساب قبْل أن يتعدَّى على غَيره ليَسفك دمه، أو ليأخُذ ماله دون وجْه حقٍّ، ولأمن الناس على دمائهم وأموالهم، ولما عاشوا فى رعْب وخَوف .

فقتْل النفس بغير حقٍّ حرام بالكتاب والسنَّة، فقد جاء فى كتاب الله عز وجل قولُه تعالى: ﴿**وَلا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِى حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ**﴾ (الأنعام: الآية ١٥١).

وقد حصر النبى ﷺ استباحة الدم المحَرَّم فى هذه الثلاثة فقال فى الحديث الصحيح: «**لاَ يَحِلُّ دَمُ رَجُلٍ مُسْلِمٍ يَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَأَنِّى رَسُولُ اللَّهِ إِلاَّ بِإِحْدَى ثَلاَثٍ الثَّيِّبُ الزَّانِى وَالنَّفْسُ بِالنَّفْسِ وَالتَّارِكُ لِدِينِهِ الْمُفَارِقُ لِلْجَمَاعَةِ**» (سنن أبى داود).

فكيف يتجرَّأ بعض الناس ويَسفكون الدماء، ويَهدِمون بُنيان النفس، وقد حرَّم الله عز وجل ذلك، بل إن النبى ﷺ نهى عن كل عمل يؤدى إلى القتل أو القتال ولو كان إشارة بالسلاح، فقال: «**لاَ يُشِيرُ أَحَدُكُمْ إِلَى أَخِيهِ بِالسِّلاَحِ فَإِنَّهُ لاَ يَدْرِى أَحَدُكُمْ لَعَلَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ فِى يَدِهِ فَيَقَعُ فِى حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ**» (صحيح مسلم).

حتى القتال فى سبيل الله عز وجل فيه حقْن للدماء، فالذى لا يُحارِب لا يُقتَل، فكان ﷺ إذا أرسل جيشًا أوصاهم ألا يَقتلوا شيخًا كبيرًا، ولا امرأة ولا طفلاً صغيرًا، هذا مع الكفار، فما بالُنا بحُرمة دماء المسلمين؟.

وكما حرَّم الإسلام الاعتداء على الأنفس كذلك صان الأموال وحرم الاعتداء عليها غصبًا، أو سرقةً، أو احتيالا ؛ فقال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلاَّ أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ**

﴿تَرَاضٍ مِنْكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ (النساء: الآية ٢٩).

وقد جمع الرسول ﷺ بين حرمة المال وحرمة الدم والعرض فى سياق واحد، وجعل السرقة منافية لما يوجبه الإيمان، فقال: «...**وَلَا يَسْرِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ**..».

فلنتق الله فى دماء المسلمين وأموالهم وأعراضهم، ولا يأخذ أحد مالاً إلا بحقِّه؛ فالله عز وجل سوف يسأل كل صاحب مال من أين اكتسبه؟ وفيمَ أنفقه؟ وسوف يسأل القاتلَ عندما يقول المقتول: سلْه يا رب فيمَ قتلنى ؟

● ومن الدروس المستفادة من خطبة حجة الوداع: الربا وخطره على الفرد والأمة فى الدنيا والآخرة.

حيث يقفُ الرسول ﷺ فى خطبة الوداع، ويُوقف أمته على أمرٍ حاسم وموقف جازم، فيبيِّن ﷺ أن الربا موضوع وباطل، وأول ربًا يضعه ﷺ ربا العباس بن عبد المطَّلب، فإنه موضوع كلُّه.

سد الإسلام الطريق على كل من يحاول استثمار ماله عن طريق الربا فحرم كثيره وقليله

فالرِّبا باطل وحرام، والله عز وجل قد حرَّم الربا؛ يقول تعالى: ﴿**وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا**﴾ (البقرة: الآية ٢٧٥)، ويقول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ● فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ (البقرة: الآيتان ٢٧٨ - ٢٧٩)، فهذا وعيد شديد لمن لم ينته عن الربا، فقد سدَّ الإسلام الطريق على كل من يحاول استثمار ماله عن طريق الربا، فحرَّم قليله وكثيره، وأعلن الرسول ﷺ حربه على الربا والمرابين، وبيَّن خطره على المجتمع فقال: «**إِذَا ظَهَرَ الزِّنَا وَالرِّبَا فِي قَرْيَةٍ، فَقَدْ أَحَلُّوا بِأَنْفُسِهِمْ عَذَابَ اللَّهِ**».

ويقول النبى ﷺ: «**لَعَنَ اللهُ آكِلَ الرِّبَا، وَمُوكِلَهُ، وَشَاهِدَيْهِ، وَكَاتِبَهُ**». فآكل الربا ملعون، واللعنةُ: هى الطرد من رحمة الله عز وجل فعلينا بتقوى الله سبحانه وتعالى وأكْل الحلال، والبُعد عن أكل الحرام، والتعامل بالربا الذى يُطرَد آكلُه من رحمة الله تعالى.

● ومن الدروس المستفادة من خطبة حجة الوداع: الوصية بالنساء.

لقد أوصى رَسُولُ اللَّه ﷺ بالمرأة خيرًا فى خطبته يوم عرفة، تقديرًا لمكانتها، فقال ﷺ: «**أَلَا وَاسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا**» (رواه الترمذى). وبهذه الوصية النبوية نالَت المرأةُ احترامَها، وحظيَت بتقدير جميلهَا، والوفاء لصنيعهَا، فغدَت أمًّا مُربِّيةً، وأُختاً مُكرَّمةً، وزوجةً صالحةً، وبنتًا طاهرةً، وأضحَت النساءُ شريكات للرجال فى البناء والعطاء، قالَ ﷺ: «**إِنَّمَا النِّسَاءُ شَقَائِقُ الرِّجَالِ**» (رواه أبو داود). وبذلكَ أخذَت المرأةُ نصيبَها منَ الرعاية والتعليم، وأُتيحَت لَهَا المشاركةُ فى شتَّى الميادين.

فلنحرص على وصية النبىِّ ﷺ ولنحسِن إلَى النساء حتَى يحسن الله إلينا، ولنعاملهم معاملة حسنة، يقول النبى ﷺ: «...**فاتَّقوا الله فى النساء؛ فإنكم أخذتموهنَّ بأمانة الله، واستحللتُم فروجهنَّ بكلمة الله**» فأمرنا النبى ﷺ بتقوى الله تعالى فى النساء، وعلَّمنا أن نؤدى الحقوق التى علَينا قبَلهن، وبيَّن لنا أن أصل الفروج حرام بقوله: «**واستحللتُم**»، فالأصل أن الفروج حرام، ولا يحلُّ منها إلا ما أحله الله تعالى وقد أمَرنا الله تعالى بغضِّ الأبصار؛ فقال عزَّ وجل: ﴿**قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ● وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا**...﴾ (النور: الآيتان ٣٠، ٣١)، فالأمر بغضِّ البصر الذى هو بَريد الزنا يدلُّ على تحريم الفروج ؛ حيث منع ما يُتوصَّل به إليه، بقوله عزَّ وجل: ﴿**وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَى إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا**﴾ (الإسراء: الآية ٣٢).

وإذا كان الله سبحانه وتعالى أحلَّ لنا الزواج من النساء، فقد أمَرنا الرسول ﷺ بتقوى الله تعالى فى النساء والإحسان إليهنَّ، فعلى الأزواج أن يُحسنوا فى

إطعامهن، وكسوتهنَّ، وأن يُعاشروهنَّ بالمعروف؛ يقول الله تعالى: **﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾** (النساء: الآية ١٩)، وكان النبى ﷺ خير الناس لأهله، وهو قُدوتنا ﷺ.

ومن خلال الخُطبة الجامعة نلاحظ أن على النساء ألا يوطئنَّ فُرُش الرجالِ أحدًا يَكرهه الزوج، حيث بيَّن النبى ﷺ أن هذا حقٌّ للرجال على النساء.

● ومن الدروس المستفادة من خطبة حجة الوداع: تقريرها لحقوق الإنسان.

حيث أكدت أن الناس جميعًا متساوون فى التكاليف حقوقًا وواجبات، لا فرق بين عربى ولا أعجمى إلا بالتقوى، لا تفاضل فى نسب ولا تمايز فى لون، فالناس سواسية كأسنان المشط، وأعلنت إعلانًا حقيقيا عالميا لحقوق إنسان، وليس خاصة بطائفة من الناس، ويُعْلِن النبى ﷺ ذلك بقوله: «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ، أَلاَ إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ، وَإِنَّ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ، أَلاَ لاَ فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى عَجَمِيٍّ، وَلاَ لِعَجَمِيٍّ عَلَى عَرَبِيٍّ، وَلاَ أَحْمَرَ عَلَى أَسْوَدَ، وَلاَ أَسْوَدَ عَلَى أَحْمَرَ، إِلاَّ بِالتَّقْوَى أَبَلَّغْتُ**»، قَالُوا: بَلَّغَ رَسُولُ الله، ثُمَّ قَالَ: «**أَيُّ يَوْمٍ هَذَا؟**»، قَالُوا: يَوْمٌ حَرَامٌ، ثُمَّ قَالَ: «**أَيُّ شَهْرٍ هَذَا؟**»، قَالُوا: شَهْرٌ حَرَامٌ، قَالَ: ثُمَّ قَالَ: «**أَيُّ بَلَدٍ هَذَا؟**»، قَالُوا بَلَدٌ حَرَامٌ، قَالَ: «**فَإِنَّ اللهَ قَدْ حَرَّمَ بَيْنَكُمْ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ**» - قَالَ: وَلاَ أَدْرِى قَالَ: «**أَوْ أَعْرَاضَكُمْ، أَمْ لاَ - كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، فِى شَهْرِكُمْ هَذَا، فِى بَلَدِكُمْ هَذَا أَبَلَّغْتُ**»، قَالُوا: بَلَّغَ رَسُولُ الله، قَالَ: «**لِيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ**» (مسند أحمد عَنْ أَبِى نَضْرَةَ).

فالناس جميعا سواسية أمام الشريعة لا فضل لعربى على عجمى، ولا لعجمى على عربى، ولا لأحمر على أسود، ولا لأسود على أحمر إلا بالتقوى - كما ذكر فى الحديث -، ولا تمايز بين الأفراد فى تطبيقها عليهم، فالناس كلهم فى القيمة الإنسانية سواء، «**كلكم لآدم وآدم من تراب**» والنبى ﷺ لم يأمر الناس بشىء دون أن يطبقه على نفسه وبيته، ففى الحديث : «**لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها**».

فكل ما يؤدى إلى التفرقة بين الأفراد على أساس الجنس، أو العرق، أو اللون، أو اللغة، أو الدين، هو مخالف لما قرره النبى ﷺ فى خطبته، ومصادرة للمبدأ الإسلامى العام، حيث حدَّد أن أساس التفاضل لا عبرة فيه بجنس، ولا لون، ولا وطن، ولا قومية، وإنما أساس التفاضل قيمة خلقية راقية ترفع مكانة الإنسان إلى مقامات رفيعة جداً، وهى التقوى والعمل الصالح، كما قال ربنا سبحانه وتعالى: **﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾** (الحجرات: الآية ١٣).

● كذلك من الدروس المستفادة من خطبة حجة الوداع: وحدة الأمة والنهى عن الفرقة والعصبية.

فممَّا حذَّر مِنْهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فى حجة الوداعِ الفرقةَ والتنافرُ، والتنازع والتدابر، فقد قالَ فى خطبته ﷺ: «**أَلاَ إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ أَيِسَ أَنْ يَعْبُدَهُ الْمُصَلُّونَ، وَلَكِنْ فِى التَّحْرِيشِ بَيْنَهُمْ**» (مسلم، والترمذى واللفظ له).

قالَ العلماءُ: ومعنَى التحريش: التَّحْرِيضُ بِالشَّرِّ بَيْنَ النَّاسِ وحملُهُمْ عَلَى الفتَنِ والبغضاء، والإفساد والشحناء، فلنحذَرْ مِنْ كُلِّ مَنْ يُفرِّقُ أمرَنَا، ويَبثُّ الفتَنَ بينَنَا، فعَنْ أَبِى أُمَامَةَ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَخْطُبُ فِى حَجَّةِ الْوَدَاعِ فَقَالَ: «**اتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ وَصَلُّوا خَمْسَكُمْ وَصُومُوا شَهْرَكُمْ وَأَدُّوا زَكَاةَ أَمْوَالِكُمْ وَأَطِيعُوا ذَا أَمْرِكُمْ تَدْخُلُوا جَنَّةَ رَبِّكُمْ**» (رواه الترمذى) ومعنَى وَأَطِيعُوا ذَا أَمْرِكُمْ: أَىْ أطيعُوا وُلاةَ أمورِكُمْ، فإنَّ طاعتَهُمْ واجبةٌ فِى الدِّينِ، متصلَةٌ بطاعةِ ربِّ العالمينَ.

وقد بيَّن النبى ﷺ فى خطبته أن اعتصامنا بالكتاب والسنَّة فيه النجاة من كل شرٍّ وسوء، فإذا أراد المسلمون الثبات على الهداية، فعليهم أن يتمسَّكوا بالقرآن الكريم والسنَّة المشرَّفة، ففيهما سعادة مَن تمسَّك بهما فى الدنيا والآخرة.

فما أحوج الأمة إلى مثل هذه الدروس التى عرضها الرسول ﷺ فى خطبته التى ودع فيها أمته، تستلهم منها العبر، وتستعيد بها كرامتها، وترد من يريد القضاء على كيانها، ويتجدّد فيها العزم على محاربة كل بغى وفساد.

خطبة عيد الأضحى

السبت ١٠ من ذى الحجة ١٤٣٥هـ ـ ٤/١٠/٢٠١٤م

أولاً - العناصر:

١ ـ عيد الأضحى رمز للتضحية والبذل والعطاء.

٢ ـ بعض الدروس المستفادة من قصة الذبيح عليه السلام

٣ ـ الأضحية عبادة وتوسعة.

٤ ـ من فضائل يوم الأضحى.

ثانيًا - الأدلة:

الأدلة من القرآن:

١ ـ قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلاَتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ • لاَ شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ (الأنعام: الآيتان ١٦٢، ١٦٣).

٢ ـ وقال تعالى: ﴿فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلاَمٍ حَلِيمٍ • فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْىَ قَالَ يَا بُنَىَّ إِنِّى أَرَى فِى الْمَنَامِ أَنِّى أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِى إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ • فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ • وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ • قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِى الْمُحْسِنِينَ • إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلاَءُ الْمُبِينُ • وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ﴾ (الصافات: الآيات ١٠١ ـ ١٠٧).

٣ ـ وقال تعالى: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ • فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ • إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الأَبْتَرُ﴾ (الكوثر: الآيات ١ ـ ٣).

٤ ـ وقال تعالى: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ (الحج: الآية ٣٢).

٥ ـ وقال تعالى: ﴿لَنْ يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلاَ دِمَاؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ﴾ (الحج: الآية ٣٧).

الأدلة من السنة والآثار:

١ ـ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ قُرْطٍ رضي الله عنه عَنِ النَّبِىِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ أَعْظَمَ

الأَيَّام عِنْدَ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَوْمُ النَّحْرِ ثُمَّ يَوْمُ الْقَرِّ ـ يعنى اليوم الذى يليه» (سنن أبى داود).

٢ ـ وعَنْ عَائِشَةَ (رضى الله عنها) أَنَّهُمْ ذَبَحُوا شَاةً فَقَالَ النَّبِىُّ ﷺ: «مَا بَقِىَ مِنْهَا؟». قَالَتْ: مَا بَقِىَ مِنْهَا إِلاَّ كَتِفُهَا. قَالَ: «بَقِىَ كُلُّهَا غَيْرَ كَتِفِهَا» (سنن الترمذى).

٣ ـ وعَنْ أَبِى سَعِيد الْخُدْرِىِّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَا أَهْلَ الْمَدِينَةِ لاَ تَأْكُلُوا لُحُومَ الأَضَاحِىِّ فَوْقَ ثَلاَثٍ». وَقَالَ ابْنُ الْمُثَنَّى ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ. فَشَكَوْا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّ لَهُمْ عِيَالاً وَحَشَمًا وَخَدَمًا فَقَالَ: «كُلُوا وَأَطْعِمُوا وَاحْبِسُوا أَوِ ادَّخِرُوا» (متفق عليه).

٤ ـ وعَنِ ابْنِ عُمَرَ (رضى الله عنهما) قَالَ: «الضَّحَايَا وَالْهَدَايَا ثُلُثٌ لأَهْلِك، وَثُلُثٌ لَك، وَثُلُثٌ لِلْمَسَاكِينِ» (المحلى لابن حزم).

حرص المسلم على الاستسلام والانقياد لأوامر الله أشد من حرصه على نفسه وولده

ثالثًا ـ الموضوع

هذا يوم عيدنا الأكبر، عيد التضحية والبذل والعطاء، التضحية بكل شىء فى سبيل مرضاة الله عز وجل، التضحية بالنفس والمال، التضحية بالأهل وبكل شىء، فهذا خليل الرحمن إبراهيم عليه السلام يضحى بكل شىء فى سبيل دينه وعقيدته، أخرج من وطنه الذى يحبه فحب الأوطان فطرة فى النفوس، هجر وطنه بعد صراع بينه وبين قومه، وبعد أن عانى من أبيه نفسه ما عانى، بعد رفقه به غاية الرفق فى دعوته، وحاول بكل سبيل أن يستميله إلى طريق الله عز وجل: ﴿وَاذْكُرْ فِى الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا • إِذْ قَالَ لأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لاَ يَسْمَعُ وَلاَ يُبْصِرُ وَلاَ يُغْنِى عَنْكَ شَيْئًا • يَا أَبَتِ إِنِّى قَدْ جَاءَنِى مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِى أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا • يَا أَبَتِ لاَ تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا﴾ (مريم: الآيات ٤١ – ٤٤)، ثم يبلغ الأدب والرفق وحسن التأدب مع الأب غايته حين يقول لأبيه: «يَا أَبَتِ إِنِّى أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا﴾ (مريم: الآية ٤٥) لم يقل له: إنك كافر جاحد وإن مصيرك العذاب، ولم يقل: ستعذب فى النار.. لا، بل قال: إنى أخاف أن يمسك ـ مجرد مسّ... تخيلوا مدى الرفق والأدب مع الأب على الرغم من كفره!!! ثم إن المقام مقام عذاب ومع ذلك لم يقل: عذاب من الجَبَّار، وإنما أتى باسم من أسماء الله تعالى فيه رحمة حتى لا يفجع أذن أبيه ـ منتهى الأدب والبر؛ لكن كيف كان ردّ الأب الكافر: ﴿قَالَ أَرَاغِبٌ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِى يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِى مَلِيًّا﴾ (مريم: الآية ٤٦)، فهذا ردّ الأب الكافر الذى مات على الكفر.

لكن كيف كان جزاء سيدنا إبراهيم عليه السلام؟! رزقه الله تعالى بولد أطاعه فيما لا يطيع فيه أحد أحداً فى الذبح وإنهاء الحياة كلها: ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْىَ قَالَ يَا بُنَىَّ إِنِّى أَرَى فِى الْمَنَامِ أَنِّى أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِى إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾ (الصافات: الآية ١٠٢) منتهى البلاء وغاية المحنة أن يؤمر الأب بذبح ابنه؛ ثم مَن الأب ومَن الابن؟! الأب رجل بلغ من الكبر عتيا ورزق ولدا فى نهايات العمر، ثم هو اليوم يؤمر بذبحه! والابن شاب فى بداية شبابه بدليل قوله: ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْىَ﴾ فى بداية شبابه؟ يعنى فى السن التى يكون الولد فيها قرة عين لأبيه ويكون الشاب فيها مزهوًا بشبابه؛ فى هذه اللحظة الفارقة فى عمر الولد والوالد يؤمر الوالد بذبح ولده... فماذا كان رد الابن؟! ﴿قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ﴾؟! إنها نفس الكلمة الحانية التى كان يقولها سيدنا إبراهيم لأبيه! حقًا إن الجزاء من جنس العمل؛ كما تدين تدان؛ بروا آباءكم تبركم أبناؤكم؛ ما تفعله اليوم مع والديك ستلقاه غدا من أبنائك.

إن الدرس الأعظم فى قصة الذبيح عليه السلام هو منتهى الامتثال والاستسلام الكامل والانقياد التام

لأمر الله تعالى، امتثال يجعل حرص المسلم على أمر الله تعالى وطاعته أشد من حرصه على نفسه وولده والدنيا وما فيها، يقول الله تعالى: **﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ • وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾** (النور: الآيتان ٥١، ٥٢).

ما أحوجنا أن نستلهم هذه المعانى الإيمانية العظيمة فى زمن بدت تلوح فى آفاقه موجات جديدة من الضلال والإلحاد، وفى قصة سيدنا إبراهيم عليه السلام دروس وعبر يتوجب علينا أن نديم النظر فيها، لقد واجه خليل الرحمن محنًا شديدة، وواجه مهمات جسامًا، لقد وجد نفسه يواجه وحده سيلًا من الإلحاد والضلال، الإلحاد الذى وصل إلى أن يدعى النمرود أنه يحيى ويميت، **﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِى حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِى رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّىَ الَّذِى يُحْيِى وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِى وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِى بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِى كَفَرَ وَاللَّهُ لاَ يَهْدِى الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾** (البقرة: الآية ٢٥٨)، يقول ابن كثير رحمه الله: «وكان - أى النمرود - طَلَبَ مِنْ إبراهيمَ دليلاً عَلَى وُجُودِ الرَّبِّ الَّذى يَدْعُو إلَيه، فَقَالَ إبْراهيم: **﴿رَبِّىَ الَّذِى يُحْيِى وَيُمِيتُ﴾** أى إنما الدَّلِيلُ عَلَى وُجُودِهِ حُدُوثُ هذِهِ الأَشْيَاءِ الْمُشَاهَدَةِ بَعْدَ عَدَمِهَا وَعَدَمِهَا بَعْدَ وُجُودِهَا، وَهَذَا دَلِيلٌ عَلَى وُجُودِ الْفَاعِلِ الْمُخْتَارِ، ضَرُورَةً لأَنَّهَا لَمْ تَحْدُثْ بِنَفْسِهَا فَلا بُدَّ لَهَا مِنْ مُوجِدٍ أَوْجَدَهَا، وَهُوَ الرَّبُّ الَّذى أَدْعُو إِلَى عِبَادَتِهِ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، فَعِنْدَ ذَلِكَ قَالَ الْمحاجّ - وهو النمرود -: **﴿أَنَا أُحْيِى وَأُمِيتُ﴾**، قال قتادة: وذلك أنى أوتى بالرجلين استحقا القتل فآمر بقتل أحدهما فيقتل، وآمر بالعفو عَنِ الآخَرِ فَلا يُقْتَلُ، فَذَلِكَ مَعْنَى الإحْيَاءِ وَالإمَاتَةِ، وَالظَّاهِرُ - وَاللَّهُ أَعْلَمُ - أَنَّهُ مَا أَرَادَ هَذَا لأَنَّهُ لَيْسَ جَوَابًا لِمَا قَالَ إِبْرَاهِيمُ وَلاَ فِى مَعْنَاهُ لأَنَّهُ غَيْرُ مَانِعٍ لِوُجُودِ الصَّانِعِ، وَإِنَّمَا أَرَادَ أَنْ يَدَّعِى لِنَفْسِهِ هَذَا الْمَقَامَ عِنَادًا وَمُكَابَرَةً وَيُوهِمُ أَنَّهُ الْفَاعِلُ لِذَلِكَ، وَأَنَّهُ هُوَ الَّذى يُحْيِى وَيُمِيتُ كَمَا اقْتَدَى بِهِ فِرْعَوْنُ فِى قَوْلِهِ: **﴿مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِى﴾**، وَلِهَذَا قَالَ لَهُ إِبْرَاهِيمُ لَمَّا ادَّعَى هَذِهِ الْمُكَابَرَةَ: **﴿فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِى بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ﴾** أَى إِذَا كُنْتَ كَمَا تدعى من أنك تحيى وتميت فالذى يحيى ويميت هُوَ الَّذى يَتَصَرَّفُ فِى الْوُجُودِ، فِى خَلْقِ ذواته وتسخير كواكبه وحركاته، فهذه الشمس تبدو كل يوم من المشرق فإن كنت إِلَهًا كَمَا ادَّعَيْتَ تُحْيِى وَتُمِيتُ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ؟ فَلَمَّا عَلِمَ عَجْزَهُ وَانْقِطَاعَهُ وَأَنَّهُ لاَ يَقْدِرُ عَلَى الْمُكَابَرَةِ فِى هَذَا الْمَقَامِ بُهِتَ، أَى أُخْرِسَ فَلا يَتَكَلَّمُ وَقَامَتْ عَلَيْهِ الْحُجَّةُ» (تفسير ابن كثير)، لكن سيدنا إبراهيم عليه السلام حين اختلى بربه أراد أن يُريه الله تعالى قضية الإحياء والإماتة رأى العين حتى يعاينَ ما تطمئنُ به نفسه حين يجادل الملحدين: **﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْيِى الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِى قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾** (البقرة: الآية ٢٦٠)، يقول القرطبى - رحمه الله -: «... فأخذ هذه الطير حسب ما أمر وذكاها ثُمَّ قَطَّعَهَا قِطَعًا صِغَارًا، وَخَلَطَ لُحُومَ الْبَعْضِ إِلَى لُحُومِ

الْبَعْض مَعَ الدَّمِ وَالرِّيش حَتَّى يَكُونَ أَعْجَبَ، ثُمَّ جعَلَ مِنْ ذلِكَ الْمَجْمُوعِ الْمُخْتَلطِ جُزْءًا عَلَى كُلِّ جَبَل، وَوَقَفَ هُوَ مِنْ حَيْثُ يَرَى تِلْكَ الأَجْزَاءَ وَأَمْسَكَ رُءُوسَ الطَّيْرِ فِي يَدِه، ثُمَّ قَالَ: تَعَالَيْنَ بِإِذْنِ اللَّه، فَتَطَايَرَتْ تِلْكَ الأَجْزَاءُ وَطَارَ الدَّمُ إِلَى الدَّمِ وَالرِّيشُ إِلَى الرِّيش حَتَّى الْتَأَمَتْ مِثْلَ مَا كَانَتْ أَوَّلًا وَبَقِيَتْ بِلَا رُءُوس، ثُمَّ كَرَّرَ النِّدَاءَ فَجَاءَتْهُ سَعْيًا، أَيْ عَدْوًا عَلَى أَرْجُلِهِنَّ» (تفسير القرطبى).

وعيد الأضحى عيد الأضحية، عيد إخلاص الدين لله عز وجل: ﴿**قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ● لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ**﴾ (الأنعام: الآيتان ١٦٢، ١٦٣)، نذبح الأضاحى فى هذا اليوم تقربًا إلى الله تعالى، وإنها لدليل على عظيم فضل الله على هذه الأمة. فالأضحية ذبيحة توسِّعُ بها على نفسك وأهلك ومن حولك، ومع ذلك هى قربة وعبادة تؤجر عليها الأجر العظيم، إن الأضحية شعيرةٌ من شعائر الله واجبٌ تعظيمها كما قال تعالى: ﴿**ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ**﴾ (الحج: الآية ٣٢)، وسنة من سنن الرسول ﷺ ينبغى الالتزام بها، وإحياؤها بالعمل بها، ذكرى لهذا الحادث العظيم الذى ترجع إليه الأمة المسلمة لتعرف فيه حقيقة أبيها إبراهيم، الذى تتبع ملته، والذى ترث نسبه وعقيدته، ولتدرك طبيعة العقيدة التى تقوم بها أو تقوم عليها، ولتعرف أنها الاستسلام لقدر الله فى طاعة راضية واثقة ملبية لا تسأل ربها لماذا؟ ولا تتلجلج فى تحقيق إرادته عند أول إشارة منه وأول توجيه، ولا تستبقى لنفسها فى نفسها شيئًا، ولا تختار فى ما تقدمه لربها هيئةً ولا طريقةً لتقديمه إلا كما يطلب هو إليها أن تقدم، ثم لتعرف أن ربها لا يريد أن يعذبها بالابتلاء، ولا أن يؤذيها بالبلاء، إنما يريد أن تأتيه طائعةً ملبيةً وافيةً مؤدية مستسلمةً لا تقدم بين يديه، ولا تتألى عليه، فإذا عرف منها الصدق فى هذا أعفاها من التضحيات والآلام، وهكذا تكون التكاليف الشرعية تربية وتأديبًا للعباد لا طلبًا للمشقة عليهم.

الأضحية قربة وعبادة تؤجر عليها الأجر العظيم وشعيرة من شعائر الله يجب تعظيمها

والمسلم بذبحه الأضحية يعبر عن ذبحه شهواته وتضحيته بحظوظ نفسه تقربًا إلى الله تعالى، فالأهم ليس اللحم والدم ولكن التقوى المُسْتَكِنَّة فى القلب، التقوى التى يريد الله تعالى أن يربى العباد عليها من خلال العبادات التى يشرعها لهم، فهى التى تدفعهم لكل خير، وتمنعهم عن كل شر، وتأخذهم إلى تحرى مرضاة الله تعالى، يقول الله تعالى: ﴿**لَنْ يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ**﴾ (الحج: الآية ٣٧)، يقول الزمخشرى: «والمعنى: لن يُرضى المضحون والمقرِّبون ربَّهم إلا بمراعاة النية والإخلاص والاحتفاظ بشروط التقوى فى حل ما قرب به، وغير ذلك من المحافظات الشرعية وأوامر الورع. فإذا لم يراعوا ذلك، لم تغن عنهم التضحية والتقريب وإن كثر ذلك منهم» (تفسير الكشاف).

وإذا كانت الأضحية قد شرعت توسعة على النفس والأهل والأقارب والمساكين فإن للمضحى أن يأكل منها ما شاء، ويدخر ويتصدق بما شاء فإن النبى ﷺ قال: «**كُلُوا وَأَطْعِمُوا وادَّخِرُوا**»، لكن يستحب أن يقسمها ثلاثًا، فيأكل هو وأهله ثلثها ويهدى ثلثها ويتصدق بثلثها، فعَنِ ابْنِ عُمَرَ (رضى الله عنهما) قَالَ: الضَّحَايَا وَالْهَدَايَا ثُلُثٌ لأَهْلِك، وَثُلُثٌ لَك، وَثُلُثٌ لِلْمَسَاكِين»، وعلينا أن ندرك أن الصدقة منها هى الأبقى والأنفع لصاحبها فى الآخرة، فعَنْ عَائِشَةَ (رضى الله عنها) أَنَّهُمْ ذَبَحُوا شَاةً فَقَالَ النَّبِىُّ ﷺ: «**مَا بَقِىَ مِنْهَا**؟». قَالَتْ: مَا بَقِىَ مِنْهَا إِلاَّ كَتِفُهَا. قَالَ: «**بَقِىَ كُلُّهَا غَيْرَ كَتِفِهَا**».

وينبغى أن تكون الأضحية مظهرًا من مظاهر عظمة الإسلام ونظافته وطهارته، فلا ينبغى الذبح فى مداخل العمارات والبيوت وفى الشوارع والأزقة

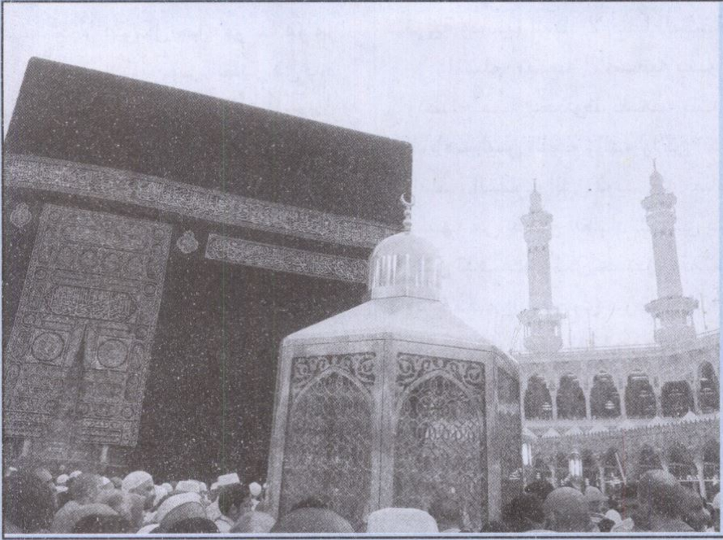

وأمام المساجد والمستشفيات ونقل العدوى، والمناظر المشينة المسيئة للإسلام والمسلمين، كيف وقد حرم الإسلام الضرر، فعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ (رضى الله عنهما) قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**لاَ ضَرَرَ وَلاَ إِضْرَارَ**»، كما أمرنا بتطهير الطرقات وإبعاد الأذى عنها وعدَّ ذلك من شعب الإيمان، فعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**الإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الإِيمَانِ**».

فهذا يوم ينبغى أن يكون رحمة كله وخيراً كله وجمالاً وعظمة، إنه أعظم الأيام، فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ قُرْطٍ رضي الله عنه عَنِ النَّبِىِّ ﷺ قَالَ: «**إِنَّ أَعْظَمَ الأَيَّامِ عِنْدَ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَوْمُ النَّحْرِ ثُمَّ يَوْمُ الْقَرِّ - يعنى اليوم الذى يليه -** »، وفى هذا اليوم العظيم وقف نبيُّنا محمدٌ ﷺ فى منًى خطيباً فى الحجَّاج، فذَكَر تعظيم مكان الحج، وتعظيم زمانه، وتعظيم يومه الأكبر الذى هو يوم النحر، وتعظيم أمر الدماء والأعراض والأموال؛ روى جَابِرٌ رضي الله عنه قال: خَطَبَنَا رسول الله ﷺ يوم النَّحْرِ، فقال: «**أَىُّ يَوْمٍ أَعْظَمُ حُرْمَةً**؟»، فَقَالُوا: يَوْمُنَا هذا، قال: «**فأى شَهْرٍ أَعْظَمُ حُرْمَةً**؟»، قالوا: شَهْرُنَا هذا، قال: «**أى بَلَدٍ أَعْظَمُ حُرْمَةً**؟»، قالوا: بَلَدُنَا هذا، قال: «**فإن دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ، كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هذا، فى بَلَدِكُمْ هذا، فى شَهْرِكُمْ هذا، هل بَلَّغْتُ**؟»، قالوا: نعم، قال: «**اللهم اشهد**».

فسبحان من جعل حرمة الدم كحرمة بيته الحرام، فهلاَّ اتخذنا من هذه المناسبة الكريمة فرصة للتآلف وتعظيم معانى الأخوة؟! هذه الأخوة فرضها الله تعالى علينا وربط بها بين جميع المؤمنين، يقول تعالى: ﴿**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ**﴾ (الحجرات: الآية ١٠)، والآية التى بدأت بإثبات الأخوة بين المسلمين ختمت بقوله ﴿**وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ**﴾ أى: اتقوا الله فيما ذكر فى هذه الآية من الأخوة لعلكم ترحمون، فتأمل كيف علق الله تعالى الرجاء فى رحمته على مراعاة الأخوة!! وكأن الله تعالى يقول لنا: لن أرحمكم حتى يرحم بعضكم بعضًا، وليعلم كل واحد منا أن أحداً لن يدخل معه قبره، لا الجماعة الفلانية ولا الزعيم الفلانى ولا الحزب الفلانى، ستقف وحدك أمام ربك ليحاسبك فاتق الله فيما بينك وبين المسلمين من أخوة، واستثمر الفرصة العظيمة هذه الأيام الطيبة المباركة.

ماذا بعد الحج؟

خطبة الجمعة بتاريخ ١٦ ذى الحجة ١٤٣٥هـ - ١٠/١٠/٢٠١٤م

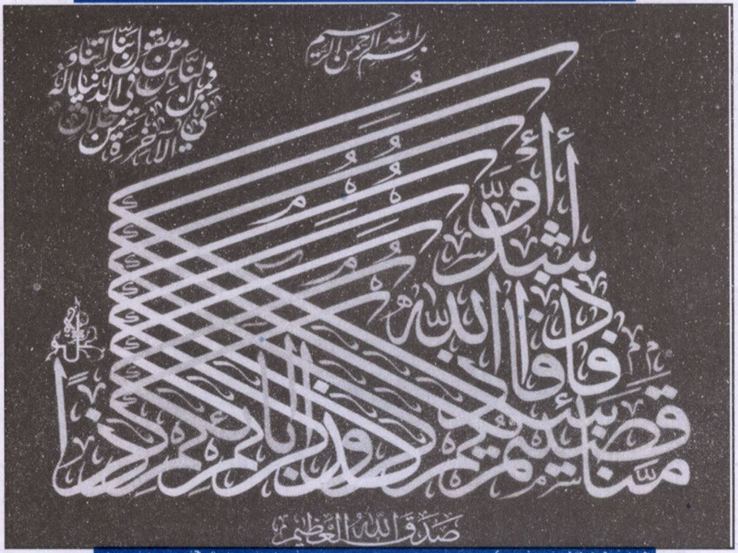

﴿فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا﴾

أولا - العناصر:

١ - شكر الله تعالى على توفيقه لأداء العبادة.

٢ - رجاء قبول العبادة وعدم العجب.

٣ - المداومة على العمل الصالح وفتح صفحة جديدة مع الله تعالى.

٤ - المداومة والامتثال لأمر الله تعالى استلهامًا لمعانى الحج.

٥ - استصحاب السلوك القويم بعد الحج.

٦ - بين العبادة والسلوك.

ثانيًا - الأدلة:

الأدلة من القرآن:

١ - يقول الله تعالى: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا فَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ • وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ • أُولَئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ (البقرة: الآيات ٢٠٠ - ٢٠٢).

٢ - ويقول الله تعالى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ (البقرة: الآية ١٥٢).

٣ - ويقول تعالى: ﴿وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافَّ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ كَذَلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (الحج: الآية ٣٦).

٤ - ويقول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ (البقرة: الآية ١٧٢).

٥ ـ ويقول تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِى لَشَدِيدٌ﴾ (إبراهيم: الآية ٧).

٦ ـ ويقول تعالى: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ (الزمر: الآية ٩).

٧ ـ ويقول تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ • وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ • وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ • وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ • أُولَئِكَ يُسَارِعُونَ فِى الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ﴾ (المؤمنون: الآيات ٥٧، ٦١).

٨ ـ ويقول تعالى: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ • وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ (الحجر: الآيتان ٩٨ ـ ٩٩).

٩ ـ ويقول تعالى: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَأُحِلَّتْ لَكُمُ الْأَنْعَامُ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ • حُنَفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ الرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ • ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ (الحج: الآيات ٣٠ ـ ٣٢).

١٠ ـ ويقول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ • وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ (الأنفال: الآيتان ٢٠، ٢١).

الأدلة من السنة:

١ ـ عَنِ ابْنِ شَمَاسَةَ الْمَهْرِىِّ قَالَ حَضَرْنَا عَمْرَو ابْنَ الْعَاصِ رضي الله عنه وَهُوَ فِى سِيَاقَةِ الْمَوْتِ فَبَكَى طَوِيلاً وَحَوَّلَ وَجْهَهُ إِلَى الْجِدَارِ فَجَعَلَ ابْنُهُ يَقُولُ: يَا أَبَتَاهُ أَمَا بَشَّرَكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِكَذَا أَمَا بَشَّرَكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِكَذَا قَالَ فَأَقْبَلَ بِوَجْهِهِ فَقَالَ: إِنَّ أَفْضَلَ مَا نُعِدُّ شَهَادَةُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، إِنِّى قَدْ كُنْتُ عَلَى أَطْبَاقٍ ثَلاَثٍ لَقَدْ رَأَيْتُنِى وَمَا أَحَدٌ أَشَدَّ بُغْضًا لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنِّى وَلاَ أَحَبَّ إِلَىَّ أَنْ أَكُونَ قَدِ اسْتَمْكَنْتُ مِنْهُ فَقَتَلْتُهُ فَلَوْ مُتُّ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ لَكُنْتُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، فَلَمَّا جَعَلَ اللَّهُ الإِسْلاَمَ فِى قَلْبِى أَتَيْتُ النَّبِىَّ ﷺ فَقُلْتُ ابْسُطْ يَمِينَكَ فَلأُبَايِعْكَ. فَبَسَطَ يَمِينَهُ، قَالَ: فَقَبَضْتُ يَدِى. قَالَ «**مَا لَكَ يَا عَمْرُو**؟». قَالَ: قُلْتُ أَرَدْتُ أَنْ أَشْتَرِطَ، قَالَ: «**تَشْتَرِطُ بِمَاذَا؟**» قُلْتُ أَنْ يُغْفَرَ لِى. قَالَ: «**أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ الإِسْلاَمَ يَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهُ، وَأَنَّ الْهِجْرَةَ تَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهَا، وَأَنَّ الْحَجَّ يَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهُ**» (صحيح مسلم).

الحج فريضة عظيمة من أداها وتحمل مشقتها وجد لذتها فى قلبه وانعكس أثرها فى حياته

٢ ـ وَعَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَخَذَ بِيَدِهِ وَقَالَ: «**يَا مُعَاذُ وَاللَّهِ إِنِّى لَأُحِبُّكَ وَاللَّهِ إِنِّى لَأُحِبُّكَ**» فَقَالَ: «**أُوصِيكَ يَا مُعَاذُ لَا تَدَعَنَّ فِى دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ تَقُولُ: اللَّهُمَّ أَعِنِّى عَلَى ذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ**» (سنن أبى داود).

٣ ـ وَعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**مَنْ حَجَّ هَذَا الْبَيْتَ فَلَمْ يَرْفُثْ وَلَمْ يَفْسُقْ رَجَعَ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ**» (متفق عليه).

٤ ـ وَعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «**الْعُمْرَةُ إِلَى الْعُمْرَةِ كَفَّارَةٌ لِمَا بَيْنَهُمَا وَالْحَجُّ الْمَبْرُورُ لَيْسَ لَهُ جَزَاءٌ إِلاَّ الْجَنَّةُ**» (متفق عليه).

٥ ـ وَعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ سُئِلَ أَىُّ الْعَمَلِ أَفْضَلُ؟ فَقَالَ: «**إِيمَانٌ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ**»، قِيلَ ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ: «**الْجِهَادُ فِى سَبِيلِ اللَّهِ**»، قِيلَ ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ: «**حَجٌّ مَبْرُورٌ**» (صحيح البخارى).

٦ ـ وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ (رضى الله عنهما) عَنِ النَّبِىِّ ﷺ قَالَ: «**الْغَازِى فِى سَبِيلِ اللَّهِ وَالْحَاجُّ وَالْمُعْتَمِرُ وَفْدُ اللَّهِ، دَعَاهُمْ فَأَجَابُوهُ، وَسَأَلُوهُ فَأَعْطَاهُمْ**» (سنن ابن ماجة).

٧ ـ وعن على رضي الله عنه قال: كونوا لقبول العمل أشد اهتماما منكم بالعمل ألم تسمعوا الله عز و جل

يقول: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ (لطائف المعارف لابن رجب.)

٨ ـ قيل للحسن البصرى (رحمه الله): «الحج المبرور جزاؤه الجنة؟ قال: آية ذلك: أن يرجع زاهدا فى الدنيا راغبا فى الآخرة. و قيل له: جزاء الحج المغفرة ؟ قال: آية ذلك : أن يدع سىء ما كان عليه من العمل، ذلك الحج المبرور» (لطائف المعارف).

ثالثًا: الموضوع

إن أى عبادة سواء أكانت حجًا أم صلاة، أم زكاة هى فى الواقع نعمة تستحق الشكر، يامن نلتم من الرحمات وارتدتم أرض الحرمين المباركات، طبتم وطاب ممشاكم وتبوأتم من الجنة منزلاً، وهنيئًا لمن عظَّم الشعائر واستنارت بسعيه وطوافه البصائر، يا من وقف على عرفات فتجددت معالم الإيمان فى قلبه حين عاين صورة ما أشبهها بيوم الحشر، يا من رمى الجمرات وهزم إبليس اللعين ومعها هزم وساوس النفس فقويت روحه واشتدت عزيمته، يامن ارتاد أرض الأنبياء وتذكر تاريخ الصالحين والأتقياء، إنها رحلة عظيمة ومنة كريمة من الله العلى القدير، أن يُتمَّ الله عليك نعمته وتؤدى فريضة الحج قبل فوات العمر لهى نعمة كبرى تستوجب شكر المنعم جل وعلا على تمام هذه النعمة وأداء هذه الفريضة التى لن يكتمل ثوابها ويَعْظُم خيرها إلا بشكر الله جل وعلا القائل: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ (البقرة: الآية ١٥٢)، وشكر الله عز وجل على أداء الطاعة بأن يظهر أثر النعمة على اللسان ثناء واعترافًا بفضل الله تعالى وتوفيقه وإحسانه وإسباغ نعمه، وذلك بكثرة ذكره والثناء عليه سبحانه، وأن يظهر أثر النعمة على القلب شهودا ومحبة للمنعم جل جلاله، فلابد وأن يتعلق القلب بحب الله تعالى الذى منَّ فأفضل وأعطى فأجزل، ووفق لأداء هذه الفريضة وأعان عليها، وأن يظهر أثر النعمة على الجوارح طاعة لله سبحانه وانقيادًا لأوامره واجتنابًا لنواهيه، هذا الشكر على الطاعة يُثْمِر خيرًا وبركة فى النفس والعمل ويجعله مقبولاً ومأجورًا قال تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ (إبراهيم: الآية ٧)، فشكر النعمة يزيدها و يُثَمِّرها، وكفر النعمة وجحدها يُنَقِّصهَا ويمحوها.

وإن النبى ﷺ وجه صحابته الكرام (رضوان الله عليهم) إذا فرغوا من العبادة أن يلتزموا شكر الله على الطاعة، فعَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَخَذَ بِيَدِهِ يَوْمًا ثُمَّ قَالَ: «يَا مُعَاذُ إِنِّى لأُحِبُّكَ»، فَقَالَ لَهُ مُعَاذٌ: بِأَبِى أَنْتَ وَأُمِّى يَا رَسُولَ اللهِ وَأَنَا أُحِبُّكَ، قَالَ: «يَا مُعَاذُ وَاللهِ إِنِّى لأُحِبُّكَ وَاللهِ إِنِّى لأُحِبُّكَ» فَقَالَ: «أُوصِيكَ يَا مُعَاذُ لاَ تَدَعَنَّ فِى دُبُرِ كُلِّ صَلاَةٍ تَقُولُ: اللَّهُمَّ أَعِنِّى عَلَى ذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ».

ولقد تكرر فى القرآن الكريم ختم آيات الشرائع والأحكام بذكر الله تعالى وشكره عليها، ففى آيات الصيام مثلاً: ﴿...وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (البقرة: الآية ١٨٥)، وفى آيات الحج: ﴿...وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الضَّالِّينَ﴾ (البقرة: الآية ١٩٨)، فينبغى على من منّ الله عليه بالتوفيق لأداء هذه الفريضة أن يشكر الله تعالى مكثرًا من ذكره متمثلًا قوله سبحانه: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ

فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ

وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ

آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا فَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِى الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِى الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ • وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِى الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ • أُولَئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ (البقرة: الآيات ٢٠٠ - ٢٠٢).

إن الحج فريضة عظيمة القدر كثيرة الثواب فمن أداها وتحمل مشقتها وجد لذتها فى قلبه وانعكس أثرها فى حياته تواضعا لله تعالى وتذللاً له فلا يداخل نفسه كبر ولا ينازع طاعته عُجب، فما من طاعة يؤديها المؤمن بإخلاص وصدق نية إلا وتدفع به إلى طاعة أخرى وعبادة أسمى، فلا يزال يرتقى من عبادة إلى عبادة ومن طاعة إلى طاعة حتى يبلغ درجة الإحسان وإن هذا من علامات قبول الطاعة، كما أن المؤمن لا يُعجب بعمله، ولا يغتر بكثرته إذْ لا ندرى مَنْ المقبول عمله فنهنئه ومَن المردود عمله فنُعزيه، ولقد بين الله تعالى من صفات المؤمن عدم إعجابه بعمله ووقوفه بين مقام الخوف والرجاء، الخوف من عدم قبول العمل، والرجاء والطمع فى قبوله ونيل ثوابه قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ • وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ • وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ • وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ • أُولَئِكَ يُسَارِعُونَ فِى الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ﴾ (المؤمنون: الآيات ٥٧ ـ ٦١)، وقيل للحسن البصرى (رحمه الله) : «الحج المبرور جزاؤه الجنة؟ قال: آية ذلك: أن يرجع زاهدا فى الدنيا راغبا فى الآخرة. و قيل له: جزاء الحج المغفرة؟ قال: آية ذلك: أن يدع سىء ما كان عليه من العمل»، وعن على رضي الله عنه قال: كونوا لقبول العمل أشد اهتماما منكم بالعمل ألم تسمعوا قول الله عز و جل: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾، فالمؤمن لا يهتم بكثرة العبادات وكثرة النوافل بقدر ما يهتم بقبول العمل من عدمه، وبقدر ما ينعكس على حياته من هذه العبادات .

ولقد ربى الله تعالى نبيه ﷺ على السعى والاجتهاد فى الطاعة فلا يستصغر عملا فيتركه ولا يستكثر عملا فيعجبه قال تعالى: ﴿وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ • وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ﴾ (المدثر: الآيتان ٦، ٧)، ولقد أخبر النبى ﷺ بأن العُجب من المهلكات ومحبطات الأعمال، فعَنِ ابْنِ عَبَّاس (رضى الله عنهما) قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «الْمُهْلِكَاتُ ثَلَاثٌ: إِعْجَابُ الْمَرْءِ بِنَفْسِهِ، وَشُحٌّ مُطَاعٌ، وَهَوًى مُتَّبَعٌ» (مسند البزار). وإذا كان المؤمن قد وفقه الله تعالى وأدى فريضة الحج فليس ذلك نهاية الطاعات، بل إن لديه الكثير من الأعمال الصالحة التى تعدل ثواب الحج والعمرة وسائر العبادات كالسعى فى مصالح العباد وكالنوافل من الصلاة والصيام وكفالة الأيتام وعيادة المرضى وغير ذلك مما يرفع قدره ويعلى منزلته عند الله تعالى فعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ

اللَّهَ قَالَ: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ: كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ» (صحيح البخاري).

فعلى المؤمن أن يجتهد فى الطاعة ويداوم على صالح الأعمال ويرجو من الله تعالى القبول،ولقد كان حال السلف الصالح (رضى الله عنهم) بعد أداء العمل خوفًا وإشفاقًا ووجلا، وقد وصف الله تعالى حالهم بقوله: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ • أُولَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ﴾ (المؤمنون: الآيتان ٦٠، ٦١)، يقول ابن كثير (رحمه الله): «..أَيْ هُمْ مَعَ إِحْسَانِهِمْ وَإِيمَانِهِمْ وَعَمَلِهِمُ الصَّالِحِ، مُشْفِقُونَ مِنَ اللَّهِ خَائِفُونَ مِنْهُ، وَجِلُونَ مِنْ مَكْرِهِ بِهِمْ، كَمَا قَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ: إِنَّ الْمُؤْمِنَ جَمَعَ إِحْسَانًا وَشَفَقَةً، وَإِنَّ الْمُنَافِقَ جَمَعَ إِسَاءَةً وَأَمْنًا... وَقَوْلُهُ: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ﴾. أَيْ يُعْطُونَ الْعَطَاءَ وهم خائفون وجلون ألا يُتَقَبَّلَ مِنْهُمْ، لِخَوْفِهِمْ أَنْ يَكُونُوا قَدْ قَصَّرُوا فِي الْقِيَامِ بِشُرُوطِ الْإِعْطَاءِ، وَهَذَا مِنْ بَابِ الإشفاق والاحتياط، كما روى الإمام أحمد عَنْ عَائِشَةَ أَنَّهَا قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ هُوَ الَّذِي يَسْرِقُ وَيَزْنِي وَيَشْرَبُ الْخَمْرَ وَهُوَ يَخَافُ اللَّهَ عَزَّ وجلَّ؟ قال: «لَا بِنْتَ أَبِي بَكْرٍ، يَا بِنْتَ الصِّدِّيقِ! وَلَكِنَّهُ الَّذِي يُصَلِّي وَيَصُومُ وَيَتَصَدَّقُ وَهُوَ يَخَافُ اللَّهَ عزَّ وجلّ» (تفسير ابن كثير).

لقد عاد الحاج من حجه مغفورًا ذنبه إن شاء الله مأجورًا على عمله مشكورًا على سعيه، فليحذر ممن يترصد له ليفسد حجه، فليخالف النفس والشيطان وليعصهما، ولنفتح جميعا صفحة جديدة مع الله تعالى، صفحة يملؤها حب الله وحب الناس وحب الكون والحياة، ولنحاسب أنفسنا على أعمالنا صغيرة أو كبيرة، فلا تحقرن صغيرة إن الجبال من الحصى، ولا تستعظمن كبيرة فإن عفو الله أعظم، ولا نُسَوِّفُ فى الأعمال الصالحة فنقول: سأفعل سأتوب سأعود. بل بادروا بالأعمال الصالحة وأكثروا من الاستغفار فقد رجعتم من جهاد لا شوكة فيه إلى جهاد أعظم وعمل متواصل إنه جهاد النفس والشيطان.

فأنت أيها الحاج انتهيت بفضل الله تعالى من فريضة يُكفر الله تعالى بها الذنوب ورجعت مطهرا من كل إثم كما قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ حَجَّ هَذَا الْبَيْتَ فَلَمْ يَرْفُثْ وَلَمْ يَفْسُقْ رَجَعَ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ»، فلعلك ممن شملهم الله تعالى بالمغفرة، فلا تدنس صفحة طهرها الله لك، ولا تسود قلبًا بيضه الله لك بالمغفرة، جاءت الفرصة فلا تضيعها.

لقد رأينا فى الحج كيف يكون الامتثال لأمر الله تعالى والانقياد لحكمه، رأينا ذلك فى الطواف ببيت الله الحرام وفى تقبيل الحجر الأسعد وفى رمى الجمرات وفى السعى بين الصفا والمروة، فلا يزاحم الحاج الناس ولا يفسق ولا يرفث ويعظم شعائر الله تعالى، والحاج بعد عودته لا بد أن يستصحب هذه المعانى فى حياته وسلوكياته، فيقف على أوامر الله طاعة وينقاد لحكمه، يأتمر بأمر الله وينتهى عند نواهيه، يخالق الناس بخلق حسن ويعاملهم معاملة صالحة، يحلم مع الجاهل ويتورع عن الحرام، ويسعى فى مصالح العباد والبلاد، إن الحج ليس لقبًا يمنح للحاج وإنما هو امتثال لأوامر الله تعالى يدور معها حيث دارت بحثا عن مرضاة الله والفوز بثوابه، إذ السعادة فى الدارين تنبنى على حسن الامتثال لأمر الله تعالى وطاعة رسوله ﷺ قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ (الأحزاب: ٧١)، والشقاء والتعاسة تنبنى على مخالفة أوامر الله تعالى ورسوله ﷺ قال تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (النور: الآية ٦٣).

حقـــوق الجـــار

الجمعة ٢٣ من ذى الحجة ١٤٣٥هـ - ١٧ من أكتوبر ٢٠١٤م

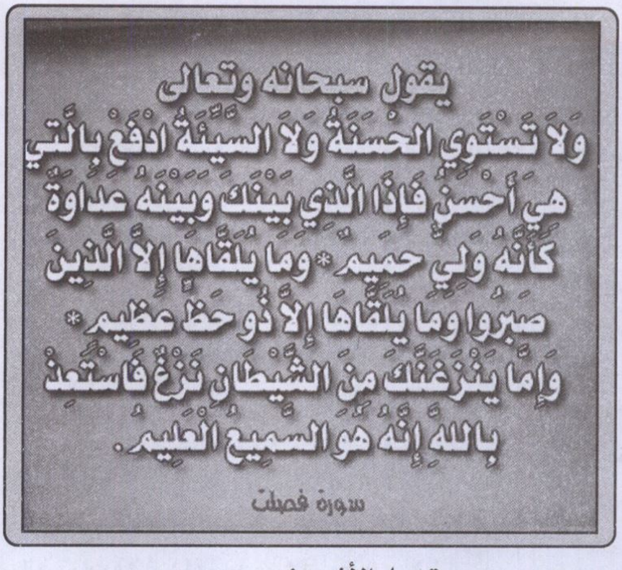

أولاً- العناصر:

١ ـ مكانة الجار فى الإسلام .

٢ ـ من حقوق الجار:

ـ الإحسان إليه .

ـ كف الأذى عنه .

ـ تحمل الأذى منه.

٣ ـ أنواع الجيران .

٤ ـ أثر مراعاة حقوق الجار فى إصلاح العلاقات بين أفراد المجتمع.

ثانياً ـ الأدلة:

الأدلة من القرآن:

١ ـ يقول الله تعالى: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلاَ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِى الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِى الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالاً فَخُورًا﴾ (النساء: الآية ٣٦).

٢ ـ ويقول تعالى: ﴿وَلاَ تَسْتَوِى الْحَسَنَةُ وَلاَ السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِىٌّ حَمِيمٌ﴾ (فصلت: الآية ٣٤).

٣ ـ ويقول تعالى: ﴿وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الأُمُورِ﴾ (الشورى: الآية ٤٣).

٤ ـ ويقول تعالى: ﴿لاَ يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِى الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ (الممتحنة: الآية ٨).

٥ ـ ويقول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (الحجرات: الآية ١٣).

الأدلة من السنة والآثار:

١ ـ عَنْ أَبِى شُرَيْحٍ الْخُزَاعِىِّ ﷺ أَنَّ النَّبِىَّ ﷺ قَالَ: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيُحْسِنْ إِلَى جَارِهِ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَسْكُتْ» (صحيح مسلم).

٢ ـ وعَنْ أَبِى شُرَيْحٍ الْعَدَوِىِّ ﷺ قَالَ: سَمِعَتْ أُذُنَاىَ، وَأَبْصَرَتْ عَيْنَاىَ، حِينَ تَكَلَّمَ النَّبِىُّ ﷺ فَقَالَ: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ جَارَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ جَائِزَتَهُ»، قَالَ: وَمَا جَائِزَتُهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «يَوْمٌ وَلَيْلَةٌ وَالضِّيَافَةُ ثَلاَثَةُ أَيَّامٍ فَمَا كَانَ وَرَاءَ ذَلِكَ فَهُوَ صَدَقَةٌ عَلَيْهِ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ» (متفق عليه).

٣ ـ وعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ كَانَ

يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلاَ يُؤْذِ جَارَهُ» (صحيح البخارى).

٤ ـ وعَنْ أَبى شُرَيْحٍ ﷺ أَنَّ النَّبِىَّ ﷺ قَالَ: «وَاللَّهِ لاَ يُؤْمِنُ، وَاللَّهِ لاَ يُؤْمِنُ، وَاللَّهِ لاَ يُؤْمِنُ»، قِيلَ وَمَنْ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «الَّذِى لاَ يَأْمَنُ جَارُهُ بَوَائِقَهُ»، قِيلَ: وَمَا بَوَائِقُهُ؟ قَالَ: «شَرُّهُ» (صحيح البخارى ومسند أحمد).

٥ ـ وعن عَائِشَةَ (رضى الله عنها) قَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «مَا زَالَ جِبْرِيلُ يُوصِينِى بِالْجَارِ حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ سَيُوَرِّثُهُ» (متفق عليه).

٦ ـ وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو (رضى الله عنهما) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «خَيْرُ الأَصْحَابِ عِنْدَ اللَّهِ خَيْرُهُمْ لِصَاحِبِهِ، وَخَيْرُ الْجِيرَانِ عِنْدَ اللَّهِ خَيْرُهُمْ لِجَارِهِ» (سنن الترمذى).

٧ ـ وعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَقُولُ: «يَا نِسَاءَ الْمُسْلِمَاتِ لاَ تَحْقِرَنَّ جَارَةٌ لِجَارَتِهَا وَلَوْ فِرْسِنَ شَاةٍ» (متفق عليه).

٨ ـ وعن أبى هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قِيلَ لِلنَّبِىِّ ﷺ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ فُلاَنَةَ تَقُومُ اللَّيْلَ وَتَصُومُ النَّهَارَ، وَتَفْعَلُ، وَتَصَّدَّقُ، وَتُؤْذِى جِيرَانَهَا بِلِسَانِهَا؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لاَ خَيْرَ فِيهَا، هِىَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ»، قَالُوا: وَفُلاَنَةُ تُصَلِّى الْمَكْتُوبَةَ، وَتَصَّدَّقُ بِأَثْوَارٍ، وَلاَ تُؤْذِى أَحَدًا؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «هِىَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ» (الأدب المفرد للبخارى).

٩ ـ وعن الْمِقْدَادِ بْنِ الأَسْوَدِ ﷺ قال: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لأَصْحَابِهِ: «مَا تَقُولُونَ فِى الزِّنَا؟» قَالُوا: حَرَّمَهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ، فَهُوَ حَرَامٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لأَصْحَابِهِ: «لأَنْ يَزْنِىَ الرَّجُلُ بِعَشْرَةِ نِسْوَةٍ، أَيْسَرُ عَلَيْهِ مِنْ أَنْ يَزْنِىَ بِامْرَأَةِ جَارِهِ»، قَالَ: فَقَالَ: «مَا تَقُولُونَ فِى السَّرِقَةِ؟» قَالُوا: حَرَّمَهَا اللهُ وَرَسُولُهُ فَهِىَ حَرَامٌ، قَالَ: «لأَنْ يَسْرِقَ الرَّجُلُ مِنْ عَشْرَةِ أَبْيَاتٍ، أَيْسَرُ عَلَيْهِ مِنْ أَنْ يَسْرِقَ مِنْ جَارِهِ» (مسند أحمد).

١٠ ـ وعَنْ أَبى ذَرٍّ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يَا أَبَا ذَرٍّ إِذَا طَبَخْتَ مَرَقَةً، فَأَكْثِرْ مَاءَهَا، وَتَعَاهَدْ جِيرَانَكَ» (صحيح مسلم).

١١ ـ وعَنْ عَائِشَةَ (رَضِىَ اللَّهُ عَنْهَا) قالت: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ لِى جَارَيْنِ فَإِلَى أَيِّهِمَا أُهْدِى؟ قَالَ: «إِلَى أَقْرَبِهِمَا مِنْكِ بَابًا» (صحيح البخارى).

١٢ ـ وعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «لاَ يَمْنَعْ أَحَدُكُمْ جَارَهُ أَنْ يَغْرِزَ خَشَبَةً فِى جِدَارِهِ» (متفق عليه).

١٣ـ وجاء رجل إلى ابن مسعود ﷺ فقال له: إن لى جارًا يؤذينى ويشتمنى ويضيق علىّ، فقال: اذهب فإن هو عصى الله فيك فأطع الله فيه. (إحياء علوم الدين).

١٤ ـ وعن الحَسَن البصرى (رحمه الله) قال: لَيْسَ حُسْنُ الجُوَارِ كَفَّ الأَذَى، وَلَكِنَّ حُسْنَ الْجُوَارِ احْتِمَالُ الأَذَى. (إحياء علوم الدين).

١٥ ـ وعن الحسن البصرى (رحمه الله) أنه: «كان لا يرى بأسًا أن تطعم جارك اليهودى والنصرانى من أضحيتك» (مكارم الأخلاق للخرائطى).

> **جعل النبى ﷺ الإيمان مشروطًا بالإحسان إلى الجار وكذلك حسن معاملته وإكرامه**

ثالثًا ـ الموضوع:

يحرص الإسلام على دعم أواصر المحبة بين أفراد المجتمع مما يمنحه قوة وتماسكًا، ومما يشيع روح التعاون بين الناس ويزيد المجتمع ثباتًا واستقرارًا مراعاةُ حقوقِ الجار التى أعلى الإسلام شأنها واهتم بها أيّما اهتمام، بل جعلها من علامات الإيمان، فقد جعل النبى ﷺ الإيمانَ مشروطًا بالإحسان إلى الجار، فعَنْ أَبِى شُرَيْحٍ الْخُزَاعِىِّ ﷺ أَنَّ النَّبِىَّ ﷺ قَالَ: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيُحْسِنْ إِلَى جَارِهِ»، كما جعل حسنَ معاملة الجار وإكرامه من الإيمان أيضًا، فعَنْ أَبِى شُرَيْحٍ الْعَدَوِىِّ ﷺ قَالَ: سَمِعَتْ أُذُنَاىَ، وَأَبْصَرَتْ عَيْنَاىَ، حِينَ تَكَلَّمَ النَّبِىُّ ﷺ فَقَالَ: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ جَارَهُ»، ولقد أوصى الله عز وجل فى كتابه الكريم بالجار وأمر بالإحسان إليه فقال تعالى: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلاَ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا

﴿وَبِذِى الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِى الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾ (النساء: الآية ٣٦)، ولهذا كان كثيرًا ما ينزل الوحى على النبى ﷺ يوصى بالجار حتى ظنَّ النبى ﷺ أن الله عز وجل سيشرع ميراثًا بين الجيران من شدة الوصية بهم، فعن عَائِشَةَ (رضى الله عنها) قَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «**مَا زَالَ جِبْرِيلُ يُوصِينِى بِالْجَارِ حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ سَيُوَرِّثُهُ**».

إنها وصية عُلْوِيَّةٌ يريد الله عز وجل أن يُطَهِّرَ بها المجتمع المسلم من الأحقاد والعداوات والمشاحنات ليسوده الود الوئام والتعاون والتكاتف، هذه شيمة المجتمع المسلم، فهذا جعفر بن أبى طالب رضي الله عنه يشرح للنجاشى طبيعة رسالة الإسلام ويُبيِّنُ له أهم ملامح هذا الدين حين طلب منه مبعوثا أهل مكة: عبد الله بن أبى ربيعة وعمرو بن العاص أن يَرُدَّ مهاجرى الحبشة إلى بلادهم، فطلب النجاشى من المسلمين أن يحدثوه عن هذا الدين الذى خالفوا به قومهم، فتكلم جعفر رضي الله عنه فقال: «أَيُّهَا الْمَلِكُ كُنَّا قَوْمًا أَهْلَ جَاهِلِيَّةٍ نَعْبُدُ الأَصْنَامَ، وَنَأْكُلُ الْمَيْتَةَ وَنَأْتِى الْفَوَاحِشَ، وَنَقْطَعُ الأَرْحَامَ، وَنُسِيءُ الْجِوَارَ، يَأْكُلُ الْقَوِىُّ مِنَّا الضَّعِيفَ، فَكُنَّا عَلَى ذَلِكَ حَتَّى بَعَثَ اللَّهُ إِلَيْنَا رَسُولاً مِنَّا نَعْرِفُ نَسَبَهُ، وَصِدْقَهُ، وَأَمَانَتَهُ، وَعَفَافَهُ، فَدَعَانَا إِلَى الله لِنُوَحِّدَهُ، وَنَعْبُدَهُ، وَنَخْلَعَ مَا كُنَّا نَعْبُدُ نَحْنُ وَآبَاؤُنَا مِنْ دُونِهِ مِنَ الْحِجَارَةِ وَالأَوْثَانِ، وَأَمَرَنَا بِصِدْقِ الْحَدِيثِ، وَأَدَاءِ الأَمَانَةِ، وَصِلَةِ الرَّحِمِ، وَحُسْنِ الْجِوَارِ، وَالْكَفِّ عَنِ الْمَحَارِمِ، وَالدِّمَاءِ، وَنَهَانَا عَنِ الْفَوَاحِشِ، وَقَوْلِ الزُّورِ... » (مسند الإمام أحمد)، بهذه المبادئ العظيمة تحول المجتمع من الجاهلية إلى الإسلام، من الهجر والتقاطع وسوء الجوار والعداوة إلى البر والصلة وحسن الجوار والتكاتف والتآزر.

إن الجار فى نَظَرِ الإسلام مُعين، وناصر، وحارِس، وأمين، يُطْعِمُكَ إذا جُعْتَ، ويُشارك فى الأفراح والمناسبات الطيبة، ويُواسى ويُعزِّى فى المصائب والأتراح، ويُرْشِد، وينصَح، ويتعاوَن معك على البِرِّ والتقوى، ويعودُك إذا مرِضْتَ، ويزورُك زيارة الأخوَّة الخالصَة يحفَظُك فى أهلك وولدك، ولا يخونك فى مالٍ ولا أهلٍ.

ـ قال الإمام الغزالى رحمه الله: «وجملة حق الجار: أن يبدأه بالسلام، ولا يطيل معه الكلام، ولا يكثر عن حاله السؤال، ويعوده فى المرض ويعزيه فى المصيبة، ويقوم معه فى العزاء، ويهنئه فى الفرح، ويظهر الشركة فى السرور معه، ويصفح عن زلاته، ولا يتطلع من السطح إلى عوراته، ولا يضايقه فى وضع الجذع على جداره، ولا فى مصب الماء فى ميزابه، ولا فى مطرح التراب فى فنائه، ولا يضيق طرقه إلى الدار، ولا يتبعه النظر فيما يحمله إلى داره، ويستر ما ينكشف له من عوراته، وينعشه من صرعته إذا نابته نائبة، ولا يغفل عن ملاحظة داره عند غيبته، ولا يسمع عليه كلامًا، ويغض بصره عن حرمته، ولا يديم النظر إلى خادمته، ويتلطف بولده فى كلمته، ويرشده إلى ما يجهله من أمر دينه ودنياه (إحياء علوم الدين).

ومن حقوق الجار تفقد حاله لا سيما الفقير وذو الحاجة، وهذا من الإيمان والمروءة، فعن ابْنِ عَبَّاسٍ (رضى الله عنهما) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**لَيْسَ الْمُؤْمِنُ الَّذِى يَشْبَعُ وَجَارُهُ جَائِعٌ إِلَى جَنْبِهِ**» (الأدب المفرد للبخارى)، فالإحسان إلى الجار يشمل كل وجوه الخير، فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ (رضى الله عنهما) عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «**خَيْرُ الأَصْحَابِ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى خَيْرُهُمْ لِصَاحِبِهِ، وَخَيْرُ الْجِيرَانِ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى خَيْرُهُمْ لِجَارِهِ**»، فالإحسان إلى الجار دليل على صدق الإيمان بالله تعالى، وعلى التخلق بمكارم الأخلاق وعلى كمال العقل ورجاحته.

ومن إكرامِ الجارِ والإحسان إليه: المُبادرةُ بتقديم هدية إليه قليلة كانت أو كثيرة، إذ إن الهدية فى ذاتها رسول يحمل الصلة والألفة، فعن أبى ذرٍّ رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**يا أبا ذر إذا طبخت مرقةً فأكثِر ماءَها وتعهَّد جيرانك**»، فللمعاملة الكريمة والهدايا الأثر الطيب فى تأليف القلوب وإشاعة المحبة والألفة بين الناس خاصة الجيران الأقربين، فعَنْ عَائِشَةَ (رَضِىَ اللَّهُ عَنْهَا) قالت: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ لِى جَارَيْنِ فَإِلَى أَيِّهِمَا أُهْدِى؟ قَالَ: «**إِلَى أَقْرَبِهِمَا مِنْكِ بَابًا**»، وعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنِ النَّبِىِّ ﷺ قَالَ: «**يَا نِسَاءَ الْمُسْلِمَاتِ، لاَ تَحْقِرَنَّ جَارَةٌ لِجَارَتِهَا، وَلَوْ فِرْسِنَ شَاةٍ**»، وقوله فرسن شاة: هو ما فوق الحافر وهو كالقدم للإنسان، والمقصود الحض على التصدق ولو بالقليل، يقول النووى (رحمه الله): «وهذا النهى عن

الاحتقار نهى للمُعطية المُهدية، ومعناه: لا تمتنع جارة من الصدقة والهدية لجارتها لاستقلالها - أى لظنها أنها قليلة - واحتقارها الموجودَ عندها بل تجود بما تيسر وإن كان قليلا كفرسن شاة وهو خير من العدم، وقد قال الله تعالى: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ (الزلزلة: الآية ٧) (شرح مسلم للنووى).

ومن حقوق الجار كف الأذى عنه، فهذا الحق من أعظم حقوق الجيران، وإلحاق الأذى بالآخرين وإن كان حرامًا بصفة عامة فإن حرمته تشتد إذا كان متوجهًا إلى الجار، لأن الأذية للجار أعظم من أذية غيره فعقابها مضاعف، فعن المِقْدَادِ بْنِ الأَسْوَدِ رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ لأَصْحَابِه: «مَا تَقُولُونَ فِى الزِّنَا؟» قَالُوا: حَرَّمَهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ، فَهُوَ حَرَامٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ لأَصْحَابِه: «لأَنْ يَزْنِىَ الرَّجُلُ بِعَشْرَةِ نِسْوَةٍ، أَيْسَرُ عَلَيْهِ مِنْ أَنْ يَزْنِىَ بِامْرَأَةِ جَارِه»، قَالَ: فَقَالَ: «مَا تَقُولُونَ فِى السَّرِقَةِ؟» قَالُوا: حَرَّمَهَا اللهُ وَرَسُولُهُ فَهِىَ حَرَامٌ، قَالَ: «لأَنْ يَسْرِقَ الرَّجُلُ مِنْ عَشْرَةِ أَبْيَاتٍ، أَيْسَرُ عَلَيْهِ مِنْ أَنْ يَسْرِقَ مِنْ جَارِه» (مسند أحمد)، فليس معنى هذا يسر الزنا بغير حليلة الجار وإنما عظم الجرم فى الحالتين وفى حق الجار أعظم وأشد، لأن الاعتداء هنا اعتداءان: اعتداء على الأعراض، واعتداء على حقوق الجار، وقد حذر النبى ﷺ من أذية الجار أشد التحذير لدرجة أنه أقسم على انتفاء الإيمان عمن لا يأمنُ جارهُ شرَّه، فعَنْ أَبِى شُرَيْحٍ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِىَّ ﷺ قَالَ: «وَاللَّهِ لاَ يُؤْمِنُ، وَاللَّهِ لاَ يُؤْمِنُ، وَاللَّهِ لاَ يُؤْمِنُ»، قِيلَ وَمَنْ يَا رَسُولَ الله؟ قَالَ: «الَّذِى لاَ يَأْمَنُ جَارُهُ بَوَائِقَهُ»، قيل: وَمَا بوائقُهُ؟ قَالَ: «شَرُّهُ»، فهذا الجار الذى لا يراعى للجوار حقًا ولا حرمة، يعيش جارُهُ فى خوف وقلق بسببه، يتوقع منه الضرر ولا يأمن على نفسه وماله وعرضه، إنه جار لم يعرف الإيمانُ إلى قلبه سبيلاً، وقد جعل النبى ﷺ أذى الجار سببًا فى عدم دخول الجنة أيضًا، فعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «لاَ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ لاَ يَأْمَنُ جَارُهُ بَوَائِقَهُ».

فأذى الجار أو انتقاصه حقًا من حقوقه يَحرم الإنسان من دخول الجنة وإن كثرت حسناته، إذ إن سوء الجوار محبط للعمل، فلا ينفع معه صلاة ولا صيام ولا صدقة، فعن أبى هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قِيلَ لِلنَّبِىِّ ﷺ: يَا رَسُولَ اللَّه، إِنَّ فُلاَنَةَ تَقُومُ اللَّيْلَ وَتَصُومُ النَّهَارَ، وَتَفْعَلُ، وَتَصَدَّقُ، وَتُؤْذِى جِيرَانَهَا بِلِسَانِهَا؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ: «لاَ خَيْرَ فِيهَا، هِىَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ»، قَالُوا: وَفُلاَنَةٌ تُصَلِّى الْمَكْتُوبَةَ، وَتَصَدَّقُ بِأَثْوَارٍ، وَلاَ تُؤْذِى أَحَدًا؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ: «هِىَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ» (الأدب المفرد للبخارى)، وجعل عدم إيذاء الجار علامة على الإيمان بالله واليوم الآخر، فعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنِ النَّبِىِّ ﷺ قَالَ: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلاَ يُؤْذِ جَارَهُ».

إن الإساءة إلى الجار أو انتقاصه حقًا من حقوقه يعد من أكبر الكبائر المفضية بصاحبها إلى النار والعياذ بالله، ويعد أيضا علامة على انتهاء الخير وفناء الدنيا، فعن عَبْدِ الله بْنِ عَمْرٍو (رضى الله عنهما) أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «وَالَّذِى نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لاَ تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُخَوَّنَ الأَمِينُ وَيُؤْتَمَنَ الْخَائِنُ، حَتَّى يَظْهَرَ الْفُحْشُ وَالتَّفَحُّشُ، وَقَطِيعَةُ الأَرْحَامِ، وَسُوءُ الْجِوَارِ» (مسند أحمد).

ومن حقوق الجار أيضًا تحمل الأذى منه، فكما قال الحسن رحمه الله: «لَيْسَ حُسْنُ الْجِوَارِ كَفَّ الأَذَى، وَلَكِنَّ حُسْنَ الْجِوَارِ احْتِمَالُ الأَذَى»، فَتَحَمُّلُ أذى الجار من شيم الكرام ذوى الأخلاق الكريمة والهمم العالية، إذ يستطيع كثيرٌ من الناس أن يكفّ أذاه عن الآخرين، لكن أن يتحمل أذاهم صابرًا محتسبًا فهذه درجة عالية: قال تعالى: ﴿وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الأُمُورِ﴾ (الشورى: الآية٤٣)، وقال الله تعالى: ﴿وَلاَ تَسْتَوِى الْحَسَنَةُ وَلاَ السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِىٌّ حَمِيمٌ﴾ (فصلت: الآية٣٤)، ولنا فى رسول الله ﷺ القدوة والمثل فقد آذاه أهله وجيرانه إبّان البعثة النبوية المباركة، فما زاده ذلك إلا حلمًا وعفوًا وما حدث منه ﷺ بعد فتح مكة لهو من أصدق الأمثلة الواقعية على تأكيد الإسلام على الإحسان والصفح.

على أننا نؤكد أن الإحسان إلى الجار عبادة بينك وبين الله تعالى، فلا تتعلل بسوء معاملته، فإن أجرك على الله تعالى، فقد رُوى أن رجلا جاء إلى ابن مسعود رضي الله عنه فقال له: إن لى جارًا يؤذينى ويشتمنى ويضيق علىّ؟ فقال: «اذهب فإن هو عصى الله فيك فأطع الله فيه» (إحياء علوم الدين)، ذلك لأن الإحسان

يغلب الإساءة والصلة تَجُبُّ القطيعة، وقد يكون للجوار بعضُ الأمور التى يكون فيها بعض تجاوز دون إلحاق ضرر فلا حرج فى ذلك، فالتعامل فيها يكون بالفضل، فعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «لاَ يَمْنَعْ أَحَدُكُمْ جَارَهُ أَنْ يَغْرِزَ خَشَبَةً فِى جِدَارِهِ» (متفق عليه).

وقد تحدث العلماء عن حدود الجوار الذى أمر الإسلام بمراعاته وجعل له حرمة، يقول القاضى عياض رحمه الله: «واختلف فى حد الجار، فجاء عن على رضي الله عنه: «من سمع النداء فهو جار» ، وقيل: من صلى معك صلاة الصبح في المسجد فهو جار، وعن عائشة (رضى الله عنها): (حدّ الجوار أربعون دارا من كل جانب» (إكمال المعلم شرح صحيح مسلم)، لكن كلما قَرُبَ الجار عَظُمَ حقه، يقول الحافظ ابن حجر رحمه الله: «واسم الجار يشمل المسلمَ والكافر والعابد والفاسق والصديق والعدو والغريب والبلدى والنافع والضار والقريب والأجنبى والأقرب دارًا والأبعد، وله مراتب بعضها أعلى من بعض، فأعلاها من اجتمعت فيه الصفات الأُول كلها ثم أكثرها وهلم جرا» (فتح البارى).

وفى الآية التى أمر الله تعالى فيها بالإحسان إلى الجار بيّن فيها أنواع الجيران الذين تجب لهم حقوق الجوار والإحسان فى المعاملة، يقول تعالى: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلاَ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِى الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِى الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾ (النساء: الآية ٣٦)، وقد جاء فى تفسير المنار: «الْجِوَارُ ضَرْبٌ مِنْ ضُرُوبِ الْقَرَابَةِ فَهِىَ قُرْبٌ بِالنَّسَبِ، وَهُوَ قُرْبٌ بِالْمَكَانِ وَالسَّكَنِ، وَقَدْ يَأْنَسُ الْإِنْسَانُ بِجَارِهِ الْقَرِيبِ مَا لاَ يَأْنَسُ بِنَسِيبِهِ الْبَعِيدِ، وَيَحْتَاجَانِ إِلَى التَّعَاوُنِ وَالتَّنَاصُرِ مَا لاَ يَحْتَاجُ الْأَنْسِبَاءُ الَّذِينَ تَنَاءَتْ دِيَارُهُمْ، فَإِذَا لَمْ يُحْسِنْ كُلٌّ مِنْهُمَا بِالْآخَرِ لَمْ يَكُنْ فِيهِمَا خَيْرٌ لِسَائِرِ النَّاسِ، وَقَدِ اخْتَلَفَ الْمُفَسِّرُونَ فِى الْجَارِ ذِى الْقُرْبَى، وَالْجَارِ الْجُنُبِ فَقَالَ بَعْضُهُمْ: الْأَوَّلُ هُوَ الْقَرِيبُ مِنْكَ بِالنَّسَبِ ، وَالثَّانِى هُوَ الْأَجْنَبِىُّ لاَ قَرَابَةَ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: الْأَوَّلُ الْأَقْرَبُ مِنْكَ دَارًا، وَالثَّانِى مَنْ كَانَ أَبْعَدَ مَزَارًا، وَقِيلَ: إِنَّ ذَا الْقُرْبَى مَنْ كَانَ قَرِيبًا مِنْكَ وَلَوْ بِالدِّينِ ، وَالْأَجْنَبِىَّ مَنْ لاَ يَجْمَعُكَ بِهِ دِينٌ وَلاَ نَسَبٌ...(وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ) رُوِىَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه فِيهِ قَوْلاَنِ: الرَّفِيقُ فِى السَّفَرِ، وَالْمُنْقَطِعُ إِلَيْكَ يَرْجُو نَفْعَكَ وَرِفْدَكَ، وَرَوَى عَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ عَنْ عَلِىٍّ كَرَّمَ اللهُ تَعَالَى وَجْهَهُ أَنَّهُ الْمَرْأَةُ، أَىْ: لأَنَّهَا هِىَ الَّتِى قَضَتِ الْفِطْرَةُ وَنِظَامُ الْمَعِيشَةِ أَنْ تَكُونَ بِجَنْبِ بَعْلِهَا.... وَقَالَ الْأُسْتَاذُ الْإِمَامُ أى الشيخ محمد عبده رحمه الله: هُوَ مَنْ صَاحَبْتَهُ وَعَرَفْتَهُ وَلَوْ وَقْتًا قَصِيرًا، وَهَذَا الْقَوْلُ أَعَمُّ وَأَشْمَلُ مِنْ قَوْلِ بَعْضِهِمْ: إِنَّهُ الرَّفِيقُ فِى أَمْرٍ حَسَنٍ كَتَعَلُّمٍ وَتَرَفٍ وَصِنَاعَةٍ وَسَفَرٍ، فَإِنَّهُ بَقَيْدٍ» وَلَوْ وَقْتًا قَصِيرًا». فالجيران ثلاثة، جار له ثلاثة حقوق وهو المسلم القريب: له حق الجوار، وحق القرابة، وحق الإسلام، وجار له حقان وهو المسلم غير القريب: له حق الجوار، وحق الإسلام، وجار له حق واحد وهو الجار غير المسلم: له حق الجوار، فيشمله ما أمر الله تعالى به من البر والإحسان إليه، سبحان الله! حتى من هو على غير ملة الإسلام يأمرنا ربنا سبحانه وتعالى أن نحسن جواره، فهل بعد هذا دليل على أهمية الجوار فى الإسلام؟!!

ولا شك أن لأداء حقوق الجار وحسن معاملته أثرًا بالغًا فى المجتمع وحياة الناس، فهو يزيد التراحم والتعاطف والتحابّ، وهو مصدر للتآلف والتوادّ والتعاون، فبه يحصل تبادل المنافع وقضاء المصالح والاستقرار والأمن، واطمئنان النفوس، وسلامة الصدور، فتطيب الحياة ويهنأ الناس بالعيش فيها، فلو أحسن كل جار إلى جاره لحقق الناس لأنفسهم ولمجتمعاتهم السعادة والأمن والاستقرار والتقدم ولعاشوا أسرة واحدة فتنصهر الفوارق وتذوب الطبقات وتنصرف الهمم إلى الإصلاح والبناء والسعى نحو الرقى والتقدم.

هذا، وليعلم كل واحد منا أن الجوار دائرته أوسع وأشمل، والتى على أساسها ينشأ التعارف والتآلف الذى قال عنه ربنا تبارك وتعالى: }يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ{ [الحجرات: ١٣[، ويصبح المجتمع جسدًا واحدًا متعاونًا فى الخير متضامنًا فى الشدة، بل ربما يتسع مفهوم الجوار فى الإسلام ليشمل القرى والمدن والدول وكل هؤلاء لهم حقوق وعليهم واجبات.

المقاصد التعبدية للأعياد الإسلامية

د. خالد محمد راتب

العيد عبادة وهو مشتق من العود لتكرره كل عام أو لعودة السرور بعوده أو لكثرة عوائد الله على عباده فيه، والأعياد المشروعة عند المسلمين ثلاثة، عيدان كبيران فى السنة، وهما عيد الفطر وعيد الأضحى، وعيد فى الأسبوع، وهو يوم الجمعة من كل أسبوع، فقد ورد عن رسول الله ﷺ فيما رواه أنس بن مالك أنه قال: «كان لأهل الجاهلية يومان فى كل سنة يلعبون فيهما فلما قدم النبى ﷺ المدينة قال: كان لكم يومان تلعبون فيهما، وقد أبدلكم الله بهما خيراً منهما يوم الفطر ويوم الأضحى»(١).

ويوم الجمعة كذلك يعد عيدا للمسلمين، حيث يتجهزون فيه بأفضل ما عندهم احتفاء واحتفالا بخير يوم طلعت عليه الشمس، من أجل ذلك نهى ﷺ عن إفراده بالصوم لما فيه من معنى العيد.

والأعياد فى الإسلام تأتى بعد طاعة واستجابة من العباد لربهم، فعيد الفطر يأتى بعد الصيام والقيام وقراءة القرآن والدعاء، وعيد الأضحى يأتى بعد أداء مناسك الحج حيث الإحرام والتلبية والطواف والسعى والوقوف بعرفة وغير ذلك من الأعمال، وبذلك يجمع ديننا بين الطاعة والفرحة، بين الدنيا والآخرة.

وأعياد المسلمين تختلف اختلافا كليا عن أعياد غيرهم، وكذلك العبادات فى الإسلام، فالعيد لا يعنى عند المسلمين الخروج عن نطاق العبودية والأدب مع الله بل إن المسلم يتأدب بآداب الشرع فى أفراحه وأحزانه، وفى كل أحواله، والعيد له مقاصد وحكم قد يغفلها كثير من الناس لذا ينبغى التنبيه على هذه المقاصد والحكم كى ينعم المسلم بفرحة العيد.

المقاصد التعبدية للعيد

١- إظهار سماحة الإسلام ورفع المشقة عن العباد ويسر الشريعة الإسلامية:

الدين الإسلامى دين السماحة واليسر يجمع بين متطلبات الروح والجسد، ويعطى النفس البشرية جانبا من الترويح؛ كى تتوازن حسنة الدنيا مع حسنة الآخرة، وكى يبتغى الإنسان فيما آتاه الله الدار الآخرة ولا ينسى نصيبه من الدنيا، ففى العيد نجد التوسعة والسعة فهى أيام ذكر وشكر وكذلك أيام أكل وشرب، عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ بعث عبد الله بن حذافة يطوف فى منى ألا تصوموا هذه الأيام فإنها أيام أكل وشرب وذكر لله عز وجل(٢).

والأعياد فى الإسلام كذلك فيها الفرح والمرح والفسحة بالضوابط الشرعية، فعن عائشة - رضى الله عنها - أنها قالت: «قال رسول الله ﷺ: «**لتعلم يهود أن فى ديننا فسحة إنى أرسلت بحنيفية سمحة**»(٣).

ومن يسر الشريعة تحريم الصيام فى أيام العيد، عن أبى هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ نهى عن **صيام يومين يوم الأضحى ويوم الفطر**»(٤).

وأجمع العلماء على أن صوم العيدين منهى عنه محرم فى التطوع والنذر المطلق والقضاء والكفارة(٥).

ومن يسر وسماحة الشريعة أيضا ترك مساحة من الوقت لمن لم يستطع الصوم فى رمضان أن يقضى فى بقية العام، قال تعالى: **﴿وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾** (سورة البقرة: الآية ١٨٥). ولكن ينبغى ألا يتهاون المسلم فى القضاء مادام مستطيعا.

٢- تحقيق العبودية:

إن العيد شعيرة إسلامية تتجلى فيه مظاهر العبودية لله، حيث التكبير **﴿وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ﴾** ثم تلبية النداء لصلاة العيد، والإسراع فى صيام الست من شوال، ليتم له صوم الدهر كله؛ وذلك لأن المسلم يعرف أن العبادة لا يقطعها زمان ولا مكان: **﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾** (سورة الحجر: الآية ٩٩).

٣- تحقيق الشكر لله:

إذا كان التكبير من أظهر شعائر العيد فإن الشكر نصف الدين، وهو حافظ النعم بل ومزيدها، قال تعالى: **﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾** (سورة إبراهيم: الآية ٧)، ولأهمية الشكر فى حياة المسلم حث عليه الإسلام بعد كل طاعة، وقد أوصى ﷺ أصحابه بذلك، عن معاذ بن جبل أن رسول الله ﷺ أخذ بيده وقال: «**يا معاذ والله إنى لأحبك والله إنى لأحبك**». فقال: «**أوصيك يا معاذ لا تدعن فى دبر كل صلاة تقول اللهم أعنى على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك**»(٦). وبعد أداء فريضة الصيام وفى أيام العيد حثنا الإسلام على الشكر قال تعالى: **﴿وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾** (سورة البقرة: الآية

١٨٥). لتكبروا الله على هدايته وتوفيقه للصيام والقيام، لنستشعر قيمة الهدى الذى يسره الله فكفت القلوب والجوارح عن المعاصى والذنوب. لنشكر الله على نعمة العبادة والطاعة يوم أن حرمها البعض من الناس.

٤- إدخال السرور والفرح على العباد:

بفضل الله وبرحمته يستقبل المسلمون أعيادهم: **﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾** (سورة يونس: الآية ٥٨)، وعن عائشة رضى الله عنها أنها قالت: «دخل أبو بكر وعندى جاريتان من جوارى الأنصار تغنيان بما تقاولت الأنصار يوم بعاث. قالت: وليستا بمغنيتين، فقال أبو بكر: «أمزامير الشيطان فى بيت رسول الله ﷺ (وذلك فى يوم عيد) فقال الرسول: «**يا أبا بكر إن لكل قوم عيداً وهذا عيدنا**»(٧).

حتى أصحاب الأعذار فتح لهم الإسلام باب الترويح عن النفس، عن أم عطية - رضى الله عنها - أن رسول الله ﷺ كان يخرج الأبكار والعواتق وذوات الخدور والحيض فى العيدين، فأما الحيض فيعتزلن المصلى ويشهدن دعوة المسلمين، قالت إحداهن: يا رسول الله إن لم يكن لها جلباب؟ فلتعرها أختها من جلابيبها»(٨).

٥- السعى إلى تصفية القلوب، وتزكيتها، وتقوية أواصر المحبة بين الناس والألفة باستخدام كل وسيلة مشروعة ومباحة، وذلك عن طريق:

(أ) الاجتماعات العائلية والأسرية والزيارات فيما بينهم، واصطحاب الأولاد فى ذلك؛ لأجل ربطهم

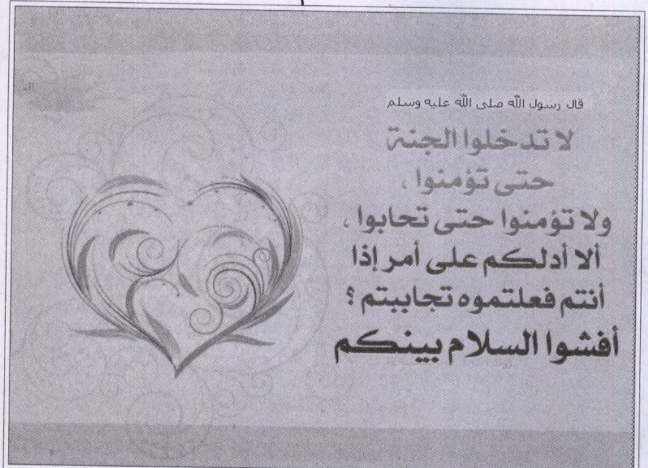

الدين الإسلامى دين سماحة يجمع بين متطلبات الروح والجسد ويعطى النفس البشرية جانبا من الترويح

بأقاربهم، والتعرف عليهم، وتفعيل العلاقات بين الأسر، والتواصل والتزاور بين الأقارب والجيران.

(ب) إخراج زكاة الفطر وتكليف الأبناء بتوزيعها على المحتاجين؛ ليتعودوا على حب الخير والسعى فى مصلحة العباد، وتعليمهم أحكام الإسلام عندما يعلمون أن إخراج زكاة الفطر واجبة على الغنى والفقير، والصغير والكبير.

(ج) السعى فى إزاحة الحزبية والطبقية بين أفراد المجتمع المسلم، وإشاعة الأخوة الإيمانية: **﴿وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾** (سورة الحجرات: الآية ١٣) للتعارف لا للتفاخر، للتقارب لا للتنابذ، للتآلف لا للتنابز.

(د) تفقد أحوال الفقراء والمساكين وزيارتهم وسد حاجتهم؛ لكى يشاركوا الناس فى أفراحهم.

(هـ) تبادل التهانى، فقد كان السلف - رحمهم الله - يفعلون ذلك، عن جبير بن نفير قال: «كان أصحاب النبى ﷺ إذا التقوا يوم العيد يقول بعضهم لبعض: تقبل الله منا ومنك»(٩).

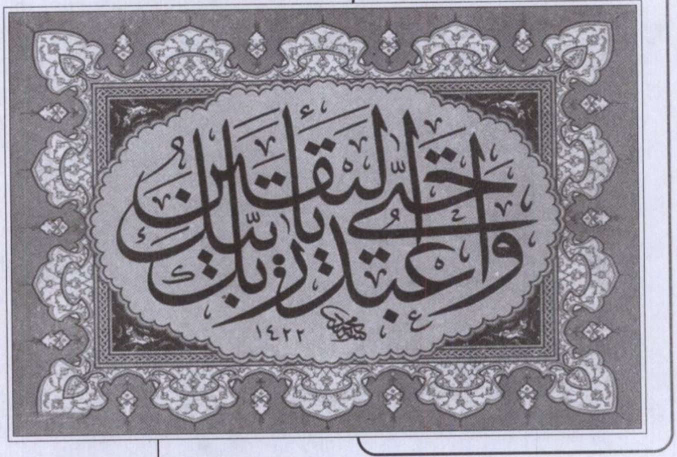

(و) إفشاء السلام: عن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا. أو لا أدلكم على شىء إذا فعلتموه تحاببتم أفشوا السلام بينكم**»(١٠).

الهدية تفعل الأعاجيب فى قلب ونفس المهدى إليه وتغرس المحبة بين الناس

(ز) الهدايا: الهدية تفعل الأعاجيب فى قلب ونفس المهدى إليه، وتغرس المحبة بين الناس، وهذا ما صرح به ﷺ: «**تهادوا تحابوا**»(١١).

(ح) زيارة المرضى فى المستشفيات والأيتام وتقديم الهدايا لهم، وإدخال السرور عليهم.

(ط) الإصلاح بين الناس فرصة للمتهاجرين للتواصل، عن النبى ﷺ قال: «**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليصل رحمه ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت**»(١٢).

إن العيد لابد أن تسوده الشفقة والرحمة، نريد من المتهاجرين صفحة جديدة، متناسين الأخطاء والمشكلات والزلات، والعثرات، ومن كان حاله كذلك؛ فلن يعدم الأجر الكثير والذكر الجميل، فهلموا إلى سلامة الصدر، وطهارة القلب، فإنها من أفضل الأخلاق.

هذا هو عيدنا عيد الفرحة والطاعة، عيد التآلف والتعاطف وصلة الأرحام والاعتصام بالمنهج المستقيم والحبل المتين، والوحدة بين المسلمين.

الهوامش:

(١) أخرجه النسائى وأحمد، قال الألبانى: صحيح.

(٢) سنن أبى داود، والنسائى، ومسند أحمد، وقال الألبانى: صحيح.

(٣) مسند أحمد ٢٦٧١٥، قال الشيخ الألبانى: (صحيح) انظر حديث رقم: ٥٤٧٥ فى صحيح الجامع.

(٤) أخرجه مسلم - كتاب الصيام - باب النهى عن صوم يوم الفطر ويوم الأضحى.

(٥) المغنى لابن قدامة ٣/ ١١٠.

(٦) سنن أبى داود والترمذى، وقال الألبانى: صحيح.

(٧) أخرجه البخارى - كتاب العيدين - باب سنة العيدين لأهل الإسلام -، ومسلم - كتاب صلاة العيدين - باب الرخصة فى اللعب الذى لا معصية فيه فى أيام العيد.

(٨) سنن الترمذى، وقال الشيخ الألبانى: صحيح.

(٩) أخرجه أبو القاسم الأصبهانى فى كتابه «الترغيب والترهيب» (ق٤١/ ٢ - ٤٢/ ١) وقال أحمد بن حنبل: إسناده جيد.

(١٠) أخرجه مسلم - كتاب الإيمان - باب بيان أنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون وأن محبة المؤمنين من الإيمان وأن إفشاء السلام سبب لحصولها.

(١١) أخرجه البخارى فى «الأدب المفرد» (٥٩٤)، وأبو يعلى (٦١٤٨)، والقضاعى فى «مسند الشهاب» (٦٥٧)، وهو حديث حسن.

(١٢) أخرجه البخارى - كتاب الأدب - باب إكرام الضيف وخدمته إياه بنفسه -، ومسلم - كتاب البر والصلة والآداب باب صلة الرحم وتحريم قطيعتها.

الشخصية المحمدية

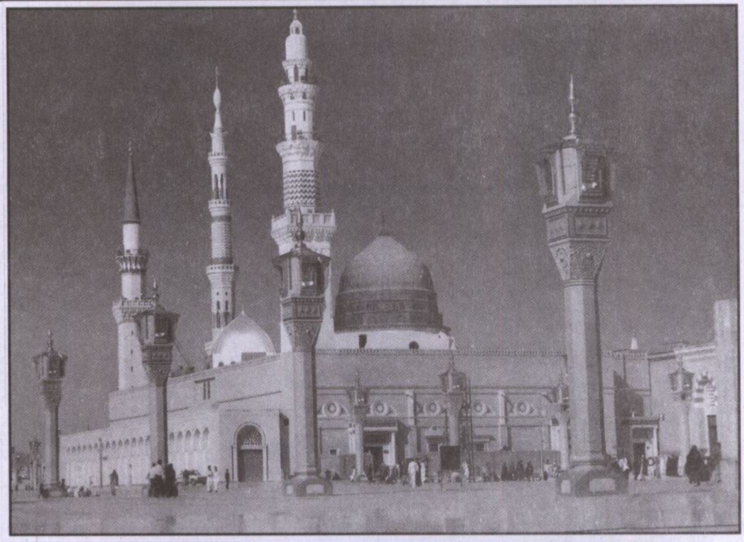

المفكر الإسلامى عباس محمود العقاد (رحمه الله)

أعده للنشر: د. حسن أحمد خليل

من تحصيل الحاصل أن يقال إن التفكير الغربى قد عجز عن إدراك حقيقة الفتح الروحى الذى جاء به الإسلام فى ركنين من أركان العقيدة الدينية، وهما فكرة الإنسان عن الإله، وفكرته عن النبوة.

فالحقيقة البينة للمسلم المتأمل أن الدين الإسلامى قد ارتفع بضمير الإنسان شأوا بعيدا إلى إدراكه للفكرة الإلهية والفكرة النبوية أو فكرة الرسالة والوحى من الخالق إلى خلائقه العقلاء.

فبعد الإيمان بإله القبيلة، أو إله الشعب المختار، وإله الشعائر الوثنية أو الإله الذى يحاسب الناس بحساب القرابين والكفارات ولا يحاسبهم بالتبعة والتكليف، جاء الإسلام بأشرف العقائد الإلهية فعلم الإنسان أن يؤمن برب العالمين، رب الإنسانية جمعاء رب الإنسان الذى لا فضل له بغير عمله ولا خلاص له بغير ضميره وعقله.

وبعد الإيمان بنبوات تقوم هدايتها على الخوارق والمعجزات، أو على الوساطة فى تقديم القرابين، أو على الحراسة من الأخطار والنقم، جاء الإسلام بالنبوة التى تخاطب العقل والبصيرة ولا تعول على التهويل بالخوارق والأراجيف، وعلم الناس أن النبى

* هذا المقال نشر بمجلة منبر الإسلام عدد شهر المحرم سنة ١٣٨١هـ يونيه سنة ١٩٦١م العدد (١) السنة (١٩) أى: ما يقرب من ثلاثة وخمسين عاما.

إنسان مثلهم يبشر وينذر وليس بالمنجم الذى يكشف لهم عن الخبايا ويروعهم بالأعاجيب.

ومع هذا التقدم الواسع فى مراحل العقيدة الدينية لم نزل نسمع من المفكرين الغربيين من يقول إن الإسلام لم يأت بجديد فى عالم الروح، وإنه نسخة محرفة من المسيحية أو صورة جديدة متوسعة، من صور اليهودية.. وإنه لخطأ ذريع يدل على التهاون المعيب فى أول واجب من واجبات البحث العلمى وأول واجب من واجبات النزاهة الدينية، وذلك هو واجب الابتداء بالمقارنة بين فكرة الإله فى كل دين، ولا حاجة معها إلى أكثر من التعريف باسم الإله فى ذلك الدين.

نقول: إن تهاون المفكرين الغربيين فى هذا الواجب تحصيل حاصل وإعادة قول مفهوم من زمن قديم.

ولكن تهاون هؤلاء المفكرين ملحوظ فى أمر آخر لا يزال حسن الظن بتفكيرهم فيه أملا غير بعيد عند كثير منا نحن المسلمين من أبناء العصر الحديث.

ذلك الأمر الآخر هو إدراك مواطن العظمة وآيات القدرة فى «الذات المحمدية» أو فى «شخصية» النبى عليه السلام، كما يقال بتعبير هذه الأيام.

فمنهم من يرى غاية العظمة فى صاحب الدعوة الإسلامية أنه داعية قدير يتوسل بالفصاحة حينا وبالسيف حينا إلى نشر عقيدته بين المنكرين المتألبين عليه.

ومنهم من يحسب أنه ينصفه غاية الإنصاف حين ينفى عنه الاحتيال والخديعة ويشهد له بالصدق والاجتهاد فى طلب الإصلاح.

ومنهم من يشهد له بالقداسة الروحية وينسب النجاح «العملى» بعد ذلك إلى أعمال خلفائه الراشدين، ويخصون بالذكر منهم عمر بن الخطاب رضوان الله عليه.

وقد ترى على المفكر منهم دلائل حسن النية، ولكنه يظن أن الإنعام فى التفكير والنظر إلى ما وراء الظواهر يتقاضاه أن يقيس قيام الدولة الإسلامية إلى العوامل المألوفة فى أمثال هذه الأحوال، وأكثرها راجع عند المؤرخين إلى تدابير الزعماء وخطط المتربصين لانتهاز الفرص واستغلال «الظروف» كما يقولون.

عظمة الشخصية المحمدية استحقت من الله أن يجعل فيها رسالته

وبين هؤلاء مؤرخ كبير لعله أشهر المؤرخين الغربيين من المعاصرين، وهو الدكتور أرنولد توينبى صاحب «دراسة التاريخ» فى أكثر من عشر مجلدات ضخام.

ولعل هذا المؤرخ أسلم المفكرين الغربيين نية عند الكلام على الإسلام، ولكنه - فيما نرى - أقدر على الإحاطة بالحوادث والمواقف الاجتماعية العامة منه على الإحاطة بأسرار العظمة فى «الشخصيات» النادرة ولهذا كان اعتقاده أن قداسة محمد عليه السلام لم تعصمه أن ينساق - من حيث لا يدرى - إلى تحقيق مطامع الزعماء الأمويين، لأنهم كانوا أعرق وأعرف بتدبير وسائل السياسة والملك من بيت النبى الذى تخصص من قبل عصر الدعوة لشئون العبادة، ولم يستعد للملك كما استعد لها بيت أبى سفيان بأدوات (الحيطة) والدهاء.

قال توينبى فى رحلته حول العالم فى فصل كتبه عن الأمويين:

«إن المسألة - وصلت إلى السياسة العملية - فكان أمراء التجارة المكيون أكبر من ند لابن بلدتهم العجيب.. وكانوا قد أخفقوا فى صد الإسلام ومنع انتشاره فلم يبق لهم من بديل عن ذلك غير الاحتيال عليه بالانضواء الظاهر إليه».

قال الله تعالى :

لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾

سورة الأحزاب

ثم مضى يقول ما فحواه إن زعماء بنى أمية جعلوا محمدا عليه السلام يسوق الدولة إلى أيديهم وهم يظهرون خدمته ويستدرجون قريشا إلى تجديد زعامتهم كرة أخرى بعد الخلفاء الأولين، ولم يذكر المؤرخ متى كان من عمل النبى أن ينشئ بعده دولة وأن يذود عنها بنو أمية وغير بنى أمية من الخلفاء والأتباع.

هذه «المناورة» الخيالية فصل من فصول التاريخ المألوف يبحث عن رواة المناظر والمؤامرات كلما بحثوا عن قيام الدول والأسر المالكة، ويرضيهم كما يرضى قراءهم أن يصوروا أمام الناس بطلين أحدهما طيب مثالى والآخر خبير ذو دهاء «عملى» يستفيد من جهود الدعوة ثم يحولها بحيلته إلى الجانب الذى ينتهى بتحقيق مطامعه وتغليب القدرة «العلمية» على الأفكار المثالية، ولو بعد حين.

ولو أن «شخصية محمد» ﷺ فهمت حق فهمها لما ورد هذا الخاطر على وهم المؤرخ فضلا عن تقريره وتوسيعه وإقامة الدين والدولة فى الإسلام على أساسه.

إن تاريخ النبوات لم يعرض لنا قط مثلا للشخصية التى تدين لها جبابرة «الشخصيات» كما حدث ذلك فى تاريخ الإسلام والصحابة.

فأعظم الأنبياء لم يكن حولهم من أصحاب الشخصيات الممتازة باقتدارها وعزيمتها من نستغرب طاعتهم لهم وتسليمهم بعظمتهم زمنا يقصر أو يطول كيفما طال.

لم يكن حول أحد منهم من أحاط به أمثال الصديق والفاروق وعثمان وعلى وأبى عبيدة وخالد ابن الوليد وعمرو بن العاص وأندادهم من الرؤساء والدهاة والفرسان، وكلهم قد صلح - بعد التجارب الكثيرة - لإقامة دولة، وسياسة أمة، وخلق تاريخ، وقيادة جيوش وشعوب، ورياضة أقوياء وضعفاء.

هذه «الشخصيات» القوية الفعالة لم يكن أحد منهم لينظر إلى «النبى» طوال أيام صحبته إلا كنظرة التلميذ المعجب بأستاذه إلى ذلك الأستاذ الموقر المحبوب.

ولقد عاش ابن الخطاب ما عاش - وهو أمة فى رجل - يردد نداء النبى له باسم الأخوة لأنه - على عظمته النادرة - كان يستكثر أن يقول له محمد: «يا أخى» وهو يناديه.

ولقد قيل عن المقارنة بين «الشخصية المحمدية» و «الشخصية العمرية» ما قيل وزعم من زعم من الغربيين أن الإسلام مدين بانتشاره لعظمة عمر بعد قيام النبى بدعوة الرسالة، ولكن الفارق الشاسع بين محمد وعمر لم يزل جليّا بارزًا يفهمه كل من يفهم الفارق بين الإنسان العظيم والرجل العظيم.

ولقد كانت شخصية معاوية تتضاءل إلى جانب «شخصية» عمر وكانت شخصية عمر تتضاءل إلى جانب شخصية محمد، بغير تردد يخامر الظن عند ذكرهم على اللسان، أو عند المقابلة بين عناصر العظمة عند كل منهم وكل من أقطاب الصحابة العاملين.

والنبوة ـ ولا خفاء - شرف عظيم تدين له الرؤوس والقلوب، لكن النبوة وحدها بغير «شخصية» تناسبها لم تكن كفيلة لذات النبى بهذه الهيبة وهذا الحب والإعجاب جيلا كاملا حافلا بالعظائم والتجارب مزدحما بأطوار النصر والهزيمة وعوارض الرجاء والقنوط فلو لم يكن محمد يملك من صفات القدرة والشجاعة والبلاغة والتدبير والمهابة وحسن الأثر فى النفوس والعقول نصيبا أوفى من نصيب أصحابه وأتباعه لما دانت له هذه الأطواد الشوامخ بالتطامن والاطمئنان ولما انقضى الزمن على هذه الصحبة دون أن تظهر فوارق الصفات الشخصية إلى جانب فوارق النبوة وفوارق الدعوة وما تقتضيه من الإصغاء بوحى الإيمان، دون وحى العاطفة والبديهة.

فالصحابة حول موسى عليه السلام لم تبق لهم سيرة تدل على عظمة خارقة يستكثر عليها أن تدين بالطاعة والولاء لمن هم دون موسى أو دون هارون فى صفات الرئاسة والتعليم.

والحواريون حول عيسى عليه السلام لم يكن أحد منهم ليرتفع إلى مكان الظن بالمشابهة أو المقاربة بينه وبين هذا الرسول الكبير.

ولكنك تذكر أبا بكر وعمر وعثمان وعليا وابن الوليد وابن العاص وأبا عبيدة وغيرهم، فتذكر فتوح بابل وفارس وبيزنطة ومصر، وتذكر سياسة الدول وقيادة الأمم وحكمة الرأى وشجاعة الإقدام والأناة، ثم تعود إلى حضرة النبى لتتخيل هؤلاء جميعا تابعين مطيعين يأوون إلى جناح النبى كما يأوى البنون إلى الأب الأمين فلا يسعك إلا أن تحس من وراء الزمن جلال هذه «الشخصية» وأن تدرك المسافة الشاسعة بين ذلك الرأس الرفيع وبين تلك الرؤوس التى تطامنت لديه، وكلها - على هذا - مرتفع ممعن فى الارتفاع آفاقا على آفاق.

لا فضل للإنسان بغير عمله ولا خلاص له بغير ضميره وعقله

إن النبوة المحمدية صفة إلهية تولى صاحبها من القداسة ما يوحيه الإيمان وتوحيه طاعة الإله.

ويعد ذلك عظمة إنسانية راسخة القرار رفيعة الذروة، تهول الناظر إليها ولو كان فى عظمة الصديق، والفاروق، وذى النورين، والإمام، وسيف الإسلام وإخوانهم الأفذاذ بين عظماء الأمم وأعلام التاريخ.

تلك عظمة «الذات المحمدية» عظمة «الشخصية» التى استحقت من الله أن يجعل فيها رسالته كما جاء فى الكتاب المبين. ولن يستطيع مفكرو الغرب أن يخلصوا من مألوفات التاريخ و «مناوراته» التقليدية إلا أن يدركوا كيف جاوزت هذه العظمة كل مألوف، وكيف استطاعت بوحيها الإلهى مع وحيها الإنسانى أن تكسب تلك المكانة العليا بين أصحاب أقطاب، كل منهم يضيق به أفق الإكبار والإعجاب.

قـــراءة فى كتاب

«من فضــائل العشــرة المبشــرين بالجنــة»

للأستاذ: محمود سعيد الطنطاوى قراءة وعرض: د. أحمد فاروق الهلباوى

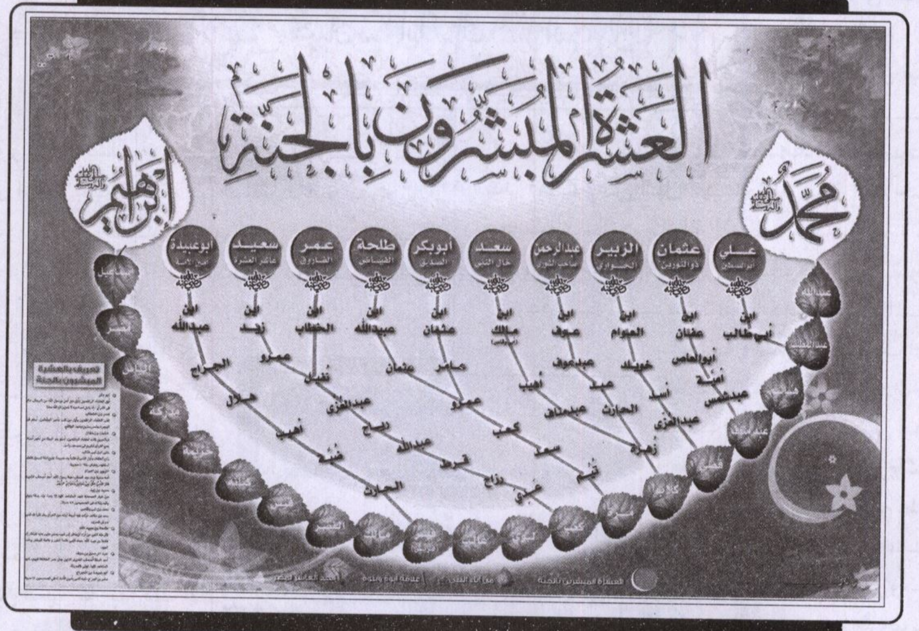

كتاب «من فضائل العشرة المبشرين بالجنة» للأستاذ محمود السعيد الطنطاوى من الكتب التى لاقت رواجًا كبيراً من إصدارات المجلس الأعلى للشئون الإسلامية فهم قوم استحقوا البشارة بالجنة بصدق الإخلاص لله تعالى، والسبق إلى الإيمان والإسلام والهجرة فى سبيل الله، وحب الله والرسول ﷺ، وبذل النفس والمال، والعلم بالقرآن والعمل بما فيه، والورع والتقوى، والفقه فى الدين، ومخالفة التقاليد الموروثة عن الآباء والأجداد فى أمة التقاليد، سيرتهم أحلى السير أخباراً، لأنها مقتبسة من نور النبوة، وليس وراء نور النبوة على وجه الأرض نور يستضاء به.

• ولسائل أن يسأل لماذا هؤلاء العشرة دون بقية صحابة رسول الله ﷺ ويرد على ذلك أن هؤلاء العشرة اختصوا بهذه المنزلة لمزيد فضلهم ورفيع منزلتهم، وقد أكد صاحب الكتاب أن هؤلاء اختصوا بهذه المنزلة لأنهم استجابوا لدعوة الحق وآمنوا بالرسول ﷺ واتبعوا النور الذى أنزل معه وآزروه وناصروه وتعاهدوا على الكفاح والجهاد فى سبيل الله، وتآخوا وتحابوا لله، وكفلوا الإسلام فى صباه،

قال الله تعالى :

﴿ وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١٠٠) ﴾

سورة التوبة

وجاهدوا بأرواحهم وأموالهم، وهاجروا فى سبيل الله فرارًا بدينهم وآخى بينهم الرسول ﷺ فازدادوا محبة وتوثقت صلتهم، فهؤلاء العشرة مقطوع لهم بدخول الجنة بغير سابقة عذاب لمزيد فضلهم حتى وصل نور اليقين شبه الجزيرة وما حولها. فقد أخلصوا النية من أجل ظهور الإسلام وأحسنوا العمل فأحسن الله لهم العطاء وأجزل لهم الثواب، ووعدهم بالجنة فى قرآنه الكريم **﴿وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾** (سورة التوبة: الآية ١٠٠) وهكذا زف لهم النبى ﷺ هذه البشرى وهنأهم بما أعد لهم ربهم من نعيم فى الآخرة جزاءً بما قدموا من تضحيات لأجل انتشار الإسلام والدفاع عنه.

هكذا تناول الكتاب المبشرين العشرة بمزيد من الدراسة وأورد ما تيسر من سيرتهم فنراه يتحدث عن الخليفة الأول أبى بكر الصديق ونسبه وصفاته وإسلامه وتوليه الخلافة وصلابته فى محاربة مانعى الزكاة والمرتدين ويورد الكاتب من فضائل الصحابة ما ورد عن عمر بن الخطاب الذى قال عن الخليفة الأول: **«وددت لو أن عملى كله مثل عمله يومًا واحداً من أيامه، وليلة واحدة، من لياليه»** ويورد الكاتب فى ختام كلامه عن الخليفة الأول: كان سلطان التوحيد قويا على نفسه وقلبه وعقله فقال مقولة الإمام الصادق «**من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات ومن كان يعبد الله فإن الله حى لا يموت**» فصارت مقولة التوحيد عظة وإشارة جليلة لأهل التوحيد يعرفها أهل الحقائق وأرباب القلوب.

هؤلاء العشرة أحسنوا العمل فأحسن الله لهم العطاء وأجزل لهم الثواب ووعدهم بالجنة

وهذا مثال وحيد من تناول الكاتب للعشرة المبشرين بالجنة وهم مَنْ هم ونراه فى خلاصة لهذا التناول يورد الحديث الشريف «**أرحم أمتى أبو بكر وأقواهم فى دين الله عمر، وأشدهم حياء عثمان، وأقضاهم على بن أبى طالب ولكل نبى حوارى وحواريى طلحة والزبير وحيثما كان سعد بن أبى وقاص كان الحق معه، وسعيد بن زيد من أحباء الرحمن، وعبدالرحمن بن عوف من تجار الرحمن، وأبو عبيدة بن الجراح أمين الله وأمين رسوله**».

ونرى الكاتب يتناول قصصهم ومافيها من عبرة فيقول «كانوا كالنجوم اللامعة، سموًا وتألقًا وتكافؤًا، وورعًا وثباتًا وصمودًا، حاربوا فى سبيل الله قوى الشر كان كفاحهم شرفا للبشرية كلها لأنه كفاح ونضال، ليعبد الله فى الأرض وليرتفع منار الحق عاليًا خفاقًا، عرفوا بقوة إيمانهم أن مفتاح باب الجنة جهاد وكفاح فى سبيل الله فجاهدوا حتى سبقت لهم من الله الحسنى والبشارة بالجنة على لسان النبى ﷺ فقد كانوا أقوياء فى إيمانهم أعزاء بإسلامهم فواصلوا الجهاد ولم يركنوا إلى الراحة بل

أتعبوا أنفسهم وأبدانهم فى عبادة ربهم والجهاد فى سبيله حتى يرضى الله عنهم.

لماذا هؤلاء العشرة:

يورد الكاتب أسباب البشارة لهؤلاء العشرة فنراه يقول «فهذا أبو بكر الصديق رضي الله عنه أحب الناس إلى الرسول ﷺ وأعظمهم وفاءً، شيخ المهاجرين والأنصار وأرحم الناس بأمة محمد ﷺ يقف أمام الطغاة والمرتدين، عمر بن الخطاب أشد الناس فى دين الله الذى يقول الحق وإن كان مرًا، يحارب حتى يستقر العدل فى الأرض، وهذا عثمان بن عفان ذو النورين مجهز جيش العسرة وأشد الناس حياءً، يقاتل فى سبيل الله، وعلى بن أبى طالب رضي الله عنه والد الشهيدين الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة والمقاتل فى سبيل الله والمدافع عن رسول الله ﷺ وطلحة والزبير حواريا رسول الله المحاربان من أجل انتشار الإسلام وسعد بن أبى وقاص البائع رضا أمه برضا الله عز وجل ورضا رسول الله ﷺ والمدافع بحياته عن الإسلام وسعيد بن زيد التقى الورع من أحباء الرحمن يقاتل فى سبيل الله، وعبد الرحمن بن عوف الذى كانت تجارته لله ومع الله وفى سبيل الله يحارب ليعبد الله فى الأرض وأبو عبيدة عامر بن الجراح الذى قتل الشرك فى شخص أبيه وعاش دفاعا عن الإسلام طول حياته إلى أن لقى ربه بقلب سليم، كلهم خيار من خيار أصحاب فضائل ومناقب يهتدى بها السارى ولا تزال سيرتهم العطرة إلهامًا وهدى للناس يهتدون بها لأنهم مارسوا القتال فى

عصر كانت القوة فيه هى الحماية فصمدوا لتحقيق مبادئ فيها الخير لبنى البشر جميعا ولم يكن غزوهم لغرض أو حروبهم لرغبة فى الدنيا أو الاستزادة من نعيمها ولكنهم كانوا يقاتلون لأن الله كتب عليهم قتال الطغاة الذين يسعون فى الأرض غلوًا وفسادًا.

حارب المسلمون الأوائل ليُعبد الله فى الأرض ولتحقيق مبادئ الخير للناس جميعا

هكذا وثق الكاتب كتابه بما أورده من مصادر وثق بها معلوماته فنراه أورد الأحاديث من كتب صحيح البخارى ومسلم وكذلك الإمام أبو داود والترمذى والنسائى والإمام ابن ماجه ومن كتب التفسير كالقرطبى والبغوى والمحب الطبرى وكتب السيرة ككتاب محمد بن سعد فى الطبقات الكبرى والاستيعاب فى معرفة الأصحاب والدرر فى المغازى والسير لابن عبد البر وابن حجر العسقلانى وابن الأثير والشريف الرضى والمسعودى والواقدى وأخذ أعلامه من خير الدين الزركلى وكذلك استعانته بتفسير الكشاف والزمخشرى وأورد فى كتابه استعانته بكتاب الرياض النضرة فى مناقب العشرة للمحب الطبرى وكتاب أسد الغابة فى معرفة الصحابة لابن الأثير وكذلك كتاب الإصابة فى تمييز الصحابة لابن حجر العسقلانى وكذلك الاستيعاب فى معرفة الأصحاب لابن عبد البر وكتاب «مروج الذهب ومعادن الجواهر للمسعودى وخصائص العشرة الكرام البررة للخوارزمى وغيرها من الكتب.

هكذا كان الكتاب من مقدمة وعشرة فصول وخاتمة خص كل صحابى بفصل مستقل وأورد مقدمة وخاتمة ذكر فيها محاسن العشرة الكرام البررة.

الرجاء والخوف فى قلب المؤمن

د. أحمد عبد اللطيف الكلحى*

قال تعالى: ﴿وَلاَ تَهِنُوا وَلاَ تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ • إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لاَ يُحِبُّ الظَّالِمِينَ • وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ﴾ (سورة آل عمران: الآيات ١٣٩:١٤١).

هذه آية من كتاب الله تحارب فى نفوس المسلمين اليأس والقنوط، وتغرس فى قلوبهم بذور الأمل والرجاء، وتبين لهم أن الأيام دول! إن رفعت لابد أن تخفض، وإن أعطت القليل لابد أن تأخذ الكثير، وإن أضحكت مرة لابد أن تبكى مرات! وهذا شأنها وديدنها، كدرها أضعاف صفوها، وحزنها أضعاف سرورها، هكذا أريد لها أن تكون، ومن أراد صفواً لا يمازجه كدر، وسروراً لا يخالطه حزن، وهناء لا يشوبه تنغيص، فليختر له داراً غير هذه الدار، وحياة غير هذه الحياة، لأن الذى يريده يتعذر وجوده على الدنيا وطبعها كما يتعذر وجود النار فى الماء.

طبعت على كدر وأنت تريدها
صفواً من الأقذار والأكدار
ومكلف الأيام ضد طباعها
متطلب فى الماء جذوة نار

وهذا الخُلق السيئ فى طبع الدنيا هو الذى أراد الله أن يفهمه لرسوله ﷺ وأصحابه فى تلك الآية الكريمة حيث أصابهم ما أصابهم من المشركين فى غزوة أحد، فلقد أصابهم من النكبات والمحن ما قطع أحشاءهم، ومزق قلوبهم وفتت أكبادهم، بل لقد أصابهم من البلاء ما زلزل إيمانهم، وزعزع يقينهم، وجعلهم يفرون حيث الفرار كبيرة وجريمة، ويتخاذلون حيث التخاذل إثم وعار ولكن ماذا يفعلون، وقد ضرب العدو نطاقهم، وحاصر جموعهم وأعمل فيهم السيف من خلف ومن أمام، حتى فكك وحدتهم، وأضعف قوتهم ونكس رايتهم، ومازال بهم طعنًا وضربًا،

* امام وخطيب بوزارة الأوقاف.

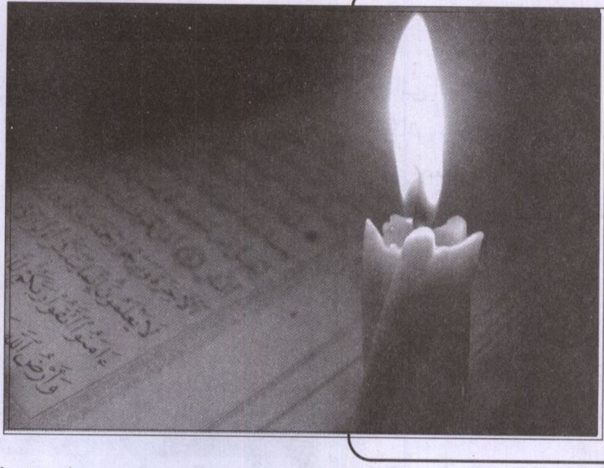

ورميًا، وتقتيلاً وتجريحًا، حتى ذهلت عقولهم وغاب رشدهم، وطاش صوابهم، وداخلهم فى أمرهم الشك والارتياب ورأوا بأعينهم سيوف المشركين تطيح بأبطال المسلمين وصناديدهم، حتى أسد الله حمزة ابن عبد المطلب، بل لقد رأوا بأعينهم حبيبهم وسيدهم محمداً بن عبد الله ﷺ وقد وطئ الأعداء ظهره، وهشموا أسنانه، وأسالوا دماءه، وأدخلوا حلقات المغفر فى وجنتيه الشريفتين، وموقف كذلك الموقف لابد أن يغرس فى نفوس المسلمين اليأس، ولابد من أن يزرع فى صدورهم القنوط. إلا أننا لو رجعنا بعجلة الزمان قليلاً إلى الوراء لرأينا المسلمين فى غزوة بدر قد أنزلوا بالمشركين أضعاف ما أنزل بهم المشركون فى غزوة أحد.

وهذا المعنى هو الذى ذكرهم الله به، ولفت أنظارهم إليه، وجعل لهم فيه عزاء وسلوانًا عن ذلك المصاب الأليم، قال تعالى: ﴿**إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ...**﴾ (سورة آل عمران: من الآية ١٤٠)، ولابد للدنيا من أن تكون دولاً ما دامت مركبة من عنصرين متضادين هما الخير والشر، أو هما السرور والحزن، أو هما السعادة والشقاء. غير أنه يجب علينا أن نعاملها كما يقتضى طبعها إقبالاً وإدبارًا وعطاء وحرمانًا، ولنعلم أنها وإن أدبرت عنا اليوم فلابد من أن تقبل علينا غدًا وأنها وإن حرمتنا حينًا فلابد من أن تعطينا حينًا آخر! فننتظر حظنا منها ولنترقب دورنا فيها، ولنمض قدمًا إلى تحقيق أحلامنا وأهدافنا تجذبنا حلاوة الأمل، وتدفعنا حرارة الرجاء، فالأمل هو البذرة الأولى لسعادة الإنسان، وشاطئ النجاة من اللُّجة المتلاطمة، والفجر الصادق لليل البهيم، فنملأ به قلوبنا ولنداعب به عقولنا، ولنجدد به نشاطنا، ولنسعد به ولو فى عالم الخيال.

منى إن تكن حقًا أعذب المنى
وإلا فقد عشنا بها زمنًا رغدًا

أما اليأس فهو سم زعاف يميت القلوب، ويقتل النفوس، ويضيق الصدور ويظلم وجه الحياة، ويقبح محاسنها، ويضاعف أعباءها ويجعلها طريقًا صحراويًا مخيفًا، يترقب صاحبه الموت فى كل خطوة ويتوقع القتل فى كل لحظة، ويتوهم السلب فى كل حين، حتى ولو لم يكن معه درهم ولا دينار ولذلك ترى اليائس فى الحياة قلقًا فزعًا، لا تثبت له قدم فى عمل، ولا يستقر له قول على رأى، ولا يتم له نجاح فى مشروع، ينتهى كلما ابتدأ ويفتر كلما هم، ويقعد كلما قام، فهو متبرم ضجر، وسئم ملول، يعرف عن الهزيمة أكثر مما يعرف عن النصر، ويعرف عن الخيبة أكثر مما يعرف عن الفوز، ويعرف عن الخسارة أكثر مما يعرف عن الربح، ويعرف عن السقوط أكثر مما يعرف عن النهوض .. العسل فى فمه أمر من الصبر، والحرير فى يده أخشن من الشوك، والدنيا فى عينه أضيق من سم الخياط. ومثل هذا يقضى حياته ظمآن وإن كان فى البحر، وجوعان وإن نزلت عليه ألف مائدة من السماء، وبائسًا شقيًا وإن كان فى جنات ونعيم.

أعلل النفس بالآمال أرقبها
ما أضيق العيش لولا فسحة الأمل

ولا أكون متجنيًا على الحق إذا قلت لكم أن الإنسان سعيد فى هذه الحياة بقدر ما له فيها من آمال وأحلام، فالأم التى ترضع ولدها من دمائها،

وتغذيه من حشاشة قلبها، وتسهر بجانبه ليل نهار، وتعمل على راحته ما استطاعت على ذلك سبيلا، إنما تفعل ذلك بدافع الأمل، والزارع الذى يشق الأرض شقًا، ويحرثها حرثًا، ويجلب لها أجود البذور، وأطيب الأسمدة، ويتعهدها بالنظافة والنقاوة ويحارب فيها العاهات والآفات، إنما يفعل ذلك بدافع المال والتاجر الذى يضحى من أجل تجارته بكل شىء فيخاطر بماله فى البر والبحر، ويسافر فى الحر والبرد، ويتحمل قسوة الغربة وعناء السفر، ويقضى كل عمره ما بين حل وترحال، وفراق ولقاء، وتشريق وتغريب. إنما يفعل ذلك بدافع الأمل. فالأمل هو العامل الخفى الذى يدفعنا إلى السعادة دفعًا، ويسوقنا إليها سوقًا، ويجندنا إليها تجنيدًا.

إلا أن الأمل الكبير يحتاج إلى شخصية قوية وإرادة فتية، وعزيمة صادقة وقلب صلب، وعقل ذكى وعين ساهرة، ومرونة ناضجة، وخبرة واسعة، وصبر جلد ومال كثير، وزمن طويل.

من رام وصل الشمس حاك خيوطها
سببًا إلى آماله وتعلقًا

ومن هنا نستطيع أن نحكم على الإنسان بأعماله وآماله فترى صاحب الأمل الكبير عالى الهمة، دءوب العمل، كثير البذل، سريع التضحية، لا تهزمه الأيام فى ميدان إلا حاول النصرة عليها فى ميادين، أما صاحب الأمل الصغير فهو خنوع قنوع، وعاجز وكل، وجبان مرتعد، ويريد أن يقطع حياته على سفينة فى بحر هادئ راكد لا لجج فيه ولا موج، ولا تيار فيه ولا ريح، حتى لا يضطر إلى مقاومة التيار إن كان أمله فى الجنوب، وحتى لا يضطر إلى مواجهة الريح إن كان أمله فى الشمال، وهذه صفات لا توجد فى بحر ما من البحار، اللهم إلا فى البرك والمستنقعات. حيث تسبح الضفادع والقواقع! وحيث تعيش الجراثيم والميكروبات على العذرات والجيف، والأوساخ والقاذورات وبقدر تفاوت الناس فى آمالهم وأعمالهم تتفاوت عزائم الرجال والأبطال.

على قدر أهل العزم تأتى العزائم
وتأتى على قدر الكرام المكارم
وتعظم فى عين الصغير صغارها
وتصغر فى عين العظيم العظائم

اليأس سم زعاف يميت القلوب ويقتل النفوس ويضيق الصدور ويظلم وجه الحياة

فيا أيها المسلمون - وأخص الشباب منكم - علقوا بالثريا آمالكم، واربطوا بالجوزاء أطماعكم، أقبلوا على الدنيا ففجروا ينابيعها، واكتشفوا كنوزها، واهزءوا فيها بكل بعيد ومستحيل، تؤتكم خيرًا مما أخذ منكم وتخضع لكم، فاقبضوا على عناقها بحزم وعزم تلقى إليكم بقيادة العالم وسيادته، وترد عليكم اليوم أضعاف ما سلبتكموه بالأمس من عز وسؤدد وزعامة وقوامة، ومجد وسلطان.

لأستسهلن الصعب أو أدرك المنى
فما انقادت الآمال إلا لصابر

قال تعالى: **﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ رِزْقًا﴾** (سورة الطلاق: من الآية ١١). فاتقوا الله عباد الله وأملوا فى رحمته خيرًا وتمنوا من أفضال الله برًا، واضرعوا إليه فى ليلكم ونهاركم واسألوه فى سركم وعلانيتكم فإنه لا يرد من سأله ولا يخيب من دعاه **﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾**.

قال رسول الله ﷺ: «**ما اجتمع الرجاء والخوف فى قلب عبد مؤمن إلا أعطاه الله ما يرجوه وأمنه مما يخافه**»، وقال أيضًا: «**لولا الأمل ما غرس غارس غرسًا ولا أرضعت أم ولدها**». وفى الحديث القدسى عن الله عز وجل: «**أنا عند ظن عبدى بى**». وقد قال أحد الحكماء: «**لله على الناس نعمتان لا يطيب العيش بدونهما ولا ينقضى العمر إلا عليهما - الأمل والنسيان**».

السنن الكونية

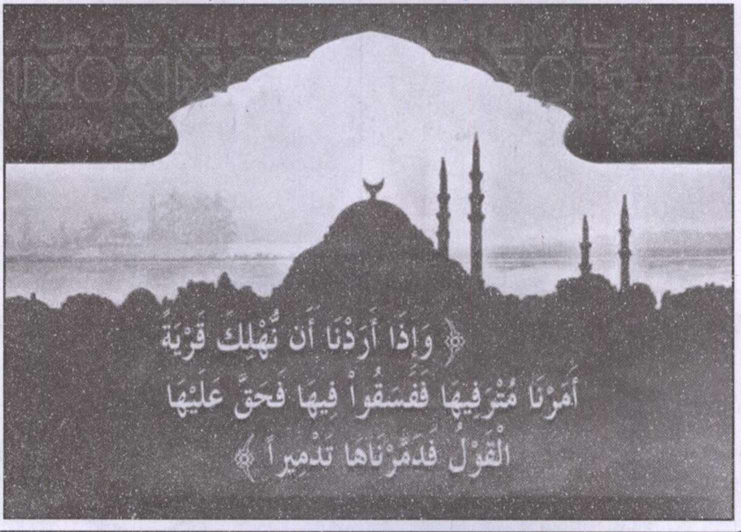

م. عبد الوهاب محمود المصرى*

من الحقائق المقررة علماً وشرعاً، أن الكون كله قائم على الثبات والنظام، أو على «السننية».. فتعمل ظواهره الطبيعية والاجتماعية محكومة بسنن أو قوانين ثابتة لا تتخلف. وسنعالج هنا، باختصار: مفاهيم السنة، وسنن الله تعالى من حيث أنواعها ومدى ثباتها وتدافعها. ثم نتحدث عن دور السننية فى حركة التاريخ، ونختم بخلاصة.

أولاً ـ فى مفاهيم السنة وأنواعها

السنة فى اللغة هى ـ حسب ابن فارس ـ: «جريان الشىء واطراده فى سهولة». والسنة فى الشرع هى، ـ حسب الفيروز أبادى ـ: «ما أمر به النبى محمد ﷺ أو نهى عنه أو ندب عليه، قولاً أو فعلاً، مما لا ينطق به الكلام العزيز». والسنة الإلهية أو سنن الله تعالى هى: «الطريق المرعية فى أفعال الله تعالى، وهى طريق العدل والرحمة». وهكذا، فإن ثمة ارتباطًا قويّا بين المعنى اللغوى للسنة الذى يشير إلى جريان الشىء جريانًا مطردًا، ومعنى سنن الله تعالى التى تقوم على الطريق المرعية التى تفيد الاطراد على وتيرة واحدة. وسنقصر الحديث هنا على السنن الإلهية، ولها نوعان.. أولهما السنن الكونية أو القوانين الطبيعية، وثانيهما سنن التاريخ أو السنن الاجتماعية. وفيما يلى بعض التفصيل.

١ـ القوانين الطبيعية

القوانين الطبيعية هى القوانين التى تحكم سلوك الظواهر الطبيعية، وتحكم ـ بالتالى ـ سلوك الجمادات والحيوانات والنباتات والجوانب الجمادية والحيوانية فى الإنسان. وهناك شبه إجماع بين علماء هذا القرن على أن سلوك الظواهر الطبيعية محكوم بقوانين ثابتة، بالرغم من علامات الفوضى

* باحث وكاتب اسلامي.

فى ذلك السلوك التى تحصدها النظرة غير المتأنية أو غير المتفحصة. وينصب الجهد الرئيسى للعلماء فى اتجاه الكشف عن تلك القوانين الثابتة. ويقوم ذلك الثبات بثلاث وظائف:

- أولاها الدلالة على وجود الخالق وعظمته،

- وثانيتها ضمان استمرار الكون وعمله بكفاءة.. فالفوضى لا تورث إلا الخراب.

- وثالثها توفير إمكانية استخدام الموارد المسخرة للإنسان.. فكيف يتسنى له، مثلاً، الإفادة من الماء إذا كان يغلى اليوم عند درجة ١٠٠ سنتيغراد تحت ضغط معين وشوائب معينة، ويغلى غداً عند درجة أخرى تحت الشروط نفسها من الضغط والشوائب؟ إن الأصل فى القوانين الطبيعية هو أنها ثابتة. ولكن الله تعالى قد يخرق ذلك الثبات لمنح أنبيائه المعجزات، فى القرآن الكريم مثلاً: ﴿يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ﴾ (الأنبياء: الآية ٦٩)، أو لمنح عباده الآخرين قدرات خاصة لحكم يراها الله تعالى (يا سارية الجبل الجبل)(١). وهكذا، فإن من المرجح، ولكن ليس من المحتم، أن نحصل على النتائج نفسها من المقدمات نفسها فى كل مرة (ويدرك ذلك جيداً، من يعمل فى التجارب العلمية)، وإن ثبات تلك القوانين يفيد العموم، ولكنه لا يفيد اللزوم. ولكن ذلك لا يمنع من الأخذ بثبات تلك القوانين.. إذ لما كان إهمال ذلك الثبات يجعل استخدام الموارد الطبيعية متعذراً، وكان الإسلام يوجب العلم بغلبة الظن فى العبادات والمعاملات، فإن الحكمة تقضى باعتماد الثابت فى القوانين الطبيعية.

٢ ـ السنن الاجتماعية

السنن الاجتماعية هى السنن أو القوانين أو النواميس التى تحكم أحوال الناس.. أفراداً وجماعات.. فى السلم والحرب. وقد جاء، مثلاً، فى القرآن الكريم: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ (الرعد: الآية ١١).

﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا﴾ (الإسراء: الآية ١٦).

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا﴾ (الأنفال: الآية ٢٩).

إنه لمن مقتضيات العدل الذى هو صفة لله تعالى، أن لا تتحق السنة إلا إذا تحققت شروطها. يقول الله تعالى فى القرآن الكريم: ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾ (إبراهيم: الآية ٧).

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ﴾ (يونس:.الآية ٩).

﴿وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ• الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴾ (الحج: الآيتان ٤٠: ٤١).

من مقتضيات العدل أن تكون السنن الاجتماعية ثابتة ثباتاً كاملاً يفيد اللزوم ولا يتخلف

وهكذا، فإن من مقتضيات العدل ألا يكون ثمة نعمة أو خير أو نصر بصورة مجانية، بل ولا حتى بالسعر التشجيعى!

كذلك، فإن من مقتضيات العدل أن تكون السنن الاجتماعية ثابتة ثباتًا كاملاً، وبحيث تفيد اللزوم ولا تتخلف أبدًا، فأخبرنا الله تعالى بأنها لن تتبدل ولن تتحول.. لأن من العدل التسوية بين المتماثلات، والمخالفة بين المختلفات، واطراد التماثل والتخالف.

وعندما ننظر إلى السنن الاجتماعية فى الحاضر، فإننا قد لا نلاحظ فيها الثبات، ولكن النظر إلى الماضى يجعلنا ندرك ذلك الثبات بوضوح تام.. فمن السنن الاجتماعية مثلاً، أن الله يمكن فى الأرض لأوليائه المستقيمين على منهجه، ويدمر أعداءه المخالفين لشرعه. ولكننا قد لا نلاحظ الجزاء (ثوابًا أو عقابًا) خلال عمرنا القصير نسبيًا،

ولكن السنة - منظورًا إليها على المدى الطويل - لا تتخلف أبدًا.

ثانيًا - تدافع السنن

إن السنن أو القوانين التى تحكم الظواهر الطبيعية والاجتماعية أكثر بكثير مما نظن. وتتزايد - مع مرور الوقت - اكتشافات البشرية لتلك السنن أو القوانين، وتتزايد، بالتالى، قدرة الإنسان على الإفادة منها فى تحسين الأحوال الاقتصادية والاجتماعية للأفراد والجماعات والمجتمعات.

وحيث إن السنن الاجتماعية والطبيعية كثيرة جداً، فإنها تتدافع فيما بينها ضمن النوع الواحد، ويتغلب بعضها على البعض الآخر، فتلغى السنة الأقوى السنة الأضعف منها.. فمثلاً، تتغلب قوة الطرد المركزى والقوة النابذة على قوة الجاذبية الأرضية (فى حال كون الأولى أقوى من الثانية)، فيلغى قانون الجاذبية الأرضية. وفى صحيح البخارى ومسلم قصة رجل قتل مائة نفس، وأراد أن يتوب، فمات وهو فى طريقه إلى التوبة، فتدافعت سنة المغفرة (بسبب التوبة) وسنة العذاب (بسبب السيئات)، وتغلبت فى النهاية سنة المغفرة (لأن رحمة الله تسبق غضبه كما فى صحيح البخارى)، فغفر الله لذلك الإنسان. وكذلك، فإن الأقدار تتنازع، فيندفع قدر البلاء بقدر الدعاء لأن **«البلاء والدعاء ليلتقيان** - كما فى الحديث الذى رواه أبو هريرة - **بين السماء والأرض، فيعتلجان إلى يوم القيامة».**

ثالثًا - السننية وحركة التاريخ

إن القرآن الكريم هو الذى طرح علينا، لأول مرة، مسألة السنن أو النواميس التى تسير حركة التاريخ وفق منطقها الذى لا يخطئ، وعبر مسالكها المقننة التى ليس إلى الخروج عليها سبيل، لأنها منبثقة من صميم التركيب البشرى ومعطياته المحورية الثابتة فطرة وغرائز وأخلاقًا وفكرًا وعواطف ووجدانًا، ومن قلب العلاقات والوشائج والارتباطات الظاهرة والباطنة فى العالم الذى يتحرك فيه الإنسان، والتى تتجاوز فى اتساعها وشمولها نسبيات البيئة الجغرافية أو الوضع الاقتصادى لكى تتسع للفعل التاريخى نفسه، الفعل القائم على القيم الثابتة الدائمة فى كيان الإنسان والتى تنبثق عنها المواقف التاريخية سلبًا وإيجابًا. ومن ثم، فإن حكمها على هذه الحركة يجىء منطقيّا تمامًا، لأنه أشبه بالجزاء الذى هو من جنس العمل، ومن خامة الأصيل، وعادلاً تمامًا، لأنه يكافئ الإنسان فردًا وجماعة، بما يوازى طبيعة الدور التاريخى الذى مارسه، حتى لكأن القرآن يلفت أنظارنا إلى أننا نستطيع أن نرتب على مجموعة من الوقائع التاريخية، سلفا، نتائجها المحتومة، لارتباطها العضوى بمقدماتها، اعتماداً على استمرارية السنن التاريخية ودوامها.

يمكن الله لأوليائه المستقيمين على منهجه ويدمر أعداءه المخالفين لشرعه

وعلى العكس، فإن أى اهتزاز فى نفاذ هذه السنن، سوف يؤول إلى تميع الحركة التاريخية وعدم انضباطها، وسيؤول بالتالى إلى موقف نقيض لمفاهيم الحق والعدل. ومن أجل أن نطمئن، يبين لنا القرآن فى أكثر من موضع ثبات هذه السنن ونفاذها وعدم تبدلها أو تحولها. منها مثلاً: ﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلاَّ سُنَّةَ الأَوَّلِينَ فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلاً وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَحْوِيلاً﴾ (فاطر: الآية ٤٣). إنها موجودة أساسًا فى صميم التركيب الكونى، وفى قلب العلاقات المتبادلة بين الإنسان والعالم، ولم يفعل القرآن سوى أن كشف عنها النقاب، وأكد وجودها وثقلها فى حركة التاريخ.

وتريد هذه السنن أو النواميس أن تقول لنا - باختصار وتركيز بالغين - إن حركة أى جماعة بشرية

فى التاريخ ليست اعتباطية، وإنها بما قد ركب فيها من قوى العقل والروح والإرادة - خلافاً لما هو سائد فى العوالم غير البشرية - مسئولة مسئولية كاملة خلال حركتها تلك، حيث ينتفى العبث واللاجدوى، وحيث تتحرك الحرية من شكلها المشوش المتميع الغامض، إلى عمل مدرك مخطط يقف به الإنسان أمام الله والعالم، لكى يحقق إعماره ورقيه وتقدمه، وفق ما يجىء به أنبياء الله، حيناً بعد حين، من تعاليم وخطط تأخذ بيد الجماعة البشرية فى هذه الطريق. وحيثما انتفت هذه العلاقة الإيجابية بين الإنسان والله والعالم، وأسىء استخدام الحرية، وضاعت المسئولية، وانعدم التخطيط المدرك الواعى، وتميعت القيم الأخلاقية المنبثقة عن قوى العقل والروح والإرادة.. حيثما جاء الجزاء الموازى لجنس العمل، وآل الأمر بالجماعة البشرية إلى التدهور والتفتت والانهيار.

إن القرآن الكريم لا يؤكد ثبات هذه السنن وديمومتها فحسب، ولكنه يحولها فى الوقت نفسه إلى دافع حركى (ديناميكى) يفرض على الجماعة المدركة الملتزمة أن تتجاوز مواقع الخطأ التى قادت الجماعات البشرية السابقة إلى الدمار، وأن تحسن التعامل مع قوى الكون والطبيعة، مستمدة التعاليم والقيم من حركة التاريخ نفسه. وهكذا، يتجاوز التاريخ فى القرآن أطره النظرية أو القصصية الفنية، أو الأكاديمية، إلى حركة وبحث وجهد وإبداع تجىء دائماً لخدمة «المعاصرة»، وللسير نحو «المستقبل»، بفهم أعمق وإلمام أكبر بسنن التاريخ. ومن ثم نلتقى بآيات الله وهى تطلب من أية جماعة معاصرة أن تنظر فيما حاق بالأولين، وتتعلم من السنن التى تحققت فى الأيام التى خلت، من أجل بناء حضارة، لا كالحضارات التى اعتمدت على تجارب الخطأ والصواب فسادت ثم بادت، ولكن حضارة تفيد من السنن التى تحكم التاريخ. وفى القرآن الكريم: ﴿قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ● هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ● وَلاَ تَهِنُوا وَلاَ تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ● إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لاَ يُحِبُّ الظَّالِمِينَ● وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ﴾ (آل عمران: الآيات ١٣٧ - ١٤١).

- الخلاصة

السنن الإلهية نوعان: اجتماعية تختص بالإنسان، وطبيعية تختص بما سواه. والأصل فى كليهما أنهما ثابتان، وأن ثباتهما متوقف على توافر شروطهما. وقد تخرق السنن الطبيعية لتكوين معجزة لنبى، أو لحكمة يراها الله تعالى، أما السنن الاجتماعية فقد لا تتحقق إلا على المدى الطويل. وقد تتدافع السنن فيما بينها ضمن النوع الواحد ،فيلغى القوى منها الضعيف. وفى كل الأحوال، فإن الحكمة تقتضى الأخذ بثبات السنن الإلهية بنوعيها. ولن يكتب الازدهار لأية حضارة، إلا إذا تفقهت فى السنن التى حكمت بانهيار الحضارات السابقة.

المراجع:

١ - عمر أحمد عمر، السنن الإلهية فى النفس البشرية، دار حسان للطباعة والنشر، دمشق ١٩٩٢.

٢ - الدكتور عماد الدين خليل، التفسير الإسلامى للتاريخ، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٧٥م.

٣ - الدكتور أحمد حسن فرحات، سنة الله التى لا تتحول ولا تتبدل، مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية. دبى، العدد الثامن ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.

٤ - عبد الوهاب محمود المصرى، مدخل إلى نظرية الأمن والإيمان، مؤسسة الرسالة والدار المتحدة، بيروت ودمشق ١٩٩٣.

٥ - عباس محمود العقاد، عبقرية عمر، دار نهضة مصر للطبع والنشر. القاهرة ١٩٧٧م.

فضل علماء المسلمين على الحضارة الإنسانية

بزغ نجم الإسلام على العالم فوجد الأمة فى ظلمة حالكة، ظلمة الجهل الذى جعلها لا تعرف عن نور العلم الكثير، والذى جعل كلمة «الأميين» علمًا على أبنائها فيقول تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِنْهُمْ﴾ (سورة الجمعة الآية: ٢)، ولما كان الإسلام هو آخر رسالات السماء إلى الأرض فقد كان لزامًا أن يحدث هزة عنيفة فى هذه الأمة تجعلها تفيق من غفلتها، فلم تكن مصادفة أن تبدأ بكلمة «اقرأ» رغم أنها منزلة على النبى الأمى ﷺ والذى لم يعرف عنه سلفًا اتصاله بمعلم أو سجل أو قلم!

على أن كلمة اقرأ لم يكن مدلولها تصفح المسطور فحسب بل تصفح الكون المنظور كذلك، دعمها فيما بعد قوله سبحانه: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانْظُرُوا﴾ (سورة العنكبوت الآية: ٢٠) (سورة النمل الآية: ٦٩)، واستنكاره لمن لم يدرك هذا المغزى ويعمل بمراده فيقول: ﴿أُولَئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾ (سورة الأعراف الآية: ١٧٩).

د. هند ماهر أبو العطا

وترجمة لهذه المبادئ فقد أخذ النبى ﷺ منذ بداية تأسيس الدولة الإسلامية بالمدينة المنورة فى توجيه الأمة الإسلامية إلى أهمية العلم، حيث جعل فدية الأسير من الكفار فى غزوة بدر تعليم عشرة من أبناء المسلمين القراءة والكتابة، فعلى الرغم مما كانت الصدور تموج به من ضغائن غرستها معاملة الكافرين للمسلمين فى مكة والتى انتهت بالهجرة إلى المدينة تاركين وراءهم دورهم وأموالهم، إلا أن هذا المقابل على ضآلته فى خلد البعض كان كافيًا فى حسابات النبى ﷺ لفك هذا الأسير على الرغم من توقع عداوته فى المستقبل.

إن رسالة الإسلام خاتمة الرسالات ما كان لها أن تنتشر دون تسلح حاملها بالعلم، ذلك العلم الذى جعل النبى ﷺ يجيز لمعاذ رضي الله عنه أن يجتهد برأيه عندما أرسله لتعليم أهل اليمن والقضاء بينهم، وهو نفس العلم الذى دفع بزيد بن ثابت رضي الله عنه أن يتعلم السريانية لغة بنى إسرائيل ليكون ترجمانًا بين النبى ﷺ وبينهم، وهو نفس العلم الذى حمله الصحابة فى صدورهم وهم يتوجهون لفتح بلدان جديدة فلم يخربوا عامرًا، ولم يطمسوا معلمًا من معالم

حضارات البلاد المفتوحة، وهو نفس العلم الذى جعلهم ينهلون من معين هذه الحضارات يدفعهم الانبهار بها وتجذبهم الاستفادة المنشودة فى الدنيا والثواب المرجو فى الآخرة.. ولم لا؟ وقد جعل النبى ﷺ العلماء ورثة الأنبياء فقال: «**إن العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً وإنما ورثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظ وافر**» رقم (مسند أحمد رقم ٢١٧٦٣ ج ٥ ص ١٩٦، وأبو داود رقم ٣٦٤١ ج ٣ ص ٣١٧)، ولذلك فقد جعل الإسلام طلب العلم فريضة على كل مسلم والسعى فى طلبه - مجرد السعى - سبيل إلى الجنة حيث يقول ﷺ: «**من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له طريقاً إلى الجنة**» (مسند أحمد رقم ٢١٧٦٣ ج ٥ ص ١٩٦، وأبو داود رقم ٣٦٤١ ج ٣ ص ٣١٧)، بل إن النبى ﷺ وضح فضل العالم على غيره من الناس وإن كانوا عباداً زهاداً بقوله: «**فضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب**» (مسند أحمد رقم ٢١٧٦٣ ج ٥ ص ١٩٦، وءبو داود رقم ٣٦٤١ ج ٣ ص ٣١٧)، فمن من العقلاء بوسعه التخلى عن هذ الميراث النبوى وهذا الشرف العظيم؟!

وقد قيض الله تعالى لهذا الدين من العلماء رجالا كانوا بحق مصابيح علم وهداية لمن وراءهم،

قيض الله تعالى لهذا الدين من العلماء رجالا كانوا بحق مصابيح علم وهداية

فحبسوا أنفسهم على خدمة الإسلام، وغاصوا فى أعماقه ليخرجوا من لآلئه كل ما يفيد العالم أجمع، ظهر ذلك فى حرص الصحابة على جمع القرآن الكريم مرتين فى عهد كل من أبى بكر وعثمان رضى الله عنهما، وبجهد رجاله زيد بن ثابت رضي الله عنه، وبنظرة ثاقبة من بعض الذين رباهم النبى ﷺ، ووراء ذلك كم أمة لاقت ذلك العمل على طرافته بالقبول والرضا.

وكما قيض الله من علماء المسلمين من يجمع القرآن فقد قيض للسنة كذلك من يقوم على أمرها فكانت كتب الصحاح كالبخارى ومسلم وما تبعهما، ثم استحدث المسلمون من العلوم ما يحفظ الدين ويثبت وييسر إيصالها للناس وفهمهم إياها؛ فكانت علوم النحو والصرف والتفسير والفقه والبلاغة.. وغيرها.

ولم يتوقف جهد العلماء المسلمين على العلوم

الدينية فحسب أو ما يدور فى فلكها، وإنما حرصوا على ترجمة علوم البلاد المفتوحة والتى لم تكن معروفة لديهم كالفلك والرياضيات والهندسة والكيمياء والطب والفلسفة والمنطق وغيرها، ومن فرط أمانتهم العلمية أنهم نسبوا كل علم إلى صاحبه، فوردت فى ترجماتهم أسماء مثل: سقراط وأرسطو وأفلاطون وفيثاغورث والإسكندر الأكبر... وغيرهم.

وقد سخر الله للمترجمين عددًا من الخلفاء وبخاصة فى العصر العباسى يجزلون العطاء لمن يترجم كتابًا فى العلم أى علم لدرجة أنهم كانوا يكافئون عن الكتاب المترجم بوزنه ذهبًا، وذلك عرفانًا بجهود المترجمين رغم أن معظمهم لم يكن من العرب ولعل بعضهم لم يكن من المسلمين، ولكنه العلم الذى يجمع تحت لوائه العالم والمتعلم ومحب العلم.. الذى يرفع الله تعالى به من منزلة العلماء فيقول سبحانه: **﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾** (سورة المجادلة الآية: ١١) ويعلل ذلك التميز بسؤال تقريرى يطرحه على العقول فيقول تعالى: **﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ﴾** (سورة الزمر الآية: ٩).

ثم جاءت الأقدار بما يعلى من شأن العلماء العرب والمسلمين، وذلك فى أثناء العصور الوسطى حيث تم تدمير معظم علوم هذه البلدان فى مواطنها الأصلية تحت دعاوى زائفة منها مخالفة نصوص الكتاب المقدس وإثارة الفتن بين الناس، مما نتج عنه تكفير العلماء ومن ثم الحكم عليهم بالإعدام وإتلاف جهودهم العلمية، فلم يجد العالم بعد أن أفاق إلا الترجمات الإسلامية لهذه العلوم، فوفد الناس من كل فج عميق يدرسون على أيدى علماء مسلمين لم يبخلوا بما لديهم من علم على أحد، بل كانوا يكفلون للفقراء من طلبة العلم عيشة كريمة تعينه على الاستمرار فيه، فرجع الطلاب وقد ملأوا رؤوسهم وسجلاتهم بهذه العلوم مرة أخرى، وراح النابهون منهم يعيدون سيرتها الأولى، ويعيدون ترجمتها إلى لغاتها التى خرجت منها وإلى غيرها من اللغات الأخرى معترفين بفضل علماء العرب والمسلمين فى الحفاظ عليها لقرون طويلة وفى سعيهم إلى تطويرها، ثم فى تقديمها إلى البشرية فى ثوب جديد راضية بذلك نفوسهم.. فكانت هذه الترجمات هى أساس النهضة الحديثة التى انتقلت بالبشرية من الحياة البدائية إلى المدنية التي عملت على رفاهية الإنسان، وسعيه إلى تحقيق السيادة الكاملة على الأرض بكل مقدراتها، بل ونفاذه إلى خارج محيطه وفلكه بسلطان العلم الذى وهبه الله تعالى إياه، وازدياد خشية العلماء من ربهم كلما ازدادوا إبحارًا فى لجة الكون الفسيح **﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾** (سورة فاطر الآية: ٢٨) وعلى الرغم من جحود البعض ونكرانهم لفضل علماء العرب والمسلمين يدفعهم الحقد الدفين ويؤيدهم تأخر المسلمين حاليًا إلا أننا نجد منهم من

يحسن الأخذ فيسوق الاعتراف ويقدم الولاء. تقول زيجريد هونكة: (إن الإغريق تقيدوا دائمًا بسيطرة الآراء النظرية، ولم يبدأ البحث العلمى القائم على الملاحظة والتجربة إلا عند العرب) وتقول هونكة: (لم يكن مستوى بيكون العلمى فى الكيمياء أرفع من معاصريه، إلا أنه رأى فى التجربة التى أخذها عن العرب السبيل الحقيقى للوصول إلى نتائج حاسمة فى العلوم الطبيعية.. إن أثمن هدية قدمها العرب لأوروبا هى منهج البحث الذى لولاه لبقيت أوروبا فى همجيتها). (من كتاب: شمس الله تسطع على الغرب) وقريب من هذا ما قاله فون كريمر فى كتابه (مناهج العلماء المسلمين فى البحث).

أما جوستاف لوبون فيسوق ما يدل على فضل علماء العرب على أوروبا والعالم أجمع بقوله: «إن علم الجراحة مدين للعرب بكثير من مبتكراته الأساسية، وظلت كتبهم فيه مرجعًا للدراسة فى كليات الطب إلى وقت قريب جدًا، فكانوا يعرفون فى القرن الحادى عشر من الميلاد غشاوة العين بخفض العدسة أو إخراجها، وكانوا يعرفون عملية تفتيت الحصاة. وكانوا يعرفون صب الماء البارد لقطع النزف، وكانوا يعرفون الكاويات والفتائل، وكانوا يعرفون المرقد، أى المخدر الذى ظن أنه من مبتكرات العصر الحاضر وذلك باستعمال الزؤان لتنويم المريض قبل العمليات المؤلمة، حتى يفقد وعيه وحواسه» من كتاب حضارة العرب. جوستاف لوبون.

والسؤال: إذا كان للعلم والعلماء هذه الأهمية، فما بالنا اليوم نجد البعض يحقر من شأن العلماء ويستهين بهم، ويقدم عليهم من دونهم؟ والجواب بالطبع: إن طغيان المادة فى العصر الحديث جعل الناس تقيم كل شىء تقييمًا ماديًا، فصار الناس يأكلون بأعينهم وآذانهم، وكلما اتسعت أرض المادة وطغت، انحسرت أرض القيم وضاقت.. وليس هذا مبررًا كافيًا؛ فمن يستهين بالعلماء فى أى عصر أو مصر هو فى حقيقته شخص مهين، ولو كان ذا قدر فى ذاته لأنزل الناس منازلهم (إنما يعرف الفضل ذووه).. على أن بعض العلماء فى الشرق والغرب حفروا أسماءهم فى سجل الزمان بأحرف من نور فلم يحركهم كيد الكائدين ولا حقد الحاقدين، فوقف كل منهم فى وجوه المحن كالطود الأشم ثابتًا على مبدئه لا تحركه العواصف مهما عتت، ومن هؤلاء على سبيل المثال الإمام أحمد بن حنبل فى الشرق وقد وقف موقفًا يغيظ العدا من قضية خلق القرآن؛ فلم يزده التعذيب إلا تجلدًا، أما فى الغرب فنجد جاليليو وقد أعدم فى قوله بكروية الأرض متهمًا بمخالفته لنصوص الكتاب المقدس.. وقد دارت الأيام فأثبتت صدق كلا العالمين وقضت بخلود كل منهما، ولم يعد أحد يذكر المتسلطين عليهما.. أو من ناوأهما فى قضية ثبت صاحبها على المبدأ رغم ضعفه، وعجز السلطان عن محاجاته رغم قوته، وأمثال هذين العالمين لا يذكر إلا بإجلال وتقدير نظرًا لأيديهم البيضاء على البشرية جمعاء، وهم كثير جدًا إذ لو قصدنا تعداد الأسماء لضاق بنا المقام.

كان علماء المسلمين يجلّون أساتذتهم وينزلونهم منازلهم ولا يخوضون فى أعراضهم حتى وإن أخطأوا

أما عن علماء المسلمين بشكل عام فكانوا يجلون أساتذتهم وينزلونهم منازلهم التى تليق بهم، ولا يخوضون فى أعراضهم حتى وإن أخطأوا؛ إذ إن من اجتهد منهم فأصاب فله أجران، ومن اجتهد فأخطأ فله أجر.. كما أن العالم فى الإسلام هو أساس البناء؛ إذ لا يكفى أن يلتقى الطالب والكتاب دون العالم أو المعلم فـ (من كان شيخه كتابه، غلب خطؤه صوابه).

مدينتا الحرمين الشريفين: مكة المكرمة.. المدينة المنورة

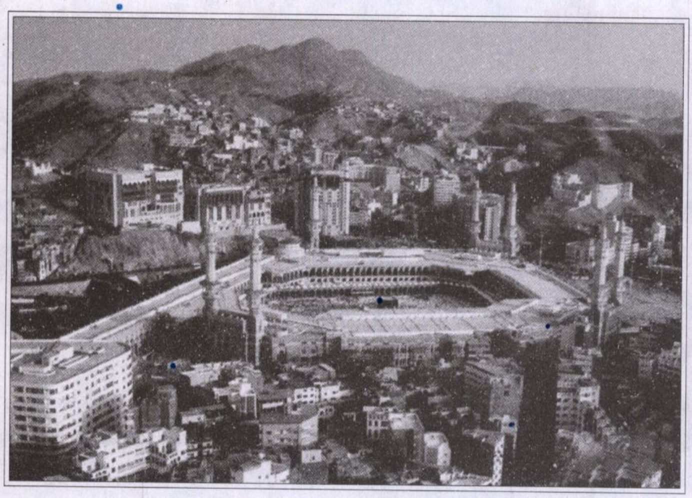

نافذة على العالم الإسلامى

إعداد: جليلة أحمد حلمى

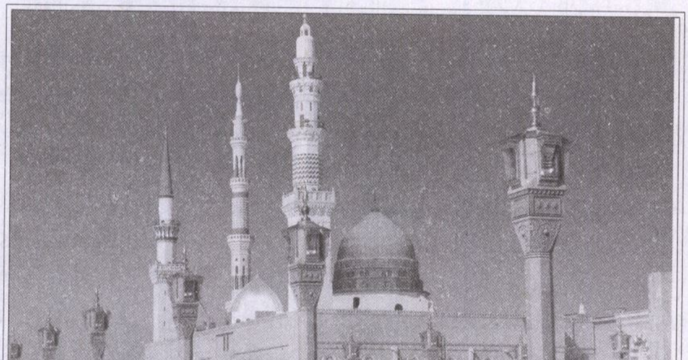

مكة المكرمة هى المدينة المقدسة التى تهفو إليها قلوب المسلمون بها المسجد الحرام، وهى قبلة المسلمين فى صلاتهم، تقع غرب المملكة العربية السعودية وتبعد عن المدينة المنورة حوالى ٤٠٠كم فى الجنوب الغربى وتبعد عن مدينة الطائف حوالى ١٢٠ كم فى الاتجاه الشرقى وعلى بعد ٧٢ كم من مدينة جدة وساحل البحر الأحمر.

يعتبر موقع مكة المكرمة من أصعب التكوينات الجيولوجية فأغلب صخورها جرانيتية شديدة الصلابة، تبلغ مساحة مكة حوالى ٨٥٠ كم٢ منها ٨٨ كم٢ مأهولة بالسكان وتبلغ مساحة المنطقة المركزية المحيطة بالمسجد الحرام حوالى ٦كم٢ ويبلغ ارتفاع مكة عن مستوى سطح البحر حوالى ٢٧٧ مترًا.

كانت فى بدايتها عبارة عن قرية صغيرة تقع فى واد جاف تحيط بها الجبال من كل جانب ثم بدأ الناس فى التوافد عليها والسكن بها فى عصر إبراهيم عليه السلام حينما ترك إبراهيم عليه السلام زوجته السيدة هاجر وابنه إسماعيل فى هذا الوادى الجاف حتى تفجر بئر زمزم وبدأ خلال تلك الفترة رفع قواعد الكعبة على يد إبراهيم وابنه إسماعيل عليهما السلام.

تضم مكة العديد من المعالم الإسلامية البارزة والمقدسة أبرزها المسجد الحرام لأنه يضم الكعبة المشرفة كما أنه أحد المساجد الثلاث التى تشد إليها

الرحـال وتضم أيضا المناطق التى يقصدها الحجاج والمعتـمـرون مـثل مـزدلفـة - منى - عرفة.

يبلغ عدد أسماء مكة المكرمة عبر العصور المختلفة أكثر من خمسين اسمًا وكنية إلا أن أصل التسـمـيـة مـجـهـول تقريبًـا وتعددت الفرضيات حول التسمية وأصلها فمنها:

قيل سميت مكة لأنها تمك الجبارين أى تذهب بقوتهم وقيل سميت مكة لازدحام الناس فيها ويقال أيضا أنها عرفت فى الجاهلية بهذا الاسم لأن العرب فى الجاهلية كانت تقول بأنه لايتم حجهم حتى يأتوا الكعبة فيمكون أى يصدرون صفيرًا مثل صـفـيـر طائر المكاء وهو طائر يسكن الحدائق ويصفقون بأيديهم إذا طافوا حولها.

ويرى آخرون أنها سميت ببكة لأنها لا يفجر بها أحد أو يعتدى على حرماتها إلا وبكت عنقه وكلمة بك فى السامية تعنى الوادى.

اسم مكة مذكور فى القرآن الكريم مرة واحدة فى سورة الفتح: ﴿**وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا**﴾ (سورة: الفتح الآية: ٢٤).

وسميت بكة فى سورة آل عمران: ﴿**إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ**﴾ (سورة آل عمران: الآية: ٩٦).

وسميت بأم القرى فى الأنعام وسميت أيضًا بالبلد الأمين فى سورة التين هذا بالإضافة إلى أسمائها الأخرى مثل معاد - تهامة - الحاطمة - أم زحم - البيت العتيق وغيرها من الأسماء. ومن الأسماء التى وردت لمكة فى التوراة سميت باسم - تل فران - وهو اليوم اسم لتل يقع على تخوم المدينة.

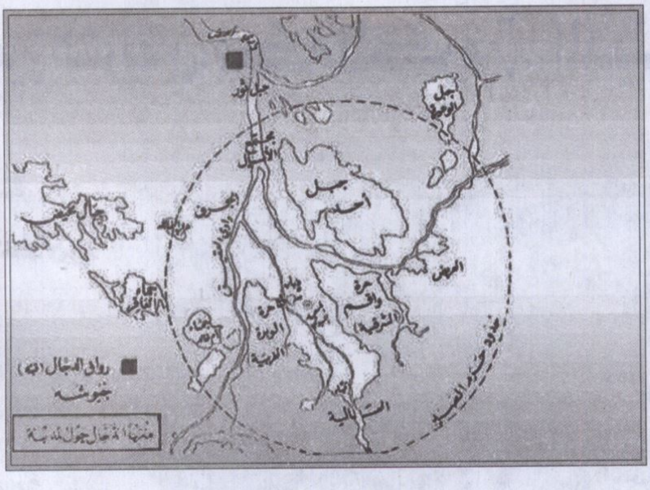

أول من سكن مكة كان إبراهيم وزوجه هاجر وولده إسماعيل ثم جاءت قبيلة جرهم ودفنوا بئر زمزم الذى تفجر عن قدمى إسماعيل ثم توالت قبائل عدة بالسكن فى مكة مثل قبائل خزاعة - بنى بكر - وكنانة ثم إلى قريش وهى فرع من قبيلة كنانة تنتسب إلى النضر بن كنانة تحت إمرة قصى بن كلاب جد النبى الرابع وقام ببناء دار الندوة ليجتمع فيها مع رجال قريش، وقسم قصى بن كلاب أمور الحرم على أولاده فكانت سقاية البيت والرفادة من نصيب ولده: عبد مناف بن قصى الجد الثالث للنبى ثم بعد ذلك تولى الأمر والقيادة ابنه هاشم بن عبد مناف ثم تولى السقاية عبد المطلب بن هاشم فأمر بحفر زمزم ثانية.

اهتم القادة السعوديون بتطوير مكة وتوسعة وتحسين المسجد الحرام فتمت التوسعة فى عهد الملك سعود بن عبد العزيز آل سعود عام ١٣٧٥هـ الموافق ١٩٥٥م وتوالت التوسعات والتحسينات حتى هذه الأيام لتستطيع المدينة أن تستوعب ملايين الحجيج.

يسود مكة مناخ صحراوى مثل أغلب مدن شبه الجزيرة العربية وتتميز بمناخ جاف نسبيا فترتفع درجة الحرارة صيفًا إلى ما يقرب من ٤٧° مئوية، أما فى فصل الشتاء فتتميز بمناخ دافئ أما الأمطار فيكثر هطولها فى شهور نوفمبر - ديسمبر - يناير.

أهم جبال مكة

● **جبل النور:** من أبرز معالم مكة إذ يضم غار حراء وهو الغار الذى كان يتعبد فيه الرسول ﷺ قبل البعثة وفيه أيضًا نزل الوحى.

● **جبل ثور:** أحد جبال وسط مكة ويضم غار ثور الذى مكث فيه الرسول وصاحبه ثلاث ليال أثناء الهجرة ليثرب.

● **جبل عمر:** ويتم حاليًا إزالة أجزاء منه لإقامة التوسعات والفنادق ويسمى مشروع تطوير جبل عمر.

● **جبل عرفة:** أهم معالم مكة إذ تقام عنده أهم مناسك الحج «يوم عرفة».

● **جبل أبى قبيس:** يقع فى الجهة الشرقية من المسجد الحرام وسمى بهذا الاسم نسبة لرجل يدعى أبو قبيس وهو أول من قام بالبناء فوقه.

● **جبل الطارقى:** يقع شرق مشعر منى وهو أعلى قمة فى جبال مكة.

ومن أهم أودية مكة: وادى فاطمة، وادى فخ، وادى بكة، وادى نعمان، وادى محسر، وادى التنعيم، وادى الجن، وادى يلملم، وادى إبراهيم وغيرهم.

ومن أهم معالمها:

● **المسجد الحرام:** ويقع فى قلب مكة تتوسطه الكعبة المشرفة وهى أول بناء وضع على وجه الأرض ويضم المسجد بجانب الكعبة حجر إسماعيل، بئر زمزم، مقام إبراهيم، الصفا والمروة والحجر الأسعد أو الأسود.

● **مسجد التنعيم:** أحد مساجد مكة وهو أحد مواقيت الإحرام لأهل مكة.

● **مسجد نمرة:** ويقع فى عرفة وقد صلى فى موضعه النبى محمد يوم عرفة فى حجة الوداع وتقام فيه صلاتا الظهر والعصر جمعًا فى يوم عرفة أثناء موسم الحج.

● **مسجد خيف:** صلى فيه رسولنا الكريم عند الأحجار التى تقع بين يدى المنارة وذكر أنه صلى فى هذا المسجد سبعون نبيًا منهم النبى موسى.

● **مسجد الإجابة:** وصلى فيه رسولنا الكريم ويقع فى حى المعابدة يسار المتجه إلى منى.

● **مسجد البيعة أو مسجد العقبة:** وفيه قام رسولنا الكريم بالاجتماع مع الأنصار عندما بايعوه بيعة العقبة.

● **مسجد الراية:** وهو من المساجد أيضا التى صلى فيها النبى ﷺ.

وأيضًا من معالم مكة وأحد شعائر الحج - مكان رمى الجمار.

ومن المعالم الرئيسية أيضًا فى مكة غارا ثور وحراء، ومقبرة المعلاة والتى تضم جثمان السيدة خديجة زوج الرسول ﷺ، والمسافة بين المعلاة والمسجد الحرام قريبة نسبيًا.

ومن أحدث معالم مكة أبراج ضخمة تقع بجانب المسجد الحرام وتعد ثانى أعلى ناطحة سحاب فى العالم.

أفاد موقع مكة الاستراتيجى بوصفها محطة للقوافل بين الشمال والجنوب أيام الجاهلية فى إمساكها بزمام التجارة بين أطراف شبه الجزيرة العربية وبين الفرس والروم.

كما أفاد هذا الموقع فى إقامة الأسواق والمنتديات الأدبية وأشهرها: سوق عكاظ، سوق مجنة، سوق ذى المجاز.

حققت مكة ثروة كبيرة عوضت أهلها عن فقر البيئة التى تحيط بها كما يشكل موسم الحج مصدر دخل أساسى لأهلها وتعد السلع والخدمات التى توفرها مكة لزوار بيت الله الحرام بمثابة صادرات غير منظورة إذ أن أغلب زوار مكة من الحجيج يحرصون على شراء بعض الهدايا التذكارية عند العودة من الحج.

المدينة المنورة

هى إحدى المناطق الإدارية بالمملكة العربية السعودية وهى الثالثة من حيث المساحة والخامسة من حيث عدد السكان ومن أشهر مناطقها منطقة الحرم النبوى الشريف.

يسود المنطقة مناخ يتميز بالحرارة الشديدة والجفاف فى فصل الصيف والبرد القارس فى فصل الشتاء.

من أقوال النبى محمد ﷺ عن المدينة:

«**إن الإيمان ليأرز إلى المدينة كما تأرز الحية إلى جحرها**». وقال: «**ليعودن كل إيمان إلى المدينة حتى يكون كل إيمان بالمدينة**». وقال: «**من استطاع أن يموت بالمدينة فليفعل، فإنى أشفع لمن مات بها**».

وقال: «**من مات بالمدينة كنت له شهيداً أو شفيعاً يوم القيامة**» صدق رسول الله ﷺ.

احتوت المدينة المنورة على مساجد كثيرة نذكر منها:

المسجد النبوى، مسجد قباء، مسجد القبلتين، مسجد الشجرة أو ذو الحليفة، مسجد الغمامة أو المصلى وفيه قال الرسول: «**هذا مجمعنا ومستمطرنا ومدعانا لعيدنا وأضحانا فلا يبنى فيه لبنة على لبنة ولا خيمة**».

مسجد عاتكة، مسجد السقيا، مسجد الإجابة مسجد الجمعة أول مسجد صلى فيه أول جمعة مسجد السجدة أو مسجد الشكر ويطلق عليه العامة (مسجد أبى ذر) فى موضعه سجد الرسول ﷺ سجدة الشكر حين بشره جبريل عليه السلام فيما روى أحمد فى مسنده بأن «**من صلى عليه، صلى الله عليه، ومن سلم عليه، سلم الله عليه**».

مسجد بنى زريق وهو أول مسجد قرئ فيه القرآن بالمدينة.

وغيرها من المساجد الكثيرة التى تتزين بها المدينة المنورة، ومن الدور التى صلى فيها الرسول ﷺ:

دار الشفاء، دار بسره بنت صفوان، دار سعد بن خيثمة بقباء.. دار حكم بن العداء وهو المعروف اليوم بمسجد على بن أبى طالب وغيرهما من الدور التى شرفت بصلاة النبى فيها.

ومن جبال المدينة: جبل أحد، قريظة، الراية، الحرم، الرماة، الأغوات، أنعُم وغيرها من الجبال.

كما يمر بالمدينة عدد من الأودية أبرزها:

وادى العقيق، وادى بطحان وقد ورد اسم وادى بطحان فى حديث النبى فقال: «**وادى بطحان على ترعة من ترع الجنة**»، كما يقال أيضًا: «**إن النبى توضأ من هذا الوادى يوم غزوة الأحزاب**».

من معالم المدينة المنورة أيضا:

- **البقيع:** وهى المقبرة الرئيسية لأهل المدينة وتضم رفات زوجات النبى والصحابة.
- **مقبرة الشهداء:** شهداء أحد، وتقع شمال المسجد النبوى عند سفح جبل أحد وبجوار جبل الرماة وتضم رفات سبعين من الصحابة الذين استشهدوا فى غزوة أحد وعلى رأسهم حمزة بن عبد المطلب عم النبى والصحابى حنظلة بن أبى عامر وكان النبى ﷺ يزورها باستمرار حتى وفاته.

ومن أهم المعارك الحربية التى دارت فى المدينة المنورة:

غزوة بنى قينقاع: فى السنة الثانية للهجرة فى المدينة المنورة.

غزوة أحد: فى السنة الثالثة من الهجرة فى جبل أحد.

غزوة حمراء الأسد: فى السنة الثالثة من الهجرة فى حمراء الأسد من ضواحى المدينة.

غزوة بنى النضير: فى السنة الرابعة من الهجرة فى ضواحى المدينة.

غزوة الخندق: فى السنة الخامسة للهجرة فى المدينة.

غزوة بنى قريظة: فى السنة الخامسة للهجرة فى ضواحى المدينة.

لزيارة المدينة المنورة آداب منها: أن يكثر المتوجه إلى المدينة المنورة من الصلاة على النبى ويسأل الله تعالى أن ينفعه بزيارته وأن يتقبلها فيقول الزائر للمدينة:

اللهم افتح لى أبواب رحمتك وارزقنى فى زيارة نبيك ﷺ ما رزقته أولياءك وأهل طاعتك واغفر لى وارحمنى يا خير مسئول.

وعندما يصل الزائر إلى المسجد النبوى يتذكر آداب الزيارة من حضور قلب وغض طرف وسكون جوارح ويصلى على النبى وصاحبيه. كما عند الخروج من المسجد والسفر عليه أن يودع المسجد بركعتين ويدعو بما أحب ثم يأتى الحضرة الشريفة ويسلم كما فعل فى أول الزيارة.

اللهم ارزقنا زيارة حبيبك ونبيك وأوردنا حوضه ولا تحرمنا شفاعته بمنك وكرمك.

د/ شوقى علام
مفتى الجمهورية

توكيل الضعفاء والمرضى والنساء وغيرهم فى الرمى عنهم

ما حكم توكيل الضعفاء والمرضى والنساء غَيْرَهم فى الرمى عنهم؟

الجواب: النيابة فى رمى الجمار للضعفاء والمرضى والنساء جائزة، ودليل ذلك أنه تجوز الاستنابة فى الحج، فالاستنابة فى الرمى جائزة من باب أولى؛ لأن الحج رمى وزيادة، وهى رخصة لأهل الأعذار، ولذا فقد ذكر كثير من الفقهاء أمورًا غير التى ورد بها النص إلحاقًا بهذه الفروع على الأصل، كمن خاف على نفسه أو ماله، أو كان يتعاهد مريضًا.

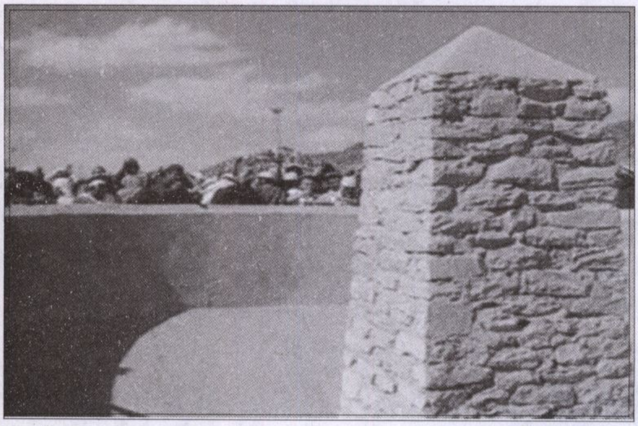

ولذلك كله فإنه يجوز للضعفاء والمرضى والنساء التوكيلُ فى رمى الجمرات، ولا حرج عليهم، ولا يلزمهم بذلك جبران.

جواز الجمع بين طوافى الإفاضة والوداع فى طواف واحد بنيتين

هل يجوز الجمع بين طوافى الإفاضة والوداع فى طواف واحد بنيتين؟

الجواب:

الجمهور على أن طواف الوداع واجبٌ، وقال المالكية وداود وابن المنذر، وهو قولٌ للشافعى وقول للإمام أحمد -رضى الله عنهما-: إنه سنة؛ لأنه خُفِّفَ عن الحائض.

وقد أجاز المالكية والحنابلة الجمعَ بين طوافى الإفاضة والوداع فى طواف واحد؛ بناءً على أن المقصود هو أن يكون آخر عهدِ الحاج هو الطواف بالبيت الحرام، وهذا حاصل بطواف الإفاضة.

وبناء على ذلك: فإن تأخير طواف الإفاضة إلى آخر مكث الحاج بمكة لِيُغنِيَ عن طواف الوداع جائز شرعًا، ولا يضر ذلك أداءُ السعى بعده.

حكم تقديم طواف الإفاضة على رمى جمرة العقبة

تعتزم بعثة الحج هذا العام أن يكون خط سيرها فى الحج: من القاهرة، إلى مطار جدة، ثم إلى مكة، ثم إلى عرفات، ثم إلى المزدلفة، ثم إلى مكة، ثم إلى منى، ثم إلى مكة؛ بحيث يتم التوجه من المزدلفة إلى مكة مباشرة وأداء طواف الإفاضة وسعى الحج ثم التحلل الأكبر، ثم التوجه بعد ذلك إلى منى ورمى جمرة العقبة الكبرى، فهل هذا جائز فى حج التمتع، أم يتعين التوجه من مزدلفة إلى منى لرمى جمرة العقبة الكبرى قبل التحلل الأكبر؟

الجواب: تقديم طواف الإفاضة على رمى جمرة العقبة جائز شرعًا عند الجمهور، وصححه المالكية مع إلزامه بدم.

واستدل الجمهور بما روى مسلم فى صحيحه عن عبد الله بن عمرو - رضى الله عنهما - قال: سمِعْتُ رسولَ الله ﷺ وأتاه رُجلٌ يومَ النَّحرِ وهو واقفٌ عند الجمرة فقال: يا رسول الله، حلقتُ قبل أنْ أرمىَ؟ قال: «**ارم، ولا حَرَجَ**»، وأتاه آخر، فقال: إنى ذبَحتُ قبلَ أن أرْمىَ؟ قال: «**ارم ولا حرج**»، وأتاه آخر، فقال: إنى أفضتُ إلى البيت قبل أنْ أرمىَ؟ قال: «**ارمْ ولا حَرَجَ**»، قال: فما رأيتُه سُئِلَ يومئذ عن شىء إلا قال: «**افعلُوا ولا حَرَجَ**».

أما التحلل فهو قسمان:

التحلل الأول، أو الأصغر: وتحل به محظورات الإحرام ما عدا النساء، ويحصل بالحلق عند الحنفية، وبالرمى عند المالكية والحنابلة، وبفعل شيئين من ثلاثة من أعمال يوم النحر عند الشافعية (واستُثْنِىَ منها الذَّبحُ حيث لا دخل له فى التحلل).

والتحلل الثانى، وتحل به كل المحظورات، ويحصل بطواف الإفاضة فقط بشرط الحلق عند الحنفية، وبطواف الإفاضة مع السعى عند المالكية والحنابلة، وباستكمال الأعمال الثلاثة عند الشافعية.

وبناءً على ذلك: فلا مانع شرعًا من التوجه من مزدلفة إلى مكة لطواف الإفاضة، قبل رمى جمرة العقبة، ولا يلزم فاعلَ ذلك جبرانٌ.

السعى فى المسعى الجديد الذى أنشأته الحكومة السعودية

ما حكم السَّعى فى المَسعى الجديد الذى أنشأته الحكومة السعودية بغرض توسعة مكان السعى بين الصفا والمروة؟ وما حكم الإقدام على هذه التوسعة ابتداء؟ حيث يذكر بعض الناس أن عَرض المسعى مُحَدَّدٌ معروف لا تجوز الزيادة عليه، وأن الزيادة عليه افتئات على الدين واستدراك على الشرع.

الجواب:

السعى فى المسعى الجديد سعىٌ صحيحٌ تَبرأ به الذمة، فقد قال تعالى: ﴿**إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَن تَطَوَّعَ خَيرا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ**﴾ (البقرة: ١٥٨). ففى هذه الآية الكريمة أمَر الله تعالى بالسعى بين الصفا والمروة، فدَلَّ هذا على أن كل ما كان بين الجبلين فهو مكان للسعى؛ لأن الآية أطلقت ولم تخصَّ محلا دون محل مما هو بين الجبلين، والمسعى الجديد واقع بين الجبلين.

سفر المرأة بدون محرم لأداء الحج في صحبة آمنة

تريد ابنتى البكر التى تبلغ من العمر ثلاثين عامًا أن تسافر مع والدتها لأداء فريضة الحج، علمًا بأن السفر آمن والصحبة آمنة.

الجواب: يجوز للمرأة أن تسافر بدون مَحرَم بشرط اطمئنانها على الأمان فى سفرها وإقامتها وعودتها، وعدم تعرضها لمضايقات فى شخصها أو دينها؛ فقد ورد عنه فيما رواه البخارى وغيره - عن عَدِيٍّ بن حاتم رضي الله عنه أنه قال له: «فإن طالَت بكَ حَياةٌ لَتَرَيَنَّ الظَّعِينةَ - أى المسافرة - تَرتَحِلُ مِنَ الحيرةِ حتى تَطُوفَ بالكَعبةِ لا تَخافُ أَحَدًا إلاَّ اللهَ».

فمِن هذا الحديث برواياته أخذ جماعة من المجتهدين جوازَ سفر المرأة وحدها إذا كانت آمنة، وخصصوا بهذا الحديث الأحاديثَ الأخرى التى تُحَرِّم سفر المرأة وحدها بغير مَحرَم؛ فهى محمولة على حالة انعدام الأمن التى كانت من لوازم سفر المرأة وحدها فى العصور المتقدمة.

وقد أجاز جمهور الفقهاء للمرأة فى حج الفريضة أن تسافر بدون محرم إذا كانت مع نساء ثقات أو رفقة مأمونة، واستدلوا على ذلك بخروج أمهات المؤمنين للحج فى عهد عمر رضى الله عنه، وقد أرسل معهن عثمان بن عفان؛ ليحافظ عليهن.

وبناءً على ذلك: فيجوز لابنتك السفر لأداء الحج مع والدتها، ولا حرج فى ذلك شرعًا.

ذبح الحاج دمه فى أرض الحرم أم خارج الحرم

هل يجب أن يذبح الحاج دمه فى أرض الحرم، أم يجوز أن يذبحه خارج الحرم؟ وهل يجوز ذبح الدم فى ماليزيا، وتوزيع لحومها للفقراء والمساكين من أبناء ماليزيا أو خارج ماليزيا؟

الجواب: أولاً: لا يجوز للمتمتع الذى نوى حج التمتع أن يدفع دمه فى بلده قبل سفره إلى مكة المكرمة لأداء فريضة الحج؛ لأن المحل المكانى لسوق الهدى ودماء الحج هو البيت العتيق.

قال تعالى: ﴿**ذَلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ• لَكُم فِيهَا مَنَافِعُ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ مَحِلُّهَا إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ**﴾(الحج: الآيتان ٣٢- ٣٣).

وبناءً على ما سبق: فلا بد أن يكون ذبح دماء الحج بمكة، أما توزيع لحوم تلك الذبائح فالأصل أن يكون على مساكين الحرم وفقرائه، ولا بأس بأن يدخر ذلك لهم على مدار العام، فإذا فاض عن حاجتهم طوال العام وحتى الحج فى العام التالى - فيجوز أن يوزع على فقراء غير الحرم.

ذبح الدم فى أيام التشريق أم بعدها

هل يجب ذبح الدم فى أيام التشريق، أم يجوز ذبح الدم بعد أيام التشريق؟

الجواب: مذهب السادة الحنفية والمالكية والحنابلة أنه لا يجوز ذبح هدى التمتع والقران إلا فى أيام النحر الثلاثة: (يوم العيد ويومين بعده).

أما عند الشافعية فالدماء الواجبة فى الإحرام لارتكاب محظور أو ترك مأمور - لا تختص بزمان، وتجوز فى يوم النحر وغيره، وعليه فلا بد أن يكون ذبح دماء الحج فى أيام الحج.

رقى الأمة وتقدمها

اهتم الإسلام برقى وتقدم الأمة لتحيا فى أمن وأمان ورخاء وازدهار، فقد شجع الإسلام على الاهتمام بالزراعة التى هى أساس الحياة فلا حياة بدون زراعة فقال ﷺ: **«من أعمر أرضا ليست لأحد فهو أحق بها»** (رواه البخارى) أى من عمر الأرض بالزراعة لتنتج بفضل ما يحتاج إليه الإنسان من قمح وأرز واحتياجات الحياة فهو أحق بها أفاد نفسه والمجتمع، ولما أجلى اليهود عن ضواحى المدينة نتيجة نقضهم عهودهم وزع الرسول ﷺ أرضهم على من يزرعها من المسلمين حيث قال سبحانه وتعالى: **﴿وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَمْ تَطَئُوهَا﴾** (سورة الأحزاب الآية: ٢٧) وقال ﷺ: **«ما من مسلم يغرس غرسا أو يزرع زرعا فيأكل منه طير أو إنسان أو بهيمة، إلا كان له به صدقة»** (رواه مسلم) وذلك لتحقيق الرقى والاكتفاء الذاتى، والتشجيع على العمل ورفع مستوى المعيشة. الخضرة ذات المنظر الجميل المبهج تحقق للنفس والراحة والسكينة ودليل على قدرة الله.

ومن العوامل التى تحقق رقى الأمة الاهتمام ايضا بالصناعة قال تعالى: **﴿وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾** (سورة الحديد الآية: ٢٥) وعلم الله داود عليه السلام صناعة الدروع ليكون قدوة للناس قال تعالى: **﴿وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ لِتُحْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ﴾** (سورة الأنبياء الآية: ٨٠) ، والأشجار ثروة قيمة عظيمة تحقق البناء والرخاء والأشجار هى المادة الضرورية فى الصناعات الخشبية والسفن والأحجار بأنواعها لبناء المساكن والسدود المائية وهذا دليل على أن الإسلام يدعو للعمل والبعد عن التراخى والكسل فهذا أبو بكر وعمر، وطلحة، وعبد الرحمن رضى الله عنهم كانوا يعملون فى النسيج يوفرون الملابس لأبناء الأمة، وكان عثمان بن طلحة خياطا ويحفظ التاريخ أن المسلمين هم أول من قاموا بصناعة الورق والسكر والمنسوجات القطنية والصوفية، والزجاج، والعقاقير الطبية ولقد أنعم الله علينا بالمواد الخام الكثيرة اللازمة للصناعة سواء من الحديد والنحاس والبترول والمعادن الكثيرة وما هذا إلا لنسعى لتحقيق الرقى للأمة فلا تحتاج لغيرها بل يحتاج إليها غيرها.

لذا يقول الرسول ﷺ: **«ما أكل أحد طعامًا قط خيرا من أن يأكل من عمل يده وأن نبى الله داود كان يأكل من عمل يده»** (رواه البخارى).

من القارئ: محمد أحمد الديب - فوه - كفر الشيخ.

عزيزى القارئ: إن رقى الأمم وتقدمها لا يمكن أن يتحقق إلا ببناء الإنسان المؤمن الواعى بحقوقه وواجباته المخلص لدينه ووطنه لأن هذا الإنسان هو صانع الحضارة، وهذا ما وضعه الرئيس الملهم ابن مصر البار وحكومته الرشيدة نصب الأعين كخطة عمل وأسلوب حياة لإنعاش جميع نواحى الحياة الاقتصادية بمصر من زراعة وصناعة وتجارة واستثمار. وإن الانطلاقة الباهرة لمشروع قناة السويس العملاق هو خير شاهد وهو يثبت للدنيا كلها صدق الهمة والعزيمة لوطن يتطلع طامحًا إلى حياة متقدمة ومستقبل أفضل لكل الأبناء.

قال الله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ (سورة المائدة الآية: ٢).

لقد فهم أصحاب الرسول ﷺ هذا التوجيه فهمًا سليمًا، وطبقوه فيما بينهم تطبيقًا حكيمًا، فقد كان سيدنا عبد الله بن عباس رضى الله عنهما معتكفًا فى المسجد النبوى الشريف فى العشر الأواخر من رمضان، فوجد رجلا فى المسجد جالسا يبدو عليه الهم والحزن فقال له ابن عباس: يا فلان مالى أراك مكتئبًا؟

فقال الرجل: يا بن عم رسول الله ﷺ لفلان علىَّ ديون حل أوان سداده وليس عندى مقدرة على السداد.

فترك ابن عباس رضى الله عنهما اعتكافه، واتجه نحو باب المسجد، فقال له الرجل: يابن عم رسول الله ﷺ: إلى أين تريد؟ أنسيت أنك معتكف فى المسجد النبوى الشريف.

فقال ابن عباس: لم أنس ذلك، ولكنى سمعت صاحب هذا القبر ﷺ والعهد به قريب، سمعته يقول: «من مشى فى حاجة أخيه ليقضيها له، كان أفضل من اعتكافه فى مسجدى هذا لمدة عام».

وهكذا كان أصحاب رسول الله ﷺ يطبقون على أنفسهم توجيهات رسولهم ﷺ بعلم صحيح وبعقل سليم، وبنفوس نقية طاهرة وبقلوب تعرف معنى التعاون على البر والتقوى.

من القارئ: أحمد أبو الوفا صديق أحمد - العركى - فرشوط - قنا.

عزيزى القارئ: التعاون بين جميع المخلوقات هو فطرة الله التى فطر الناس عليها فى الكون لتسهيل إنجاز الأعمال وجودة الأداء بلا عناء وقد خلق الله الدنيا فى نظام كونى محكم متتابع الحلقات يؤدى أوله إلى آخره ويعتمد على التعاون والتكامل كضرورة لاستمرار الحياة والأحياء.

وعندما تحل الأنانية محل التعاون تفسد الأعمال ويختل النظام الكونى، وقد أثبت العلم الحديث أن تخصيص العمل كنظام إدارى واقتصادى يقوم على التعاون بين الوحدات الجزئية لتنجح المنظومة الكلية ويرتفع مستوى الأداء والجودة.

ترقبوا

سلسلة دراسات إسلامية
• تصدر فى منتصف كل شهر عربى
سلسلة قضايا إسلامية
• تصدر غرة كل شهر عربى

إصدارات المجلس الأعلى للشئون الإسلامية
من أمهات كتب التراث الإسلامى

موسوعات متخصصة فى القرآن الكريم والحديث النبوى الشريف
مع مجلة «منبر الإسلام» الشهرية

ترقبوا
الموسوعات
المتخصصة
موسوعة
التاريخ الإسلامى

مسابقة منبر الإسلام الدينية - ذو الحجة ١٤٣٥ هـ
اقلب الصفحة

■ أسماء القدس الشريف ■

لمدينة القدس الشريف أسماء كثيرة وعديدة جدًا. وإن كثرة الأسماء تدل على شرف وعلو قدر ورفعة المسمى، وللقدس الشريف أسماء كثيرة نذكر منها ما يلى ذكره.

أولاً: مدينة المسجد الأقصى ولقد قال تعالى وهو أصدق القائلين: ﴿**سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ**﴾ (سورة الإسراء الآية: ١).

وهو مسرى صاحب الوجه الأنور والجبين الأزهر سيدنا ومولانا محمد ﷺ والصلاة فيه تعدل خمسمائة صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام فالصلاة فيه بمائة ألف صلاة والمسجد النبوى الشريف بالمدينة فالصلاة فيه تعدل ألف صلاة!

ثانيًا: مدينة السلام وهو أقدم اسم عرفه البشر لها وقد أسماها بهذا الاسم أقدم سكانها وهم العرب الكنعانيون.

ثالثًا: مدينة يبوس وهذا الاسم اطلقه القائد اليهودى يوشع عندما أغار اليهود على فلسطين فى القرن الثانى عشر قبل الميلاد!

رابعًا: مدينة إيلياء وجاء هذا الأسم سنة ١٣٥ ميلادية ووضعه الأمبراطور الرومانى هيدريانى.

خامسًا: مدينة القدس ولقد غلب هذا الاسم على المدينة بعد العصر الأموى فى بلاد الشام!

سادسًا: مدينة القدس الشريف وأقدم من وصف القدس بهذا الاسم هو يحيى بن سعيد الأنطاكى فى كتابه الذى ألفه عام ٤٥٨ هجرية فعرفت بعده بالقدس الشريف!

فاللهم حرر المسجد الأقصى بفلسطين من أيدى اليهود الملاعين وارزقنا فيه ياربنا صلاة قبل الممات، نحن والدنيا والمسلمين أجمعين أمين يارب العالمين.

من القارئ: خيرى محمد إبراهيم أبو الروس - كفر الجرايدة - كفر الشيخ.

عزيزى القارئ: من المؤكد بما لا يدع مجالا للشك أن مدينة القدس بفلسطين عربية الأصل والمنشأ وخصوصا أن أقدم من سكنها هم قبائل العرب الكنعانيون، وقد جاءوا إليها من الجزيرة العربية حوالى ٣٣٠٠ ق. م. وهذا لا يعطى لليهود أى مبرر تاريخى أو قانونى لاحتلال هذا الجزء العزيز من أرض الوطن العربى الأم بل ويعطى بالضرورة للعالم المتحضر الحق والسند لوقف العدوان الغاشم على غزة وفلسطين، ورد الوطن السليب إلى الشعب الفلسطينى المقهور، برغم مزاعم اليهود الكاذبة.

مسابقة منبر الإسلام الدينية ذو الحجة ١٤٣٥هـ

السؤال: «وقد وصف الرسول ﷺ المبعوث بثلاث صفات هى: تلاوة الآيات، وتعليم الناس الكتاب والحكمة وتزكيتهم»

فى أى مقال وردت هذه العبارة؟

عنوان المقال: .... **اسم الكاتب**: ....

العنوان: ....

العمل: ....

اسم المتسابق: .... **رقم التليفون**: ....

تاريخ الميلاد: ....

رقم البطاقة: .... **جهة الصدور**: ....

املأ بيانات هذه البطاقة بعد معرفة الإجابة، واحفظها عندك لترسل إلينا جميع البطاقات مرة واحدة فى آخر أشهر المسابقة. ومسابقة هذا العام تبدأ من شهر رمضان ١٤٣٥هـ حتى شعبان ١٤٣٦هـ.

ورد لفظ العمل بمشتقاته فى القرآن الكريم فى (٣٥٩) موضعًا ليشير سلبًا وإيجابًا إلى أن المحور الأساسى لوجود الإنسان - فردًا وجماعة - على الأرض هو العمل الذى يتخذ مقياسًا عادلاً لتحديد المصير فى الدنيا والآخرة، كما ورد معنى العمل بألفاظ أخرى فى (١٠٩) آية؛ ليشير ذلك كله إلى تأكيد القرآن الكريم على العمل والجهد البشرى لإعمار الأرض.

ومما يوضح احتفاء الإسلام بالعمل وإضفاء القدسية والاحترام عليه أنه جاء فى العديد من الآيات مقرونًا بالإيمان لأن العمل من أسس الإيمان الحق، بل جُعل العمل برهان صحة الإيمان وآية صدقه، إذ دائمًا ما تجد فى الكثير من آيات القرآن الكريم «آمن بالله» و«عمل صالحًا» وكثيرًا ما تجد «الذين آمنوا وعملوا الصالحات».

ويوضح أهمية العمل فى الإسلام أيضا، أنه جاء مقترنًا بالكثير من ثوابت الدين وقواعده الكبرى، حيث جاء فى العديد من الآيات مقترنًا بالصلاة والزكاة، قال تعالى: **﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾** (سورة البقرة الآية: ٢٧٧) وجاء العمل مقرونًا بفريضة الحج، قال تعالى: **﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلاً مِنْ رَبِّكُمْ فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ﴾** (سورة البقرة الآية: ١٩٨). كذلك جاء مقرونًا بذروة سنام الإسلام - الجهاد - ذلك لأن العمل الصالح ضرب من الجهاد، قال تعالى: **﴿فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْضَى وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ﴾** (سورة المزمل الأية: ٢٠).

والعمل الذى يبتغيه الإسلام هو العمل الشريف المقرون بهدف نبيل يخص الفرد والجماعة والمجتمع والبشرية كلها، هو العمل المنسوب لكل مقصود فعله سواء كان عملاً بدنيًا باليد أو فكريًا عقليًا، أو يجمع بينهما.

والإسلام بقدر رفعه من شأن العمل، يحط من قدر البطالة فهو يحارب البطالة بكل روحه ويكافح أسبابها فيعالجها فى عالم الضمير والشعور ودنيا العمل والواقع، فهو عدو التبطل الناشىء عن تكدس الثراء، وعدو التبطل الناشىء عن الكسل وحب الدعة والاسترزاق من أيسر سبل الاستجداء، وعدو التبطل باسم العبادة والتدين.

ذلك لأن البطالة مدعاة للفقر وسقوط المروءة ومجلبة للمقت لصاحبها، لذا استحقت أن يتعوذ منها رسول الله ﷺ «اللهم إنى أعوذ بك من العجز والكسل» وكان المتعطل بإرادته مخالف لأمر صريح من الله تعالى بالعمل: «وقل اعملوا» الذى تكرر فى أكثر من آية فى القرآن الكريم.

إن العمل فى منهج الإسلام يعد حقًا وواجبًا فى آن واحد، فهو حق للفرد على المجتمع وواجب على الفرد أيضا تجاه المجتمع، وينبنى على ذلك التزام المجتمع بتوفير العمل لكل قادر، والتزام كل قادر بتقديم العمل إلى المجتمع فلا مكان فى المجتمع المسلم للعاطل جبرًا واختيارًا، لأن كل طاقة إنسانية فاعلة لابد أن تسخر لخدمة أغراض الإنتاج والتنمية وتوفير أسباب الارتقاء بها.

وعندما يترسخ فى ذهن أفراد الأمة مفهوم العمل وقيمته وشرفه فى ميزان الإسلام سوف ينعكس ذلك على جودة الحياة عامة وعلى جودة العمل والتعليم خاصة، وذلك يتضح فى أن: أصحاب رؤوس الأموال سوف يشرعون فى توظيفها لفتح مجالات عمل جديدة للشباب - طاعة لله - بدلاً من تكديسها فى البنوك.

الشباب سوف يبحثون عن العمل ويبذلون وسعهم فى طلبه ويطورون من قدراتهم لتقابل مطالب الأعمال المختلفة، بل ويبتكرون لأنفسهم مجالات جديدة للعمل والكسب الحلال ولا يأنفون العمل فى أى مجال شريف المجتمع فى حاجة إليه.

البطالة لن تجد سبيلها إلى المجتمع.

القارئ: محمد عباس محمد عرابى.

عزيزى القارئ: خلق الله الإنسان وجعله خليفته على الأرض لسببين:

الأول: لعبادة الله وطاعته يقول تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْإِنْسَ وَالْجِنَّ إِلاَّ لِيَعْبُدُونَ﴾.

والثانى: لإعمار الأرض وهذا لا يكون إلا بالعمل الجاد المتقن الخالص لوجه الله الكريم يقول تعالى: ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ (سورة التوبة الآية: ١٠٥).

والعمل النبيل الهادف هو غاية المجتمع المسلم ولذلك فهو يسعى لتوفير العمل الشريف لكل إنسان كحق له، كما يجعل من الواجب على هذا الفرد أن يتقن عمله ويوجهه لخدمة المجتمع والوطن والإنسانية كلها.

محتــويات مجلــة منبــر الإســلام «ذو الحجة» ١٤٣٥هـ

■ كلمة التحرير		١
■ إلى عرفات الله	د. محمد مختار جمعة - وزير الأوقاف	٢
■ من شمائل رسول الله ﷺ ومكارمه	د. أحمد عمر هاشم	٥
■ من حكم الحج وأسراره	الشيخ/ محمد عبد المجيد زيدان	٩
■ الحج منافعه وبعض أسراره الاجتماعية	د. طه عبد السلام خضير	١٣
■ الإحصار فى الحج	د. سيف رجب قزامل	١٦
■ شعائر الحج بين الإعلام الأجنبى والإسلامى	د.عبد الصبور فاضل	٢٢
■ الزمان والمكان فى القرآن والسنة «وادى العقيق»	د. عبد المقصود باشا	٢٥
■ دروس من فريضة الحج	الشيخ رسمى عجلان	٢٧
■ قيم روحية فى حج البيت	د. أسامة فخرى الجندى	٣٠
■ خطبة الوداع دروس وأحكام	الشيخ رمضان عبد المطلب عثمان	٣٥
■ أشواق حجازية الإيقاع «شعر»	د. صابر عبد الدايم يونس	٣٨
■ أنباء وأخبار	محمد سيد أحمد على الدين	٤٠
■ نظرات بيانية فى الكلمة القرآنية (٦٧)	د. طه مصطفى أبو كريشة	٥٠
■ التفسير اللغوى للقرآن الكريم (٣٥)	د. عبد الغفار حامد هلال	٥٤
■ دعوة القرآن الكريم إلى التفكير	د. حسن أحمد خليل	٥٧
■ الرؤيا والحلم فى ضوء القرآن الكريم	د. مختار مرزوق عبد الرحيم	٦١
■ أخلاق الإسلام فى التعامل مع طلاب العلم والمعرفة	د. عبد المنعم صبحى أبو شعيشع	٦٥
■ قناة السويس بين ميراث الأجداد وحلم الأبناء والأحفاد	تحقيق: محمد كامل شاهين	٧١
■ التعليم فى مصر بين الآمال والتحديات	شيماء نزيه - فاطمة محمد	٨٠
■ خطب الجمعة لشهر ذى الحجة ١٤٣٥هـ		٨٧
■ المقاصد التعبدية للأعياد الإسلامية	د. خالد محمد راتب	١١١
■ من تراث «منبر الإسلام» الشخصية المحمدية - للأستاذ عباس محمود العقاد	أعده للنشر د. حسن أحمد خليل	١١٥
■ من فضائل العشرة المبشرين بالجنة	عرض د. أحمد فاروق الهلباوى	١١٨
■ الرجاء والخوف فى قلب المؤمن	د. أحمد عبد اللطيف الكلحى	١٢٢
■ السنن الكونية	م. عبد الوهاب محمود المصرى	١٢٥
■ فضل علماء المسلمين على الحضارة الإنسانية	د. هند ماهر أبو العطا	١٢٩
■ نافذة على العالم: مدينتا الحرمين الشريفين	إعداد: جليلة أحمد حلمى	١٣٣
■ فاسألوا أهل الذكر	فضيلة مفتى الجمهورية - د. شوقى علام	١٣٧
■ نافذة على القراء	أحمد حسن	١٤٠
■ محتويات العدد		١٤٤

من إصدارات

المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

أمهات كتب التراث الإسلامى
والموسوعات المتخصصة

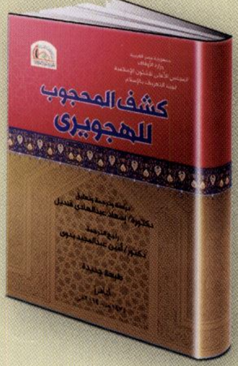

وترقبوا

موسوعة

التاريخ

الإسلامى

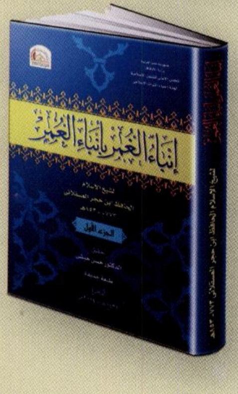

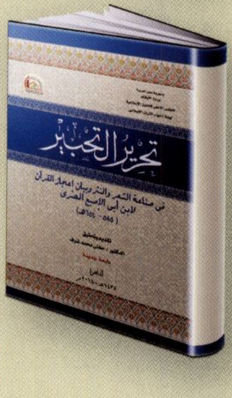

MINBAR AL-ISLAM

Year (73), Vol. (12), Dhu al-Hijjah, 1435 H.
October 2014 - Price: E.P. 200

Issued by

Ministry of Al-Awqaf
The Supreme Council for Islamic Affairs

Chairman

Prof. Dr. Mohamed Mukhtar Gomaa
Minister of Al-Awqaf & President of
The Supreme Council for Islamic Affairs

Editor-in-Chief

Prof. Dr. Ahmed Ali'Ajeba
Secretary General of
The Supreme Council for Islamic Affairs

E-mail Address: islamic_council_eg@yahoo.com

مطابع الأهرام التجارية - قليوب - مصر